تايشي يامادا

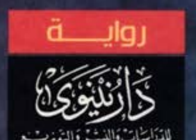
ترجمة: خالد الجبيلي



غرباء



رواية



إهداء لـ..

mohamed khatab



عنوان الكتـــاب: غرباء

اســم المؤلـــف: تايشي يامادا

تـرجــمـــــــة: خالد الجبيلي

الموضـــــــوع: روايــة

العنوان الأصلي للكتاب: *Strangers*

By Taichi Yamada

عدد الصفحات: 224 ص

القيـــــــاس: 14.5 ❖ 21.5 سم

الطبعــة الأولى: 1000 / 2016 م – 1437 هـ

ISBN: 978 – 9933 – 536 – 54 - 1



t.me/soramnqraa

4 9 2023

سورية - دمشق. ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963+

هاتـــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org - ninawa@scs-net.org

www.ninawa.org

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

Ayman ghazaly

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة – القسم الفني: دار نينوى

تايشي يامادا



ترجمة

خالد الجبيلي



المؤلف

يعد تايشي يامادا واحداً من أكثر الكتاب شهرة في اليابان. وقد منحته الحكومة اليابانية جوائز عديدة، ويُشتهر بكتابة مسلسلات تلفزيونية كثيرة، بالإضافة إلى العديد من الروايات والمسرحيات. ولد في طوكيو عام 1934، وتخرج من جامعة واسيدا في عام 1958 بعد أن درس اللغة اليابانية وآدابها.

المترجم

حصل المترجم خالد الجبيلي على إجازة باللغة الإنكليزية وآدابها من جامعة حلب في عام 1977. وقد ترجم أكثر من خمسين عملاً في التاريخ والرواية بالإضافة إلى العديد من القصص القصيرة. عمل مترجماً ومراجعاً في قسم الترجمة العربية في الأمم المتحدة بنيويورك قرابة عشرين سنة.

1

بعد طلاقنا أنا وزوجتي، حوّلت الشقّة التي كنت أستخدمها مكتباً لي إلى بيت أسكن فيه.

منذ أن بدأت العمل في كتابة المسلسلات الدرامية التلفزيونية لكسب رزقي، أصبحت أمضي معظم ساعات يقظتي في سجني الانفرادي، في هذه الشقّة. وحتى فترة قصيرة، كانت تأتي سيدة صديقة لزيارتي لتبدّد وحدتي، لكنها توقفت عن زيارتي عندما دخلتُ في متاهة إجراءات الطلاق مع زوجتي. لكني لم أكترث لذلك. لقد هدرت قدراً هائلاً من طاقتي العاطفية خلال إجراءات الطلاق، إلى حد أن سعادة كبيرة غمرتني عندما تحررت من العلاقات الإنسانية المتشابكة منذ فترة من الزمن، حتى تلك العلاقات التي تنطوي على متع جسدية بحتة.

ذات ليلة، بعد انقضاء قرابة ثلاثة أسابيع على حياة العزوبية المتجدّدة، أصابني الصمت المطبق الذي يخيّم على البناية بالدهشة. قلت لنفسي إنها هادئة إلى درجة غير معقولة.

لم يكن المكان الذي تقع فيه البناية منتجعاً جبلياً منعزلاً، بل على العكس تماماً، فقد كانت هذه البناية السكنية المؤلفة من سبعة طوابق تطلّ

مباشرة على طريق طوكيو 8 الذي لا تتوقف فيه السيارات والشاحنات عن الذهاب والإياب ليل نهار.

في البداية، عندما بدأت أقيم في هذه الشقة باستمرار، كان الضجيج اللانهائي المنبعث من الشارع يجعلني مستيقظاً طوال الليل. فقد كانت الشاحنات الطويلة الكبيرة التي تجعل مواعيد رحلاتها في ساعات منتصف الليل عندما تخفّ حركة مرور السيارات الأخرى، تتسابق الواحدة تلو الأخرى، وكان يبدو لي أن الهدير الذي تصدره تلك الشاحنات ينبعث من أعماق الأرض. عندما كنت أقبع في سريري، فريسة لهذا الضجيج الهادر، كانت تنتابني نوبات من ضيق التنفس. وعند إشارة المرور التي لا تبعد أكثر من مائة متر أسفل الطريق، كان الضجيج يتوقّف بشكل دوري، وما هي إلا لحظات حتى يعود السكون يتمزق بدرجة أعلى، عندما تعود الشاحنات للانطلاق مرة أخرى، ويعود الهدير الذي لا يرحم بلا هوادة، ويعود قلبي يخفق بقوة أشد، وتطبق الجدران عليّ، فأنتصب جالساً في سريري لاهثاً بشدة.

لم أتعوّد سماع هذا الهدير الصاخب على مدار الساعة إلا بعد حوالي عشرة أيام.

عندما كان يخطر ببالي أن أمضي الليلة في الشقّة عندما كنت لا أزال أستخدمها مكتباً لي، كنت أرفض هذه الفكرة رفضاً قاطعاً على الفور، لأنني أعرف أنه لن يغمض لي جفن فيها. لكن بعد أن اسُتنزف حسابي المصرفي بعد الطلاق، ولم أعد أملك نقوداً تمكّنني من الانتقال إلى مكان آخر، لم يعد أمامي خيار سوى القبول بأن أقطن هذه الشقة. لكن سرعان ما تبين لي أن بإمكان المرء التكيّف حتى في ظل ظروف كهذه. فقد تراجع

الهدير المتواصل الذي تحدثه الشاحنات، وأصبح يثوي في ثنايا وعيي البعيدة، كما تلاشت دندنة مكيّف الهواء. وكنت أدرك أحياناً، بدهشة شديدة، أن تكتكات العقرب الثاني للساعة المعلقة على الحائط، أصبحت الصوت الوحيد الذي يمكنني سماعه.

أما الآن فقد بدأت أشعر بأن سكوناً مطبقاً يخيّم على البناية، وبدأت أتساءل إلى أين ستقودني أحاسيسي هذه.

في إحدى الليالي، قرابة نهاية شهر تموز (يوليو)، اجتاحني هذا الإحساس بالسكون الشديد عندما جلست إلى طاولتي وبدأت أعمل بعد الساعة الحادية عشر بقليل. سرت قشعريرة باردة في عمودي الفقري، وأحسست كما لو كنت معلّقاً في وسط فراغ مظلم واسع، وحيداً تماماً.

«هدوء مخيف يجثم على المكان»، همهمت لنفسي.

تجاهلت هذا الإحساس لفترة من الوقت وواصلت الكتابة. بعد قليل، فتحت القاموس لأبحث عن كلمة في نظام كانجي للكتابة، لا أتذكّرها الآن تماماً. وبينما كنت أقلّب صفحات القاموس بحثاً عنها، أدركتُ أن الإحساس بالاضطراب هو ذاته الذي كان ينهشني في الليالي العديدة الماضية.

توقّفت عن تقليب الصفحات، ورحت أنصت. من خلال هدير الشاحنات والسيّارات، حاولت جاهداً تمييز صوت آخر. لم أتمكن من سماع شيء آخر.

هل جعلني طلاقي لزوجتي نهباً لمخاوف من نوع معين لا تزال عالقة؟ تساءلت. أي شخص يتمتع بعقل سليم يستطيع أن يتخيّل أن بناية تطلّ على شريان مروري رئيسي في المدينة ستكون هادئة؟

كنت أنا من طلب الطلاق. وعلى الرغم من أن طليقتي كانت قد أبدت كلّ أنواع الاعتراضات في البداية، لكنها سرعان ما أقرّت بأن الرابطة العاطفية القوية التي كانت توحّدنا قد ذوت وتحوّلت إلى لامبالاة وعدم اكتراث. في الواقع، كانت قد بدأت هي أيضاً تشعر بخواء في حياتنا الزوجية، وعندما أمعَنَت التفكير في الأمر، آمنت بفكرة الطلاق من أعماق قلبها. لقد اعترضتنا بعض الصعوبات حتى توصلنا إلى تسوية مالية مُرضية، لكن الجميع أقرّوا بأن الطلاق قد تم بهدوء ومن دون ضجيج يذكر، بالمقارنة مع الخوض في أوحال زواج لم تكتب له الحياة إلى ما لا نهاية، وعدنا نكتسي نفس الوجوه اللطيفة القديمة، كلّ يوم وطوال اليوم عندما كنا نواصل حياتنا معاً، لكننا كنا منفصلين. إن هذا الإجراء الحاسم أيقظ فيّ حبّاً جديداً كاملاً للحياة.

«إني سعيدة للغاية لأنك اقترحت فكرة الطلاق»، قالت زوجتي أخيراً. لم أكن بتلك الدرجة من الحمق لآخذ ملاحظتها كلها بشكل ظاهري، بل لا بدّ أنها كانت تنطوي، على الأقل، على قدر من الحقيقة. في جميع الأحوال، بما أنني أنا من طلب الطلاق في المرتبة الأولى، فلا يمكنني أن أعترض على مشاعر الوحدة التي بدأت أعاني منها الآن. ماذا يهم أن يكون المكان شديد الهدوء؟

نهضتُ واقفاً على قدميّ، واتجهتُ نحو النافذة، وفتحتُ الستائر. تركتُ النافذة مغلقة. لم تكن النافذة محكمة الإغلاق، لذلك، فإني أستطيع أن أفتحها إذا أردت، لكنّي كنت أعرف أن ذلك لن يؤدي إلاّ إلى إدخال الحرارة القائظة هذا اليوم، بالإضافة إلى الأدخنة الكثيفة المنبعثة من عوادم الشاحنات التي تطلق هديراً خلال ذهابها وإيابها على الطريق 8.

نظرتُ إلى الأسفل، إلى باحة وقوف السيارات. لم يكن بوسعي أن أرى الباحة كلها من المكان الذي أقف فيه، لكنّي كنت أعرف عدد السيارات التي يمكنني أن أتوقّع وجودها.

سيارة واحدة فقط. وباستثناء الشاحنة الوردية اللون الوحيدة المركونة في مكان منعزل، كانت هناك بقعة واسعة من الإسفلت فارغة تتخللها شبكة من الخطوط البيضاء. أثناء النهار، تمتلئ كلّ هذه الفراغات، أما عندما يحلّ الظلام، فتبدأ السيارات بالاختفاء الواحدة تلو الأخرى، وتبقى الشاحنة الوردية اللون فقط مركونة في مكانها. كنت قد رأيتها في هذا المكان بالذات ليلة البارحة أيضاً.

ليلة البارحة، أيضاً؟ هذا صحيح، أدركتُ. فقد وقفت ليلة البارحة أيضاً أمام النافذة هكذا، ورحتُ أحدّق في الفراغ الإسفلتي في الأسفل.

هل يعزى ذلك إلى معاناتي لأنني لم أر ابني الوحيد، الطالب في السنة الثانية في الجامعة هذه السنة؟ لا أظن أن هذا هو السبب. فقد كنت قد انكفأتُ إلى عالمي الخاص قبل الطلاق بفترة طويلة. فإن كنت أشعر بأنني على ما يرام لأنني كنت لا أكاد أرى ابني، فلمَ أشتاقُ إليه الآن فجأة؟

التقطتُ مفاتيحي من علبة أقلام الرصاص الملقاة على المنضدة، وألقيت بها في جيبي واتجهت نحو الباب. عندما خرجتُ إلى ردهة الطابق السابع، تركتُ النور في الشقة مضاء. لم أشأ أن أصدّق بأن الشعور الذي يعتريني بأن السكون المطبق الذي يخيّم على البناية ناجم عن خلل في حالتي العقلية، لذلك قررت أن أكتشف ذلك بنفسي وأحسم الأمر. لقد أردت أن أثبت أن البناية ساكنة بالفعل - لخلوّها من السكان. ففي واقع الحال، لا أحد يريد أن يقيم في مثل هذه الشقق الشنيعة التي ينهال عليها، ليل نهار،

ضجيج شديد وأدخنة عوادم الشاحنات والسيارات التي تمرق بسرعة البرق، لذلك كان أفضل استخدام ممكن لهذه البناية هو استخدامها كمكاتب للعمل.

كانت نوافذ البيوت الأربعة الأخرى في الردهة الجانبية في الطابق الذي تقع فيه شقتي معتمة تماماً. ضغطت زرّ المصعد.

مع أنني أعرف أن بعض الشقق في هذه البناية يُستخدم مكاتب، فلم أتوقّع قط أن تكون بهذا السكون. ولابد أن معظم قاطني البناية يغادرونها عندما يهبط الظلام. وإذا لم تخني ذاكرتي، فإن البناية تتألف من 41 شقة، ربما كانت تفرغ جميعها باستثناء شقة أو شقتين في كلّ طابق أثناء الليل.

فُتح باب المصعد. كان خاوياً.

كنت أكره دوماً اللحظة التي تُفتح فيها أبواب المصاعد في بنايات كهذه. فقد انكمشتُ من الفكرة التي خطرت لي فجأة وهي أن أصبح وجهاً لوجه مع شخص غريب تماماً. عندما تيقّنت أن المصعد فارغ، أطلقتُ تنهيدة صغيرة تشي بالارتياح.

دخلت إلى المصعد وهبطت إلى الطابق الأول. ما إن خرجت إلى البهو غير المكيّف بالهواء، لفحتني حرارة رطبة حارة سميكة. مشيت في الردهة الخافتة الإضاءة، وخرجت من باب البناية الرئيسي.

كان الهواء خارج البناية، كما هو دائماً، مليئاً بالضوضاء وأدخنة عوادم السيارات والشاحنات التي لا تتوقف عن المرور، لكن الظلام خفف قليلاً من حدة قيظ النهار. توجّهت إلى باحة وقوف السيارات.

كانت سيارتان أخريان مركونتين في فراغات لا يمكنني أن أراها من نافذتي. ووجدت الشاحنة الوردية اللون التي أراها عادة من نافذة شقتي،

وقد رُسم على جانبها ثلاثة سناجب مبتسمة. ثم علمتُ أنها شاحنة مبيعات تابعة لشركة تصنع ملابس أطفال.

ألقيتُ بوجهي إلى الوراء لأدرس واجهة البناية من الطرف الجنوبي الشرقي. لكلّ شقّة من الشقق نافذة واحدة على الأقل من هذا الجانب. يمكنني أن أتوقّع رؤية ضوء إذا كان أحد موجوداً في البيت.

لم أر سوى ضوء منبعث من نافذة واحدة فقط - نافذتي - في الطابق السابع، بينما كانت جميع النوافذ الأخرى كالحة السواد.

«يا إلهي» قلت لنفسي بدهشة.

وقفت في مكاني أتأمّل صفوف النوافذ المعتمة. ما عدا نافذة أو نافذتين في كلّ طابق. لا أحد يقطن في البناية في الليل على الإطلاق. في هذه الساعة من الليل، بعد الساعة الحادية عشرة، لم تكن هناك نافذة مضيئة إلا نافذة شقتي. لا، فأنا لست مريضاً بمرض عصبي. سكون مطبق يغلّف البناية. لعل بعض النوافذ مظلمة لأن قاطنيها قد خلدوا إلى النوم. لكني لا أظن أن ذلك ينطبق إلاّ على حفنة من البيوت.

عدت إلى مدخل البناية بخطوات وئيدة.

لم يكن دخول البناية بذات سهولة الخروج منها. إذ يتعين عليك أن تُدخل مفتاح شقّتك في اللوحة الأمنية المثبّتة على الجدار بجانب باب البناية. يؤدي دوران المفتاح إلى فصل القفل لمدة لا تتجاوز عشرين ثانية. أما إذا كنت في بيتك، فيمكنك أن تدخل إلى البناية بدون مفتاح، بل باستخدام الهاتف الداخلي. ويمكّنك زرّ تضغطه من أن تصعد إلى الشقّة المطلوبة، وبعد أن تعرّف عن نفسك، يستطيع الشخص داخل البيت أن يفتح لك الباب بعد أن يضغط زرّاً من داخل شقته. وفي هذه الحالة أيضاً،

أمامك حوالي عشرين ثانية حتى تفتح الباب وتدلف إلى ردهة البناية. وبما أن المشرف على البناية يعود إلى بيته أثناء الليل، فإن هذه التدابير الأمنية تبدو ضرورية للحفاظ على الأمن في هذه البناية.

إذاً فأنا الشخص الوحيد في هذه البناية، قلت لنفسي عندما ولجت إلى الداخل. أنا الشخص الوحيد الذي بقي في البناية كلها.

مع أني بقيت غير متيقن تماماً من هذا الأمر، فقد كان جزء مني يريد أن يعتقد ذلك. سرتُ في الردهة متجهاً إلى أريكة أسند ظهرها إلى الحائط. كانت تبدو ثقيلة. أحسست بشيء من التوتر عندما أدركت أن لا أحد غيري في بناية ضخمة كهذه، في ساعة متأخرة من الليل. لكن بدا أن ذلك قد بدأ يحرّرني أيضاً، كما لو كنت قد عدت إلى طفولتي وإحساسها المثير بالحرية والبراءة.

لم يمض على جلوسي في الردهة أكثر من دقيقة، حتى تناهى إليّ صوت وقع أقدام تقترب من المدخل. بدأ قلبي يخفق بسرعة، وغريزياً، غصت في الأريكة.

وصل صوت وقع الخطوات إلى الباب ثم توقّف. عندما التفتُّ ببطء، تبين لي من خلال الزجاج أنها امرأة. رحت أتفحّصها وهي تفتش داخل محفظتها عن مفتاحها. لم تبد لي فتاة شابة - لعلها في منتصف الثلاثينات من عمرها.

أدخَلَت مفتاحها في اللوحة الأمنية كما كنت قد فعلت أنا قبل دقيقة أو دقيقتين فقط، وتشنّجتُ قليلاً. خشيتُ أن أخيفها وأجفلها لأنها لا تتوقّع أن تجد أحداً جالساً عند مدخل البناية في هذه الساعة المتأخرة من الليل. فُصل القفل وانفتح الباب. أطرقت برأسي. بدأ كعب حذائها ينقر

على الأرض نقرات سريعة وهي تمشي بسرعة باتجاه المصعد. من خلال الحذاء الأبيض والساقين الرشيقتين التي كانت ضمن مجال رؤيتي، لم يتعثّر إيقاع خطواتها. يبدو أنها لم تلحظ وجودي. إذا كان الأمر كذلك، فهذا أفضل.

لم تتوقف ولم تتلفت حولها، دخلت إلى المصعد، وأُغلق الباب وراءها مصدراً ذلك الصوت الميكانيكي المعهود. رفعتُ عيني نحو المصعد، ثمّ نهضت واقفاً بسرعة. توقف الضوء على المؤشر الموجود على باب المصعد عند الطابق الثالث.

2

بعد أربعة أو خمسة أيام، اتصل بي ماميا، وهو منتج في إحدى محطات التلفزيون التي أكتب لها في بعض الأحيان. كان ذلك في المساء.

سألني: «أتمانع في أن آتي لزيارتك؟»

كنا أنا وماميا في نفس العمر، 47 سنة، وقد عملنا معاً منذ عشر سنوات تقريباً، وشاركني العمل في ستة مشاريع مختلفة، منها برنامج خاص مدته ساعتان ومسلسل درامي أعتبرهما من أهم الأعمال التي أنجزتها - وكنت أوردهما دائماً في قائمة الأعمال التي أنجزتها. وبسبب هذه الأعمال الناجحة، بالإضافة إلى خصائص أخرى يتصف بها، تجعلني أكنّ له قدراً كبيراً من المحبة والتقدير. حتى شدة تحفظه كانت تبدو أنها تلائم مزاجي. لكن بعد كل هذه السنوات من العمل معاً، لم يحدّثني قط عن حياته الخاصة. كان مهذباً وصادقاً معي على الدوام.

«أعتذر لتطفّلي عليك بإبداء ملاحظة طفيفة»، قال بطريقة رسمية شديدة.

«لا أبداً، أبداً. تفضل».

سعدتُ كثيراً لرؤيته مرة أخرى. فأنا لم أره منذ حوالي سنة. كنت أعمل عادة وفق قاعدة «من يأتي أولاً، يُخدم أولاً». لكن إذا عرض عليّ

عمل جذاب، فلن أرفضه إن كان لديّ متسع من الوقت. لكن على الرغم من أنني كنت آمل أن أعمل مع ماميا مرة أخرى في وقت قريب، كان جدول أعمالي مليئاً خلال الشهور القادمة. لا بد أنك استمتعت بوقتك القصير الجميل، أحسست بالرغبة بالتذمر، لكن بالرغم من ذلك، لو عرض عليّ أن أشاركه في أي عمل، فلن أرفض ذلك حتى لو اضطررت إلى العمل بأقصى طاقتي.

كان هناك ممثل نعتبره كلانا من أفضل الممثلين، لكنه يخرج عن أطواره ويتصرف بشكل غريب عندما يسكر. وفي إحدى الليالي، كنّا نشرب في أحد النوادي في أوياما برفقة أربعة أو خمسة أشخاص آخرين. لكن عبارة «يتصرف بشكل غريب» ليست العبارة الدقيقة في هذه الحالة، لأنه بدأ يخلع ثيابه ويتعرى في النادي الذي لم يكن من تلك النوادي التي تسمح أن تجري فيها أشياء كهذه، لذلك اتجهت إليه نظرات الزبائن المصدومين الجالسين إلى الطاولات المجاورة، التي كانت تشي بوضوح أن أحداً يجب أن يوقف هذا الرجل عن هذا التصرف الأرعن. تردّدت في أن أفعل ذلك لأنني خشيت أن يغضب ويزداد عناداً ويتصرف على نحو غير متوقع. لكن ماميا نهض واقفاً فجأة. ظننت أنه نهض ليوقف الراقص الذي كان يتعرى عمّا يفعله، كما ظنّ جميع الآخرين الجالسين حول طاولتنا. لكن ماميا، بدلاً من أن يوقفه، راح يشاركه في الرقص. وبدأ يخلع ثيابه هو أيضاً. وبعد لحظات بدآ يتناوبان على غناء مقاطع من أغان غير لائقة. وهنا عرفت أن تصرف ماميا بهذا الشكل يعبّر عن سلوكه الطبيعي. أصابني اكتشافي بأنه قد يكون هكذا بالصدمة. لكنها لم تكن المرة الأولى أو الأخيرة التي فاجأني فيها بتصرفاته. فقد كان يخيّل إليّ بأنني أكتشف فيه شيئاً جديداً يعجبني. كان يعيش وحده، على الأقل هذا ما كان الجميع يقولونه.

وكان يشاع بأنه يمتلك طائرة صغيرة وبأنه يمضي معظم أوقات فراغه على مهبط تشوفو، لكني لم أسمع ماميا قط يذكر شيئاً عن مثل هذه الهواية. فعندما كنا نلتقي، لم يكن يتكلّم إلا عن العمل الذي بين أيدينا. وبما أن ذلك لم يكن مناسباً لي أيضاً، فقد بدأت أتجنب التحدّث معه عن شؤوني الخاصة، ولم يسألني ماميا عنها أيضاً قط.

لذلك، في ذلك المساء بالذات، عندما جلس ماميا إلى طاولتي وهو يراقبني وأنا أخرج زجاجة بيرة كبيرة من الثلاجة وسألني كيف أتدبر أموري المتعلقة بإعداد طعامي، أحسست بأنه بدأ فعلاً يهدم علاقتنا. فلم أكن أرغب في مناقشة أمور كهذه معه.

«لقد شاهدت برنامجك الخاص الذي مدته ساعتان منذ عدة أيام»، قلت، محاولاً تغيير الموضوع وتوجيهه إلى أحد مشاريعه الأخيرة.

«سمعت أنك لم تعد ترغب في عمل أيّ شيء»، ردّ ماميا.

متجاهلاً ما قاله، كررت بأنني استمتعت كثيراً بمشاهدة برنامجه.

«أنا سعيد لسماع ذلك»، قال بينما رحت أصبّ له كأساً من البيرة، لكنه رفض أن يبتسم. رشف جرعة كبيرة من البيرة، ووضع كأسه على الطاولة.

«لا تقل لي إنك جئت لزيارتي لتبدي لي تعاطفك معي»، قلت.

«لا، أبداً». وارتسمت أخيراً على وجهه ابتسامة باهتة.

«للحظة تساءلت إن كان التجهم من الأصول المطلوبة لزيارة الرجال المطلّقين».

«لا، أبداً».

«ماذا في الأمر إذاً؟»

«حسناً...»، قال ماميا وأشاح بعينيه عني.

«أخبار سيئة من نوع ما».

عندما يظهر منتج تلفزيوني فجأة على عتبة بيت كاتب، فإن الكاتب سيعرف يقيناً بأن ذلك المنتج لا يحمل أخباراً سارة: لقد قُدم جزء من المسلسل الذي نكتبه معاً إلى برنامج للتقييم، وكان التقييم متدنياً، لذلك، سيتقرر وقف عرض مسلسلنا، أو أنه ألقي القبض على البطل الرئيسي لحيازته مخدرات، أو أن البطلة الرئيسية تزوجت مؤخراً، وأصبحت ترفض أن تقبّل أحداً غير زوجها، لذلك، هل تستطيع إعادة كتابة المشهد بحيث لا تكون فيه مشاهد تقبيل؟ شيء من هذا القبيل.

لكن بما أنه لا توجد لديّ حالياً أي مشاريع لكتابة أي مسلسل مع ماميا، فلا أعرف لماذا يبدو متجهماً، ثمّ قال: «أليس من المفروض أن ترى ابنك أكثر؟»

كانت كلماته هذه بمثابة صاعقة هبطت عليّ من السماء، مثل سوط يهبط عليك لعقاب لا تستحقه. حاول عقلي أن يجد العلاقة التي تربط بين ماميا وابني، لكنه أخفق. حاولتُ جاهداً أن أخفي قلقي.

«من قال لك ذلك؟» سألته.

«لقد رأيتُ زوجتك منذ أيام قليلة».

لا بد أنه يقصد أنه رآها في مكان ما بالصدفة. كظمت غيظي، ورحت أفكّر ماذا يمكن أن تكون قد أخبرته عن طلاقنا. لقد بذلت كلّ ما بوسعي لإبعاد هذا الرجل عن أمورنا الخاصة.

«هل أتيت لزيارتي حتى تنقل لي رسالة منها؟»

«لا. إن الأمر لا يعدو كونه... كنت أتساءل فقط إن لم يكن من الأفضل أن تضع بعض القواعد، مثل أن ترى ابنك مرة في الشهر، وأشياء

من هذا القبيل. إنها لم تطلب مني ذلك وهي ليست فكرتها على الإطلاق. إني أتساءل فقط».

أصابتني الدهشة لشدة الحماسة التي يتحدث بها، وبدأ خدّاه يتوردان.

فقلت: «أظن أنه لو كان ابني لا يزال طفلاً في المدرسة الابتدائية، لكان لهذا الكلام معنى»، وأضفت، «لكنه في التاسعة عشرة من عمره، وبوسعه أن يأتي لزيارتي في أي وقت يريد».

«لكن ماذا عنك؟ ألا تمرّ أوقات تريد أن تراه فيها؟»

«لا أستطيع أن أقول لا، لكنّه يستطيع أن يزورني مرة في الشهر. أتذكّر أنني عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري، كنت سأنزعج كثيراً لو طلب أحد مني أنه يتعين عليّ أن أتناول العشاء مرة في الشهر وحدي مع أبي».

هزّ ماميا رأسه. بدا أنه بدأ يفهم فكرتي.

ثم تابعت كلامي، وقلت: «لكنك تعرف أن هذا أمر يسعدني. لقد فاجأتني لوهلة، لكن ذلك يبهجني حقاً. لم أكن أتوقّع منك أن تبدي اهتماماً كبيراً بمثل هذه الأمور. أقصد، كان يخيّل إليّ أنك من ذلك النوع من الرجال الذين يفضّلون عدم حشر أنوفهم في الشؤون العائلية للآخرين». رفعتُ الزجاجة وملأتُ كأسه، ثم أردفت، «لكن الحقيقة هي أنني مولع بالدسائس العائلية مثل الآخرين. كنت أفكّر طوال هذا الوقت بأنني أريد تحاشي الناس الذين يبدون قلقهم عليّ، أما الآن، بما أنك ترى أنه من المناسب أن نتحدث عن هذا الأمر، فيجب أن أقول إنني مسرور، مع أنني منزعج لأنك لم تأت إلى هنا لنتحدّث عن العمل».

«في الحقيقة، ويوجد هذا أيضاً».

مستبقاً النتائج، قلت: «جيد، بالطبع يوجد هذا أيضاً! فمن السخافة أن تتجشم كل هذا العناء لتأتي إلى بيتي حتى تسألني عن ابني. ما المشروع الذي تفكّر فيه؟»

«لم أقصد ذلك».

«ماذا تقصد إذن؟»

«جئت لأقول لك إنني لن أتمكن من العمل معك بعد الآن».

«هل ستترك العمل في الإنتاج؟»

«لا».

جلس ماميا ساكناً، متحاشياً النظر إليّ.

«لم أفهم قصدك»، قلت له، مرغماً نفسي على الابتسام، «أرجو ألاّ تقول لي إن الطلاق هو أحد الأسباب التي تمنع كاتباً عن الكتابة».

لم يحر ماميا جواباً.

«أظن أنني أستحقّ أن أحصل على تفسير ما»، قلت محاولاً الضغط عليه. عندما لم يقل شيئاً، لم أفهم عمّا يتحدث.

افترت شفتا ماميا قليلاً، وبدا أنه يريد أن يقول شيئاً، لكنه سرعان ما أغلقهما وزمّهما بقوة. ثم بدأ فكّه يرتعش كأنه يسعى جاهداً ليحبس الكلمات ويمنعها من أن تتدفّق خارج فمه. عندما فتح فمه أخيراً مرة أخرى، وقد تعمد عمل ذلك كما لو أنه يريد أن يحذّرني: اسمع جيداً الآن لأنني سأقوله ما سأقوله مرة واحدة فقط.

«أريدك أن تعرف أنني أعتزم البدء في رؤية أياكو».

أياكو هي طليقتي. فهمت الكلمات التي قالها، لكنها لم تبد لي حقيقية، بل بدت أبعد من أي شيء أتوقّع أن أسمعه.

«أترئ أياكو؟» كشف صوتي شدة ارتباكي.

«بعد أن علمت بطلاقكما، لم أعد أستطيع أن أتمالك مشاعري. إني أتطلع إلى الزواج منها».

تملكني إحساس غريب عندما سمعت شخصاً آخر يبدي اهتماماً كبيراً بالمرأة التي قررت أن أقطع علاقاتي بها. فمن ناحية، تساءلت عمّا إذا كان عليّ أن أركل نفسي لشدة غبائي، ومن ناحية أخرى، شعرت أنني أدركت أن الرجل الجالس قبالتي سيقدم على انعطافة خاطئة في حياته، لكنني لن أتمكن من تحذيره من أن لا يفعل ذلك.

«حسناً»، لم يخطر لي أي شيء يمكنني أن أقوله له.

«صحيح»، هذا كل ما قاله ماميا.

لا أذكر أن أياكو كانت قد ألمحت إلى شيء كهذا على الإطلاق خلال إجراءات الطلاق. وكما لو أنه قرأ أفكاري، نظر ماميا إلى الأعلى، وقال: «إن أياكو لا تعرف».

يا لوقاحة هذا الرجل، فهو يلقي اسم أياكو بهذه الخفة! حسناً، ربما لهذا السبب يمكن أن يشعر بشيء من الغرابة عندما يشير إليها بـ «زوجتك» في هذه الظروف. لكن يمكنه أن يبدي، على الأقل، قدراً من الحساسية وأن يلتزم بالقول «هي» وهل يتوقّع مني أيضاً أن أصدّق بأنها لا تعرف؟

قلت: «حسناً. بالطبع لا».

ها هي إذاً قصتها. وإلا فكيف يمكن لأياكو أن تبرر ابتزازي وأخذ كل ما أملكه في تسوية الطلاق؟ لكن ها هو ماميا، ولم يكد يمضي شهر واحد، يأتي ويقول لي إنه لا يستطيع أن يتمالك نفسه عن حبّه لها. لا شيء يمكن أن يقنعني بأنها لم تكن تعرف بالفعل.

«قد تقول إن الأمر لم يعد يعنيك الآن بعد أن طلّقتها»، قال ماميا، «لكني ظننت أن الأمر ليس بهذه البساطة».

بعبارة أخرى، بما أنني طلّقت أياكو، فلم يعد يعنيني ماذا يمكن أن يفعل معها، وبما أنه كان من اللطف إلى درجة أن يأتي إلى بيتي ويحصل على مباركتي، فيجب عليّ أن أعترف برغباته، وأنسحب من المشهد بهدوء. هذا ما يقصده فعلاً.

«إذاً ألم تبد لها حتى الآن أي علامة تدل على مشاعرك تجاهها؟»

«هممم» أجاب، تاركاً شيئاً من الغموض.

«إذاً لعلها لا تريد أن تبادلك مشاعرك هذه؟»

«هذا صحيح».

«في هذه الحالة، فإن مجيئك لعندي للحصول على مباركتي في هذه المرحلة ينقل المجاملة إلى مرحلة أبعد، ألا تظن ذلك؟»

«إنك شخص مهم جداً بالنسبة لي».

كلمات طنانة وعقيمة. كليشيهات كهذه تُلقى يميناً ويساراً كما يلقى مصروف الجيب في عالم الترفيه. يمكنها أن تحدث التأثير المطلوب مع بعض الناس، لذلك لم يكن لديّ أي اعتراض لأستخدمها في سياق عملي، لكنها لسعتني مثل صفعة على وجهي عندما سمعت من ماميا كلمات تتعلّق بأمور عائلية بحتة. فأنا رجل «مهم» بالنسبة له إلى حد أنه يريد أن يتوقف عن العمل معي حتى يحقق مآربه مع أياكو. جلس هناك وقد ارتسمت على وجهه نظرة تشي بألم فظيع، لكنه في الواقع، لم يكن يشعر بأي ألم على الإطلاق. لم يكن ينتابه أدنى شعور بالأسف لقطع علاقته بي. بالنسبة له كان كلّ ذلك مجرد لعبة. إنه يتسلّى بمجيئه إليّ هكذا ليقول ما قاله لي.

والأدهى من ذلك، أنه لا يزال لا يعرف حقيقة ما يفعله لي. لقد جاء ماميا، من بين كلّ الناس، ليقول لي بأنه وضع كتابتي وزوجتي السابقة في الميزان، وقد رجح كفة الميزان لصالحها.

غمرني إحساس عميق باليأس، وأحسست بحشرجة في حنجرتي. ملت رأسي إلى الوراء وحدّقت في زاوية الغرفة، متظاهراً بأنني أتفحّص بعض خيوط العنكبوت التي كنت قد أهملتها.

«مع أنني واثق من أنها لن تقبل بي»، قال ماميا بصوت متصنع قليلاً.

«لا أعرف لماذا تقول ذلك».

لا بد أنه رتب كلّ شيء مع أياكو. فقد قال إنه رآها، ولا بد أنهما تحدّثا عن ابننا. بعبارة أخرى، ظلت صامتة ولم تتحدث عن أنها على علاقة مع رجل آخر حتى تتمكن من أن تعتصر كلّ ما يمكنها أن تعتصره مني.

لكن التذمر من هذا الأمر سينطوي على نتائج أسوأ، وسيترك الغضب بيننا طعماً حامضاً أيضاً. لذلك، عليّ أن أجد وسيلة أخرى لأثبت له أنني كشفت عن مخططاتهما الدنيئة.

«دعني أعبّر لك عن عميق امتناني لكلّ ما فعلته لي في الماضي»، قال ماميا برسمية شديدة.

«لا، أبداً»، أجبتُ من دون تفكير. كان هذا كلّ ما استطعت أن أقوله حتى لا أنفجر غضباً في وجهه.

«أنا آسف جداً»، قال ماميا مع انحناءة شديدة، ثمّ أضاف، «أظن أن من الأفضل أن أذهب الآن. من المؤلم جداً لأن...». كان صوته يشي بأنه على حافة البكاء.

يا إلهي؟ غامت عيناي. لقد بدأ الأمر يتحول إلى مسلسل تلفزيوني

مبتذل. ما الذي حدث لكلّ الجهود التي بذلناها، على الشاشة وخارجها، لتحاشي مثل هذا التملق الرخيص؟

لكن ماميا انتقل إلى الجانب الآخر، إلى عالم الميلودراما. «إلى اللقاء، إذاً»، قال وهو ينهض على قدميه وينحني انحناءة عميقة أخرى.

«أرجو لك حظّاً سعيداً»، سمعت نفسي أقول بغباء. بهذه الطريقة، أكون قد انضممت إلى ماميا بسرعة على الجانب الآخر.

«أرجو أن تسامحني»، قال ماميا، وهو يهرع هارباً باتجاه الباب.

بدا أن كلّ شيء يسير وفق قواعد ميلودراما تقليدية. بدأ الآن ينتعل حذاءه. عندما انتهى، انتصب واقفاً، وتصرّف كأن لديه شيئاً أخيراً يريد أن يقوله، لكنه غصّ بالكلمات في حلقه، لذلك انحنى انحناءة صغيرة أخرى، واتّجه نحو الباب نافضاً عنه المشاعر العاطفية التي كانت تعتمل في داخله. هكذا تجري الأمور في العالم المبتذل الذي بذلنا، أنا وهو، جهدنا لتجنبه.

راقبت ماميا وهو يتصرّف كما كنت أتوقّع. لقد أغلق الباب وراءه.

بعد كل ما جرى، لم أعد أشعر بالرغبة في رؤية أحد في تلك الليلة.

ظلت الشقّة كما هي عندما غادر ماميا. فلم أرفع الكأس التي كان يشرب منها وألقي بها على الأرض في نوبة غضب، ولم أحوّل انتباهي بهدوء لأحضّر طعام العشاء وأتناوله، بل اتجهت إلى غرفة نومي – الغرفة الأخرى الوحيدة في الشقّة، بالإضافة إلى الغرفة التي استخدمها غرفة جلوس ومكتباً لي في آن معاً – وارتميت على السرير. كنت لا أزال مستلقياً على السرير، أنصت إلى موسيقى هادئة على موجة إف إم، عندما سمعت جرس جهاز الهاتف الداخلي يقرع.

ألقيت نظرة سريعة على الساعة المنتصبة على المنضدة الصغيرة بجانب السرير، ورأيت أن الساعة 10:24. من يمكن أن يأتي في مثل هذه الساعة؟ فلا أحد يأتي عادة من المحطات التي أتعامل معها من دون موعد مسبق، كما أن اللوحة الأمنية عند مدخل البناية الرئيسي تمنع البائعين المتجولين الذين يتنقلون من باب إلى باب من الدخول، لكن يمكن لشخص أن ينسلّ من حين لآخر من الباب بعد أن يدخل أحد قاطني البناية، لكنهم يُطردون عادة بعد أن يصرحوا عن وجودهم عبر الهاتف الداخلي الموجود في كلّ شقة، لذلك لا أستطيع تخيّل أن ينجحوا في بيع أغراضهم. وبالطبع، هناك أشخاص كثيرون يعرفون عنواني هنا، ومن الناحية النظرية، يمكن لأي منهم أن يأتي لزيارتي، لكن لم يخطر ببالي الآن من يمكنه أن يأتي لزيارتي في هذا الوقت من دون أن يتصل بي مسبقاً. الاستثناء المحتمل الوحيد هو السيدة الصديقة التي تأتي لزيارتي هنا، لكن بالطريقة التي افترقنا بها، لا أظن أنني سأراها ثانية. فلم نكن قط، أنا وهي، على وفاق تام، حتى أننا لم نكن على وفاق كشركاء في ممارسة الجنس.

رفعت سماعة الهاتف الداخلي، وقلت: «نعم؟»

«مرحباً».

جاءني صوت امرأة، لكني لم أتمكن من التعرف على صاحبته.

«من الطارق؟»

«أنا واقفة عند باب بيتك. إني أقيم في البناية».

كان الصوت الذي ينبعث من الهاتف الداخلي هو نفسه سواء أقرع الزائر جرس اللوحة الأمنية عند مدخل البناية أو الجرس الموجود في الردهة عند باب البيت مباشرة. لذلك، شعرت بأنها يجب أن توضح لي.

«لحظة من فضلك».

تنهّدتُ متعباً. لم أكن أعرف إن كانت ستطلب مني مبلغاً للمساهمة في أعمال البناية، أم أنها ستطلب مني التوقيع على عريضة. لكنّي في جميع الأحوال، لم أكن في مزاج يمكّنني من استقبال أحد. حتى أن ملاحظتي أن صوتها يشي بصوت امرأة شابة لم يبدد انزعاجي، لكنّي لم أتصوّر أن بإمكاني تركها واقفة هناك أيضاً.

فتحت الباب.

«أوه».

كانت ذات المرأة التي كنت قد رأيتها وهي تدخل إلى ردهة البناية منذ عدّة ليال.

قالت: «أرجو ألاّ أكون قد أزعجتك». كانت ترتدي ثوباً منزلياً قطنياً، أخضر باهتاً رُسمت عليه زهرة ضخمة من الأمام. بالطبع كانت تزعجني، لكنني لم أستطع أن أقول لها ذلك.

«ماذا في الأمر؟»

كان وجهها أبيض على نحو غير طبيعي. كانت تضع مكياجاً كثيفاً لا يليق بامرأة ترتدي ثوباً منزلياً.

«هل تعرف؟» قالت، كأنها تحاول إثارة اهتمامي للحديث عن أحد.

«هل أعرف ماذا؟»

«إننا في هذا الوقت تقريباً في معظم الليالي»، قالت مشيحة عينيها عن عيني، «نكون أنا وأنت الشخصين الوحيدين في البناية كلها».

عادت عيناها لتلتقيا بعيني.

أحسست بارتعاشة وقحة، كما لو كانت حشرة أم أربع وأربعين قد

لسعتني. أليس من الطبيعي أن تكون ردة الفعل الطبيعية لامرأة تعرف أنها تقيم في البناية وحدها مع رجل غريب هي أن توصد باب بيتها بالأقفال، وأن تكون حذرة بقدر ما بوسعها؟

«لا»، قلت بنبرة تشي بأنني لا أعبأ بذلك.

أشاحت عينيها مرة أخرى، وبدا أنها تستجمع قواها للرد على البرودة الشديدة التي غلّفت صوتي. لكنني لو كنت أنا ذاتي في الأحوال الطبيعية، لأضفت ملاحظة أكثر دفئاً بسرعة حتى أصلح الأمر، لكن مزاجي كان معكراً للغاية في تلك الليلة. وقفت أمامها ولم أنبس بكلمة واحدة.

«هذا كلّ شيء»، قالت أخيراً، بنبرة يائسة فجأة.

دَفَعَت في وجهي كيساً من الورق فيه قنينة من نوع ما.

«شيء صغير بمناسبة تعارفنا الجديد»، قالت وأطلقت ضحكة مكتومة ساخرة. ثمّ، كما لو أنها أرادت أن تتوقف عن سخريتها، أضافت بسرعة بصوت أكثر إشراقاً، «إنها زجاجة شمبانيا. زجاجة نصف فارغة من الشمبانيا. فتحتها، لكنني لم أستطع أن أشربها كلّها، لذلك فكّرت بأنني ربما أستطيع أن أشاركك إياها. لأنها ستفسد إذا تركتها حتى يوم غد».

قَهْقَهَت مبتهجة.

«هذا لطف منك، لكن...»

ابتسمت ابتسامة متكلفة لكنني لم أتحرّك من مكاني.

«أوه، إنني لا أحتفل بأيّ مناسبة. ليس الأمر كذلك»، قالت. في البداية بدا أنها سكرانة بعض الشيء. «إنها مجرد زجاجة قدمها لي أحدهم منذ سنتين. رأيتها بالصدفة قبل أيام ووضعتها في الثلاجة وظننت أنني سأشربها بنفسي، وفتحتها الليلة أخيراً. أنا سكرانة، أليس كذلك؟ إني أسكر

بسرعة. أشرب ثلث القنينة وأسكر تماماً»، ضحكت مرة أخرى وأضافت، «وإلا لما تجرأت على عمل شيء كهذا. على أي حال، هل لديك مانع؟»

«عفواً؟»

«هل لديك مانع في أن أدخل؟»

نعم، بالتأكيد لدي مانع. إنها امرأة جذّابة، لكن وقاحتها أجفلتني - تطلب شيئاً كهذا من دون أي اعتبار لراحتي. كنت لا أزال أتلمّس ماذا أقول عندما عادت تتكلم.

«لم أتمالك نفسي»، قالت كأنها تتكلم بأنفاسها المحتضرة، «لا أعرف ماذا دهاني، لكن الليلة، بينما كنت جالسة في شقّتي الفارغة، فجأة لم أعد أستطيع أن أتحمّل الوحدة، لذلك، لا أعرف كم مرّة غيّرت رأيي، لكنني قررت، في النهاية، أن آتي. أقصد، أفكّر في الموضوع. في منتصف الليل، لا يوجد إلا شخص أو شخصان في البناية كلها. إنه أمر مخيف. أنا أقيم في الطابق الثالث. يمكنك أن تأتي إلى شقتي إذا شئت بدلاً من البقاء في شقتك».

يبدو أن الكحول بدأ يجعلها تفقد صوابها بعض الشيء.

«إني منهمك في عمل يجب أن أنهيه».

عاد مزاجي السيء. وقاحة المرأة! لا وقاحة المرأة الواقفة أمامي الآن، بل وقاحة المرأة التي كنت أدّعي أنها كانت زوجتي قبل ثلاثين يوماً تقريباً.

«هل تعمل؟» سألتني المرأة الواقفة أمامي.

«عفواً؟»

«هل تعمل الآن؟»

«نعم. أحاول أن أنهي عملاً مستعجلاً».

بعد أن طالبت زوجتي بالبيت الذي بنيناه منذ ست سنوات، والأرض التي شُيِّد عليها بالإضافة إلى السندات المالية التي كنت قد أخطأت وسجلتها باسمها مع كلّ مدّخراتنا، مثّلت أياكو تمثيلية أمام القاضي تدل على كرمها وقالت: «أظن أنه يريد انفصالاً نظيفاً، لذلك لن أطالبه بنفقات تعليم ابننا». يا إلهي، كان ماميا يترصّد في الظل طوال الوقت.

«نعم»، كانت المرأة الواقفة أمامي تهز رأسها.

«هه؟»

«إذا كان لديك عمل، فإني أظن أنه ليس وقتاً مناسباً».

«أظن ذلك».

«أرجوك اعذرني».

«لا داعي للاعتذار»، مددت يدي نحو أُكرة الباب.

«أوه»، صاحت بدهشة، لكنّي أغلقت الباب قبل أن تتمكن من قول إنها لا تزال تريد أن تترك الشمبانيا عندي. حتّى عندما رأيت صورتها تتلاشى، توجّه تفكيري إلى مكان آخر. لقد عاد غضبي من أياكو وماميا، وتضخم مثل موجة هائلة في داخلي. دفعت الرتاج بقوة، وسُمع صوت طقة عالية.

عدت إلى سريري، وفتحت المذياع ثانية.

على الفور تقريباً، غمرني شعور بالقلق.

كان عقلي في سباق مع الزمن. ربما كان عليّ أن أطلب منها أن تدخل. عندما يظهر أمامك أحد فجأة ويكلمك بهذه الطريقة، ألن تخطر ببالك أشياء خطيرة؟ أم أن ذلك لا ينطبق إلا عليّ، أما بالنسبة لها فلا يعدو

الأمر مجرد مزحة ونوع من اللهو؟ لكنها قالت أيضاً إنها لا تعرف كم مرّة غيّرت رأيها. ماذا لو أنها أقدمت على عمل طائش لأني عاملتها بجفاء؟ ماذا لو أن وحدتها الساحقة جعلتها تقتل نفسها؟

أوه، هيا تمالك نفسك! قلت لنفسي. إنها لن تموت. لم يكن يبدو على وجهها شيء من هذا القبيل.

نهضتُ وفتحتُ الباب مرة أخرى. كانت الردهة فارغة. أرهفتُ السمع، لكن كلّ ما سمعته كان هدير الشاحنات المندفعة في الخارج.

أنا آسف، لكن ببساطة لا أملك الآن وقتاً لمشاكل الناس الآخرين. فأنا لديّ مشاكل كثيرة.

إني أحاول أن أجد أعذاراً واهية. عدت أدراجي إلى غرفة النوم.

جافاني النوم. صببت لنفسي كأساً من الويسكي.

ظل التفكير بالمرأة يلاحقني عندما بدأ الكحول يسري في أوصالي ببطء، لكن الجزء الأكبر من عقلي كان يصارع الصدمة التي وجّهها لي ماميا وزوجتي السابقة.

طلع الصباح. بدأ ضجيج النهار يعيد الحياة إلى البناية شيئاً فشيئاً. نقرات كعوب الأحذية فوق بلاط الطوابق، أولاً في اتّجاه، ثمّ في اتّجاه آخر. الأبواب توصد بالأقفال. الهواتف ترّن. أصوات الناس. وصل المدّ المتصاعد أخيراً إلى البيت المجاور عندما بدأ الموظفون أيضاً في المكتب يتحركون للقيام بأعمالهم اليومية، الشيء التالي الذي عرفته هو أن الظهر قد حلّ تقريباً. عليّ أن أتأكّد من أن المرأة لا تزال على ما يرام، لكنّي كنت مرهقاً إلى درجة أنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً حيال ذلك.

3

بعد يومين، صادفت المرأة في ردهة البناية.

كان المطر يهطل بغزارة في عصر ذلك اليوم. رأيتها تدخل البناية وأنا خارج من المصعد في طريقي لحضور اجتماع في محطة التلفزيون.

كانت تحمل مظلّة بيد، وقد تدلىٰ من اليد الأخرىٰ حقيبة وكيسان أو ثلاثة أكياس بقالة بلاستيكية منتفخة. رأتني.

«مرحباً»، بادرتها. شعرت بضرورة الاعتذار منها.

«أنا آسفة كثيراً لما حدث في تلك الليلة»، قالت بانحناءة مهذبة، في صوتها نبرة حادة قليلاً. «كان من الوقاحة أن آتي إلىٰ شقتك في تلك الساعة المتأخرة من الليل». عندما رفعت رأسها، رأيت مسحة من الحرج تلوح في عينيها، وبدت أجمل من قبل بكثير.

«لم يكن تصرفي لائقاً أيضاً».

«إني في غاية الأسف لأنني أزعجتكَ وأنتَ في غمرة انهماكك في إنهاء عملك».

«أرجوكِ لا تقولي ذلك. إن كنتِ تحبين، فإني أودّ أن أدعوك لاحتساء شيء معاً في وقت آخر».

«هذا لطف كبير منك. إني حقاً محرجة».

عندما تودّعنا، ذهب كل منا في سبيله. لمحتُ بعض الخضراوات الورقية في كيس تسوق ورقي تحمله عندما تجاوزتها باتجاه مدخل البناية.

تنفّستُ الصعداء، لكني في الوقت نفسه، أحسست أن الريح قد ألقت بأشرعتي. ففي الليلة الماضية، خرجتُ بعد الساعة العاشرة ليلاً بقليل للتأكد من وجود نور في أيّ نافذة في الطابق الثالث. كان المطر لا يزال يهطل. وجدت نافذة مضيئة لامعة في كلّ الطوابق الأول والثالث والخامس. لم يظهر ظل أحد في نافذة الطابق الثالث.

لكني سرعان ما أدركت بأنّ نافذة مضاءة لا يعني بالضرورة شيئاً، فربما تكون مستلقية على أرضية الغرفة الباردة، وقد تركت جميع أضواء الشقة مضاءة.

وقفتُ تحت المطر ورحت أراقب النافذة لفترة من الوقت. ثم عدت أدراجي إلى شقّتي دون أن أسعى للتحقّق أكثر، لكن أفكاراً مريعة عن المرأة ووحدتها ظلت تثقل على عقلي.

الآن، بعد كل القلق الذي وضعت نفسي فيه، كيس البقالة البلاستيكي الذي تنسلّ من فتحته خضراوات أعادني إلى الحقيقة.

كان يجب أن أعرف بشكل أفضل، قلت لنفسي وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي وأنا أشقّ طريقي نحو المحطة. فالناس ليسوا متحمسين لبذل كل ما بوسعهم في معظم الأوقات.

ثمّ جاء اليوم الحاسم- يوم في مطلع شهر آب (أغسطس).

كنت لا أزال ملازماً البيت ولا أخرج كثيراً. فلم أعد أحضر حفلات ولم أعد أرتاد النادي مع أصدقائي. فأنا بادئ ذي بدء، لست رجلاً

اجتماعياً، وقد جعلت إجراءات طلاقي لزوجتي والصدمة التي وجّهها لي ماميا مني رجلاً انطوائياً أكره الاختلاط بالناس.

عندما صادفت المرأة عند مدخل البناية، اقترحت عليها أن تزورني وأن نحتسي شيئاً عندما تشاء. لكن بعد مرور الأيام لم أعد أشعر بالرغبة في الاتصال بها. وهي، من ناحيتها، لم تتصل بي أيضاً.

بالطبع، فإن دعوات كهذه لا تعني في غالب الأحيان شيئاً أكثر من القول «إني سعيد برؤيتك»، أو «إني سعيد بالتحدث إليك». إن تقديم الوعود الواهية والتأكيدات الجوفاء في أوساط أعمال الترفيه أمور شائعة مثل التنفّس، والجميع يعرفون بأنها لن تؤخذ على محمل الجد.

«يجب أن نذهب ونشرب معاً في يوم ما، لا لنتحدث عن العمل بل لنتسلى فقط».

«من أجل الحصول على فرصة عمل في أحد مشاريعك، سأعتذر من جميع الأشخاص الآخرين الذين يأتون لرؤيتي في الحال».

«لا ريب في ذلك. إذا لم نفعل شيئاً في القريب العاجل، فإن الدراما التلفزيونية اليابانية ستصبح في مهب الريح. ذات يوم، يجب أن نضع، أنا وأنت، رأسينا معاً ونعيد الأمور إلى نصابها».

«قل لي، لماذا لا أحصل قط على دور في الأعمال التي تكتبها؟ هل هذا صحيح؟ أوه، هذا صحيح، ألست أنت كاتب السيناريو؟ يا لي من أحمق، إني غبي حقاً. لقد أحببت العمل الذي كتبته. كان رائعاً. لم أر شخصية عميقة بهذا الشكل، ليس في التلفزيون».

خلال ثمانية عشرة عاماً من العمل في كتابة السيناريو، تعلّمت ألاّ أختبر صدق هذه المجاملات.

لم تكن جارتي القاطنة في الطابق الثالث تعمل في صناعة الترفيه، بالطبع، لكنها تنتمي أساساً إلى ذات الثقافة الحضرية. لذلك فإني أشك في أن باستطاعتها أن تبحر في حياتها اليومية بدون المجاملات الفارغة تماماً. بالإضافة إلى ذلك، لنفترض أنني دعوتها إلى شقتي، فما هي الأشياء التي يمكننا أن نتحدّث عنها؟ فلا يوجد لديّ أي اهتمام بالاستماع إلى ثرثرتها عن عملها أو عن حياتها الخاصة أو عن ماضيها. قد تكون إقامة علاقة جنسية مقبولة لو توقف الأمر عند هذا الحد، لكنّي أجفلت عندما خطر لي بأنني قد أقع فريسة لتلك المشاكل.

إذن لنعد إلى ذلك اليوم الحاسم في مطلع آب (أغسطس) - الرابع من آب لكي أكون أكثر دقة. ففي عصر ذلك اليوم، اشتريت ربطة عنق من أحد المحلات الكبيرة في جينزا.

«إنها هدية»، قلت للبائعة التي كانت في الثلاثينات من عمرها.

اختارت أربع أو خمس ربطات عنق من الواجهة الزجاجية ووضعتها على المنضدة. بدت لي جميعها داكنة وباهتة، وقلت لها ذلك.

«هل قلت إن الشخص الذي تريد أن تقدم له الهدية في الأربعينات من عمره؟»

«نعم، في أواخر الأربعينات».

«في هذه الحالة، لا أظن أنه سيجدها باهتة جداً، لكن دعني أرى...». ثم اختارت بسرعة أربع أو خمس ربطات أخرى، ورتبتها على المنضدة. هذه المرة، اختارت ربطات عنق فاقعة الألوان حتى كدت أجفل من شدة بريقها.

«ماذا عن شيء بين هذا وذاك؟» قلت لها.

يبدو أنها لم تفهم ما الذي يجول في رأسي.

«مثل ماذا؟» سألتْ.

«شيء ليس باهتاً جداً ولا صارخاً جدا»، قلت ورحت أتفحص المجموعة المعروضة في الواجهة الزجاجية. لكن سرعان ما تبين لي أنني أبحث عن المستحيل. إني أطلب شيئاً غير موجود لديهم.

خطر لي أن الجهود التي كنت أبذلها لأفعل شيئاً بدافع من الاستقلالية الجديدة التي حزت عليها مؤخراً، لم تكد تتغير. وقلت لنفسي إنني غير قادر على أن أضع إصبعي على الشيء الذي أريده بالتحديد. فقد أصبحت أبدي استياءً مما كان يبدو شديد الرصانة، وانكفأت عن كل ما يبدو جامحاً، وصرت أبحث عن شيء غير موجود أصلاً.

في النهاية، مع أنني أشكّ في أنني سأرتديها في الواقع، غادرت المحل وأنا أحمل ربطة عنق صفراء براقة عليها خطوط عريضة برتقالية وصفراء وخضراء.

شعرت بالاشمئزاز من نفسي لأنني قلت للبائعة إنها هدية. رجل في عمري يهدي نفسه ربطة عنق بمناسبة عيد ميلاده - ياله من أمر مثير للشفقة. إن التأثر بعواطف كهذه لم يحدث لي حتى عندما كنت شاباً، وبالتأكيد لم يكن هذا الضرب من الأشياء هو الذي أهتم بأن يعرف عنه أحد شيئاً.

أحياناً، عندما كنت أسافر إلى الخارج، كنت أتساءل إلى أي مدى يمكن أن تتوسع آفاقي لو كنت أجيد التحدث باللغة المحليّة. عندها سيكون بإمكاني أن أتحدّث بسهولة مع أي شخص ألتقي به، وبإمكاني كذلك أن أغوي النساء.

لكني، في الحقيقة، كنت أعرف أنني مهما أتقنت التحدث بتلك اللغة، فإني سأظل أجد نفسي مقيداً بقيود طبيعتي، فأنا شخص قليل الكلام، ولا أستطيع أن أفتح حديثاً مع غرباء أو أن أحظى باستحسان النساء. وبنفس الطريقة، لعل الطلاق يوسّع آفاق كاتب مسلسلات تلفزيونية تجاوز الأربعين من العمر بكثير. كنت أعرف ذلك.

«أعرف أن هذا صحيح، لكن بالرغم من ذلك...» دمدمت لنفسي.

كان المساء قد بدأ يهبط على المدينة، وبدا أن الحرارة الخانقة التي أحكمت بخناقها على المدينة منذ الصباح قد خلّفت طبقة رقيقة من السخام على كلّ شيء يلامسه. عندما رحت أسير على الرصيف والهواء الدبق يلفّني، وجدت نفسي أقاوم رغبة قدميَّ في أن أستدير وأعود مباشرة إلى البيت.

يمكنني أن أرى نفسي وأنا أعود إلى الشقّة وأستحمّ، ثمّ أجلس وأعمل براحة في البيت المكيّف بالهواء لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات. إن ذلك سيخفّف من العبء الذي يثقل كاهلي في اليوم التالي، ثمّ أستلقي على الأريكة، وأرشف من كأس الويسكي وأنا أشاهد فيلماً لفيليني أو فيلماً مشابهاً آخر على الفيديو. بعبارة أخرى، ستكون أمسيتي كما كانت تماماً في المساء السابق.

كنت أتوق إلى شيء مختلف بعض الشيء، لا لأنه عيد ميلادي.

أدركت أنّني غرقت في لجة الاكتئاب. على نحو ما، يجب أن أنتشل نفسي منه، عليَّ أن أواصل حياتي الجديدة. من هذا المنظور، فإن شراء ربطة عنق لأقدمها هدية لنفسي في عيد ميلادي يمثّل أسوأ حالة عقلية يمكن أن تصيبني.

توقّفتُ. ثمة شيء لفت انتباهي - مع أنني لم أكن متيقناً من ماهيته.

وجدت نفسي واقفاً أمام مدخل محطة مترو جينزا. كان مكتوباً على اللوحة المعلقة على درج مدخل المحطة: «إلى شيبويا وأوموتيساندو. إلى أساكوسا وروينو»، وهذا يعني أن هذا القطار يمكن أن يوصلني إلى الاتجاهين كليهما.

أساكوسا. هذا ما جعل قدميَّ تتوقفان. يبدو أنني لم أر هذا الاسم منذ أمد بعيد.

أساكوسا هي المنطقة التي ولدت فيها.

هذا هو! قرّرت في الحال. سأزور أساكوسا. الآن، بعد أن عرفت أخيراً إلى أين أريد أن أتوجّه، رحت أهبط الدرجات جرياً.

لقد مضت عدة سنوات - ربما أكثر من عشر سنوات - منذ أن ذهبت إلى أساكوسا.

كنت قد ولدت في أساكوسا في عام 1939. الابن البكر لطاهي سوشي، ومساعداً في المطبخ يعملان في المطعم نفسه. كنا نقيم في شقّة قريبة من محطة مترو تاوارا - ماتشي. كان أبي قد خدم مرتين في الجيش، مرة قبل أن أولد وأخرى بعد أن ولدت. قبل نهاية الحرب بقليل، عندما كان أبي لا يزال بعيداً، انتقلتُ أنا وأمّي لنعيش مع جدي وجدتي في البيت الذي كانت قد أمضت فيه طفولتها في توتشيجي، شمال طوكيو. عندما وضعت الحرب أوزارها، وعاد أبي إلى الوطن من الفلبين في عام 1946، عدنا مباشرة لنعيش في أساكوسا. كان أبي وأمّي يطهيان أي شيء صالح للأكل ويبيعانه في السوق السوداء على أنه «حساء فيتامين». كنت آنذاك في المدرسة الابتدائية، لكنّي كنت أساعدهما كثيراً أيضاً. أتذكّر كيف أراقب أمّي وهي تجعل

الحساء سميكاً بخلط الطحين والماء في طاسة كبيرة وتحرّكه في قِدر كبير يقبق. كان البخار يتصاعد من القدر ويلفّ وجهها الفتي.

عثر أبي أخيراً على وظيفة منتظمة كطاهي سوشي عندما اندلعت الحرب الكورية في عام 1950. كان المطعم يقع في نيهونباشي، لكن أبي وأمّي كانا يحبّان أن يعيشا في أساكوسا، لذلك ظلا يقيمان في تلك المنطقة. كانت الشقة التي يستأجرانها تقع في الطابق الثاني في بيت صاحبه سمكري، وراء معبد هونغانغي.

في تلك الشقّة حملت أمّي بطفلها الثاني.

لكن من المحزن أنني لم أكتشف قط إن كان الطفل الذي حملت به أمّي سيكون أخي الصغير أم أختي الصغيرة.

ففي كانون الثاني (يناير) من السنة التالية، كانت أمّي تركب في المقعد الخلفي لدراجة أبي عندما صدمتهما سيارة أمام مبنى المسرح الدولي، وماتا على الفور، ولم يُعثر على السيارة التي صدمتهما وهربت.

قال عمّي في ناغويا إنه يظن أن السيارة التي صدمتهما هي سيارة جيب تعود إلى الاحتلال الأمريكي، لذلك لم تتمكن الشرطة من متابعة القضية، لكن أحداً أخبرني آنذاك أن سيارة صغيرة سوداء هي التي صدمتهما.

بعد أن فقدتُ أمّي وأبي وأنا لا أزال في الثانية عشرة من عمري، انتقلت للعيش مع جدّي الأرمل في يتشي، القرية الزراعية التي لا تبعد كثيراً عن ناغويا، حيث ترعرع أبي. لم يكن ما تنتجه أرض جدّي يكفي لنقله إلى السوق، لذلك كنا نتناول ما نزرعه في معظم الأحيان. يخيّل إليّ أن جدّي كان حزيناً عليّ، وقلما كان يطلب مني مساعدته في الأعمال العادية في

الحقل. لكنّي بذلت جهداً كبيراً لأصبح فتى ريفياً عادياً. كنت أعرف أن عليّ أن أتخلص من كلّ ما يدلّ على أنني تربيت ونشأت في المدينة بأسرع ما بوسعي إذا كان عليّ أن أدرس في المدرسة الثانوية المحلية.

تيتّمتُ مرة أخرى عندما مات جدّي وأنا في منتصف السنة في مدرستي الثانوية. جاء عمّي ليبيع المزرعة، ثم انتقلت لأعيش معه في ناغويا خلال سنتي الأخيرة ونصف السنة في المدرسة الثانوية.

عُدتُ إلى طوكيو والتحقت بالجامعة. طمأنني عمّي بأنه سيرسل لي النقود التي أحتاج إليها لأكمال دراستي. لكنه توفّي بعد عدة سنوات، وألمح أحد الأقارب البعيدين الذي حضر الجنازة بأن عمي خدعني وأعطاني أقل بكثير مما أستحقه، لكنّي لا أظن أن أراضي جدّي الضئيلة كانت قد بيعت بمبلغ كبير، لذلك لم يخامرني أدنى الشكّ في سخاء عمّي معي.

نزل عدد كبير من المسافرين في محطة نيهونباشي، وصعد عدد أكبر في محطتي كاندا وينو. عندما وصل القطار إلى نهاية الخطّ في أساكوسا، لم يكن قد تبقى في كل عربة أكثر من ثلاثة أو أربعة مسافرين.

صعدتُ الدرجات التي تفضي إلى بوابة كامناريمون، وخرجت إلى العتمة التي بدأت تزداد حلكة. وبخلاف ما كنت أتوقّعه من فراغ القطار من الركاب، وجدت الشوارع والأزقة في المنطقة متوهجة الإضاءة وتعجّ بالمشاة.

بعد أن اجتزت البوابة الضخمة، رحتُ أتمشى بين المحلات المنتشرة على جانبي الطريق المؤدي إلى معبد سينسوجي. لم أكن أمانع من زيارة المعبد الذي تقع المنطقة الترفيهية في جهته الغربية مباشرة، لكنّي بقيتُ متردّداً في مواصلة جولتي إلى تلك الأنحاء في أساكوسا التي ترتبط

بذكريات طفولتي بكثير من الحميمية. ففي جميع زياراتي السابقة، لم تتجه خطواتي قط صوب المسرح الدولي، أو باتجاه الشوارع المحيطة بمعبد هونغانغي أو محطة تاوارا -ماتشي. بما أن هذه هي طوكيو، كنت أعرف أني مهما ابتعدت عن وسط أساكوسا، فمن المحتمل أن لا تكون تلك الأحياء قد بقيت على حالها بعد أكثر من ثلاثين سنة، لكني ظللت على الرغم من ذلك أخشى المجازفة والذهاب إليها.

كنت أخشى مثلاً مما يمكن أن يحدث لو اكتشفت أن محل السمكري لا يزال موجوداً في المكان الذي أمضيت فيه أنا ووالداي آخر أيامنا وشهورنا معاً. فمن الممكن أن تعاودني تلك المشاعر العاطفية التي خفتت كثيراً في داخلي طوال هذه السنوات، وتفتح فوهات السد المغلقة فيتدفق طوفان هائج من الذكريات لا يمكن السيطرة عليه.

لم أذرف الكثير من الدموع على والداي منذ موتهما عندما كنت في الثانية عشرة من عمري. لكني إذا سرت في الشوارع والأزقة التي عرفتها في طفولتي مرة أخرى، فقد يحدث شيء قد يذكّرني بالزمن الذي أمضيته مع والداي هناك، ويقطع آخر حبل يربط الدرع الذي ظل يحميني طوال تلك الفترة. فقد أُصبح عارياً وأنهارُ وأنفجر في البكاء.

هيا اكبر قليلاً وكفّ عن التذمر والأنين، قلت موبّخاً نفسي. كما أنك تعرف تمام المعرفة أن فندقاً حديثاً ضخماً قد شُيِّد في المكان الذي كان فيه المسرح الدولي منذ فترة طويلة.

عندما وضعت 100 ين في صندوق الهبات أمام المعبد، ضممت يديَّ وأغمضت عينيَّ. اجتاحني وميض من الضوء. عندما استدرت لأنظر ماذا يحدث، رأيت رجلاً أبيض عجوزاً يخفض كاميرته، ويراقبني

بشيء من التوتر كما لو أنه شعر بالقلق لأنه ظن أنه ربما أساء إليّ. ابتسمت له، وأومأت برأسي، فبدا أنه شعر بالارتياح. قال شيئاً بالإنكليزية ولوّح بيده.

غادرت المعبد عبر مدخل جانبي بالقرب من قاعة المعبد الرئيسية. كان عدد المارة هنا أقل بكثير، وكذلك عدد الأضواء المتوهجة. عندما رحت أمشي باتجاه دور السينما، سار إلى جانبي رجل وراح يجاريني في مشيتي.

«أتبحث عن وقت ممتع يا سيد؟» سألني بصوت أجش.

«لا شكراً، لدي عمل».

انعطفتُ عائداً إلى الشارع قبالة المبنى الذي توجد فيه مكاتب، وتوقّفت عند مطعم لأتناول سمك الأنقليس. كانت الساعة السابعة والنصف عندما دخلت إلى منطقة المسارح أخيراً.

هواء خانق بائس يخيّم على المنطقة. لا يزال هناك سبعة أو ثمانية مسارح تعمل، لكن الشارع كاد يكون مقفراً. ربما بسبب الوقت الآن، وربما كان هذا متوقّعاً، لأن العروض الأخيرة اليوم قد بدأت. لكنّني تذكّرت أيضاً كيف كانت الشوارع مقفرة حتى في أثناء منتصف النهار في آخر مرة جئت فيها إلى هذه المنطقة، وجعلني ذلك أتساءل عمّا إذا كانت تسود المكان دائماً أجواء زمن منسي قديم.

فجأة لاحت أمامي بناية عالية شديدة الإضاءة. ساحة صغيرة في المقدمة جعلتها تبدو بعيدة عن الشارع، وبدت كأنها تظهر من لا مكان. فلم تكن موجودة خلال زيارتي الأخيرة.

بما أن البناية تضم مجموعة متنوعة من المحلات، فهي تلائم أن تكون

في منطقة شيبويا أو كيتشيجوجي، أو أيّ منطقة تسوّق نـشطة أخـرى. أمـا هنا فقد بدت غير ملائمة على الإطلاق لأنها تتناقض تماماً مع المباني القديمة المتداعية القريبة منها، وتعطي الانطباع بأن بناية من عصر مختلـف تمامـاً قـد غُرست في هذا المكان بطريق الخطأ.

بالنسبة لي، تشكل هذه البناية النظيفة البراقة ندبـة في مـشهد المدينـة أكبر بكثير من المسارح المكسوة بـالألواح والمغلقـة، أو المـساحات العاريـة المكشوفة التي بقيت هنـاك حيـث هُـدمت البنايـات. إلا أني أظـن أن هـذا الانطباع سيتلاشى عندما تتحول المنطقة كلها لتجاريَ أسلوب هذه البنايـة الجديدة.

سار قواد آخر بجانبي.

«عندي فتاة جميلة، يا سيد. إنها لا تتجاوز الثامنة عشرة مـن العمـر. لها مؤخرة عظيمة».

«لقد أنهيت عملي للتو».

«آه، جيد جداً، يا سيدي. أرجوك زرنا مرة أخرى».

التهذيب غير المتوقّع في ردّه جعلنـي ألتفـت وأنظـر إليـه. فوجئـت برؤيته وهو يبتسم لي ابتسامة ودّية ويخطو إلى الوراء.

في الغالب، عندما تقول للقواد الذي يقترب منك بهذا الشكل إنـك غير مهتم، فإنه يتركك ويبتعد عنك فـوراً. لـذلك لم أتوقّـع أن يظـل واقفـاً ويحدّق بي. ليس ذلك فقط، بل جردّني من كلّ أسـلحتي بابتـسامته التـي لم يكن فيها أي تلميح «بالتأكيد، إني أراهـن»، بـالتهكّم الـذي يبديـه هـؤلاء الرجال عادة، ووجدت نفسي أبادله الابتسامة بشكل غريزي.

بعد لحظة، توقفت عن السير. أدركـت أننـي إذا مـضيت في طريقـي

حتى نهاية الشارع حيث تقع دار سينما تويي، فإنني سأرى مبنى المسرح الدولي في الجهة اليسرى، بل سأرى الفندق بطوابقه العالية الذي شُيِّد في مكان المسرح الدولي الذي هُدم. أردت تفادي ذلك، فقرّرت العودة.

عندما كنت طفلاً لم أر كثيراً من الراقصين المشهورين في المسرح الدولي. لكن المبنى كان يلوح لي ضخماً أثناء ذهابي وإيابي كل يوم حتى بلوغي الثانية عشرة من العمر. وكانت آخر ذكرى أحملها عن طفولتي في أساكوسا هي رؤية دم والداي الذي كان يلطّخ رصيف الجادة العريضة أمام المسرح، على مسافة قصيرة في الشارع المتجه نحو محطة مترو تاواراماتشي.

عندما توقّفت في المرة التالية، وقفت أمام مسرح أساكوسا للمنوعات. كانت المناجاة الهزلية الجارية في تلك اللحظة تُنقل إلى خارج المسرح عبر مكبّر صوت من المدخل. كانت الأبواب لا تزال مفتوحة، لكن لم يكن هناك أحد يدخل. كنت أنا الوحيد الذي توقّف عند المدخل.

تصوّرت أن الصالة لن تكون ممتلئة. شعرت بالرغبة في مشاهدة فصل أو فصلين قبل أن أعود إلى البيت، ونظراً لتأخر الوقت، فقد خُفض رسم الدخول من 1500 ين إلى 1000 ين.

لدهشتي الكبيرة، كانت القاعة تعجّ بالناس. بل كانت معظم المقاعد الإضافية مشغولة، وكان هناك عدد آخر من الأشخاص واقفين. لم أكن أتوقّع أن أرى مثل هذه الأجواء الحيوية المشحونة كما كانت تبدو من الخارج. كانت الضحكات تنطلق من الجمهور في قهقهات مجلجلة بينما كان الحكواتي الشاب يعتصر كل مشهد هزلي من قصته.

استمرت المناجاة أربع أو خمس دقائق أخرى قبل أن تُختتم بموجة

قوية من التصفيق. وعندما هدأت حدة التصفيق، انطلق إعلان عبر مكبرات الصوت.

«يرجى من أعضاء جمعية أصحاب المحلات، و«مجموعة شركة الحمامة للسفريات»، العودة إلى الحافلات الآن».

على الفور، نهض عدد كبير من الجمهور وبدأوا يحتشدون في الممرات بين المقاعد ليتجهّوا نحو الأبواب.

لمّا كنتُ كاتب مسلسلات تلفزيونية، أقدم أيضاً عروضاً لتسلية الجمهور، فإني لم أر في حياتي خروجاً جماعياً كهذا. إن رؤية الناس وهم يغادرون بهذا الشكل كأن شيئاً لا يمكن أن يوقف زحفهم كان أشبه برؤية أسوأ كوابيسي يتحقّق.

عزفت الفرقة الموسيقية موسيقى تعلن عن بدء الفصل التالي، وظهر حكواتي جديد. حتى بعد أن اتخذ مكانه على الوسادة في وسط المسرح، كان المشاهدون الذين يهمّون بمغادرة المسرح لا يزالون يملؤون الممرات وهم يتجهون نحو أبواب الخروج.

«شكراً جزيلاً على مجيئكم»، صاح بهم الحكواتي الذي كان في منتصف الخمسينات من عمره، بصوت حاد النبرة. ضحك الحاضرون الذين كانوا لا يزالون جالسين. «نعم، بالفعل، باب الخروج في هذا الاتجاه، لذلك، أرجوكم أسرعوا الخطى، أسرعوا في الصعود إلى حافلاتكم. شكراً جزيلاً على مجيئكم». تهاوى حتى كاد يجثو على ركبتيه، وراح يكرّر بصوت تصحبه شهقات مفتعلة، «شكراً جزيلاً على مجيئكم». تواصل النزوح الجماعي بلا هوادة. «من هذا الطريق، يا ناس. ذاك هو باب الخروج لمن يرغب في المغادرة»، ثم راح يمثّل بأنه يبكي، وتدلى لسانه حزناً وأضاف،

«إني أعبد شركة الحمامة للسفريات، وعندما تعودون إلى بلدكم، أرجو ألاّ تنسوا أن تتباهوا أمام أصدقائكم بأنكم شاهدتموني أيضاً».

خيّم صمت مطبق على القاعة مرة أخرى. لم يبق فيها عدد كبير من الناس.

«قد تكون شركة الحمامة للسفريات شديدة الفظاظة»، قال الحكواتي متنهداً، «هذا بيني وبينكم، الآن»، قال، مخفضاً صوته ليصبح همساً، «لكن شركة الحمامة للسفريات تأتي بهؤلاء الأشخاص بنصف رسم الدخول فقط. 750 يناً للشخص الواحد. لذلك، قبل أن تفكّروا بهذا العدد الكبير من الحاضرين، يجب أن تتذكّروا أن اثنين منهم يساوون ثمن بطاقة دخول كاملة، ثم يقفزون ويخرجون بلا تردد أو أسف للحظة واحدة. إنهم يسمعون النداء للصعود إلى حافلاتهم، وبوم بوم بوم، تراهم يندفعون مذعورين نحو الأبواب. لا أستطيع أن أتحمّل ذلك. أنا آسف، لكني يجب أن أقول لكم الحقيقة الناصعة، لا أستطيع أن أتحمّل شركة الحمامة للسفريات».

كان ينوي أن يحوّل ذلك إلى مشهد من التهريج، لكنه بدا في غاية الجدّية، فملأ الأجواء توتّراً شديداً، ثمّ كسر صوت الصمت.

«إنهم لا يزالون هنا، كما تعرفون».

ازدادت دقات قلبي.

ازداد الحكواتي هياجاً، وقال: «لا! إنكم تسخرون مني، أليس كذلك؟ هذا ليس صحيحاً، أليس كذلك؟»

«إني أمزح»، قال الصوت نفسه. فانفجر الجمهور في الضحك.

«لماذا، أيها الوغد القذر، أنت! هذا أمر فظ. لم يعد كبدي يضخّ. لا،

لا، لا، أعني قلبي، ليس كبدي. أنا أحبّ شركة الحمامة للسفريات، أريدكم أن تعرفوا هذا. صدقاً، أقول لكم ذلك. أنا أكبر نصير لها. يا إلهي. يجب ألاّ تثير الناس حول الأمور المتعلقة بالحياة والموت. إن شركة الحمامة للسفريات هي التي تضع هذا الأمر على طاولتي».

بدأت مناجاته تتحوّل إلى توبيخ، فقال: «لا أظن أنني أقصد الذين بقوا منكم هنا، لكنّها مشكلة كبيرة أن أصعد على خشبة المسرح هنا وأرى ثلاثة أرباع الحاضرين يتجهون نحو الأبواب. هذا يجعلك تريد أن تأخذ أغراضك، وتتّجه إلى البيت مباشرة».

نهضت من مقعدي في الخلف، وانتقلت إلى مقعد في الصفوف الأمامية.

«هيه أنت هناك، يا سيد، لا ترعبني هكذا»، قال الحكواتي وهو ينظر إليّ مباشرة. «على ديدجا أن ينهض عندما ظننت أنني تمكنت من ترقيع خرق في السد؟ كنت على وشك أن أنزل وأمسك بك من كمّ قميصك، وأتوسل إليك بأن لا تذهب - حتى أدركت أنك جئت لتجلس في الصفوف الأمامية، شكراً جزيلاً. أرجوك، تقدم إلى الأمام أكثر. يجب ألاّ تتوقّف هناك. تعال واجلس في مقعد حيث يمكن أن يصلك رذاذ بصاقي المتطاير».

عاد الحاضرون إلى الضحك، بعضهم ينظرون إلى الرجل الواقف على المسرح، وبعضهم ينظرون نحوي.

في هذه اللحظة، حوّل الحكواتي ثرثرته المتواصلة إلى موضوع جديد، وراح يسخر من بعض ممثلي التلفزيون المشهورين.

لم أغيّر مقعدي حتى أرى المسرح بشكل أفضل. وفي الواقع، لم

يكن لديّ سبب وجيه لأغيّر مكاني على الإطلاق. كان تصرّفاً سخيفاً مني.

على الرغم من كل ذلك، لم أنظر في اتّجاهه مباشرة، بل غيّرت مكاني لكي أجلس في زاوية أفضل وأرى الرجل الذي قال: «إنهم لا يزالون هنا». من المقعد الذي كنت جالساً فيه، لم أكن أرى سوى مؤخرة رأسه.

لقد ذكّرني صوت الرجل وشكله من الخلف بأبي على نحو غريب. أبي المرحوم. ولهذا السبب، تملكني دافع مفاجئ للانتقال إلى المكان الذي أستطيع أن أرى فيه الرجل من الجانب.

لكن ما الضير إذا ذكّرني ذلك الرجل بأبي؟ ماذا في ذلك؟ فقد مات أبي وهو في التاسعة والثلاثين من العمر، لذلك، فلو كان لا يزال حيّاً اليوم، لأصبح في الخامسة والسبعين. لو كان في ذلك الرجل، في ذلك العمر، شيء يذكّرني به، لبدا سلوكي أكثر تعقلاً، لكن هذا الشخص بدا كما لو أنه لا يزال في الثلاثينات من عمره. كان ثمة شيء غريب في ردة فعلي تجاه هذا الأمر.

لتحاشي لفت المزيد من الانتباه إليّ أكثر مما فعلت، تعمّدت أن أشارك الجمهور الضحك، لكنّي لم أعد أكاد أسمع ما يقوله الحكواتي. تملكتني رغبة شديدة في أن ألتفت إلى الرجل وأنظر إليه. كان صوته يشبه صوت أبي على نحو مثير للدهشة. وبدت هيئته من الخلف شبيهة بصورة أبي التي بقيت محفورة في رأسي إلى درجة كبيرة. وهذا ما حفّزني إلى الرغبة في رؤية وجهه: أردت أن أراه جيداً وأؤكد لنفسي بأنه لا يشبه أبي. فلا يمكن لأحد أن يشبه أبي إلى هذا الحد. رحت أبحث عن الجرعة الصحية من خيبة الأمل التي ستهدئ من شدة خفقان قلبي.

انتهت المناجاة.

التفتُ لأنظر إلى الرجل. إنه أبي. لا إنه رجل يشبه أبي شبهاً تاماً ساعة موته.

يا إلهي! قلت في نفسي، وأشحت بنظري بسرعة. لم أكن أصدق أن هناك شخصين مختلفين يشبهان بعضهما شبهاً تاماً بهذا الشكل.

بدأت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً يشير إلى بدء الفصل التالي، وصعد حاويان، رجل وامرأة، إلى المسرح.

لم أجد الشجاعة لكي ألقي نظرة نحو الرجل مرة أخرى. فأنا لم أره لأكثر من ثانية، قلت لنفسي. كما أنني لم أكن قريباً منه كثيراً. على أي أساس، يمكنني أن أحكم عليه من مجرد نظرة واحدة؟ قد يبدو الرجل مختلفاً تماماً عن أبي لو رأيته من الأمام. يمكن أن تحدث أشياء كهذه باستمرار.

اعترتني رغبة في رؤيته من الأمام، ولم أعد أستطيع أن أتمالك نفسي. لكنّي أعرف تمام المعرفة بأن لا جدوى من كل ذلك. فلا يمكن، بأي حال من الأحوال، أن يتجوّل أبي حالياً في أساكوسا.

على خشبة المسرح، كان أحد الحاويين يحاول تثبيت كرة باتزان على رأس عصا مثبتة بدورها على جبهته. مشى يساراً، ثمّ خطا عدّة خطوات سريعة إلى اليمين كي لا تقع الكرة والعصا.

عندما تبعته بعيني على خشبة المسرح، سرقت نظرة خاطفة أخرى ونظرت إلى الرجل.

كان يتلفت إلى الوراء لينظر إليّ.

توقّف قلبي عن الخفقان. ابتسم الرجل وهزّ رأسه بإيماءة صغيرة.

أصبح لحم جسدي بارداً. أشحتُ بعينيّ. حدّقتُ في الأرض، وحاولت أن أطفئ لهيب هياجي.

لماذا ينظر إليّ؟ لماذا يبتسم ويومئ إليّ كأنه عرفني؟

بالطبع، إنه يفعل ذلك لأن الحكواتي وبخني عندما غيّرت مقعدي. لعل شيئاً من هذا القبيل ذكّره بذلك، وجعله يتساءل ماذا يفعل الرجل الذي وبّخه الحكواتي، والتقت عينانا عندما نظر نحوي. لم تكن الابتسامة تعني شيئاً أكثر من أنني «أستمتع بهذا العرض؟» لقد صادف أنه رجل ودود. القواد الذي دنا مني وكلمني كان يبدو شخصاً لطيفاً أيضاً. هذا ما يميّز أساكوسا. يمكنك أن تصادف فيها عدداً كبيراً من هؤلاء الأشخاص الودودين.

في جميع الأحوال، بعد أن رأيتَ وجه الرجل، ما هو قرارك النهائي؟ حسناً، كيف لي أن أعرف؟ لقد مات أبي عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، ولا يمكنني أن أدّعي بأنني أتذكر كل ملامح وجهه بدقة شديدة. يقيناً إنه يشبه أبي، لكن إلى أي حد يمكنني أن أقرر ذلك. كل ما يمكنني قوله حقاً هو أنه يشبه أبي شبهاً تاماً بقدر ما تتيحه لي ذاكرتي التي بدأت تزداد غموضاً - بمساعدة بعض الصور القديمة - كنت أتصوره على مر السنين. إنه رجل ميت. وحتى عندما التقت عينانا، أستطيع أن أقسم بأنني كنت أنظر إلى أبي. لكن ذلك لا يغيّر الواقع بأنه لا يمكن أن يكون أبي بأي شكل من الأشكال.

انتهى العرض بتصفيق فاتر.

إذاً لماذا أشعر بالتوتر من أجل لا شيء؟ لعله يظن الآن أنني شخص غريب أيضاً. لقد ابتسم لي وكانت استجابتي هي أن أشيح بوجهي بعيداً عنه، لعله أحسّ بشيء من الإهانة.

«هيه»، سمعت صوتاً قريباً جداً مني.

رفعت عيني لأجد الرجل يقف في الممر في نهاية صف المقعد الذي أجلس فيه.

«ما رأيك بأن نخرج من هنا؟» قال.

«هل تكلّمني؟» سألته بصوت مرتعش. كان فعلاً صورة حيّة عن أبي.

اتجه نحو الباب من دون أن ينتظر ردي.

لم تكن هيئته تشي بأدنى شك بأني سأتبعه. أشارت الفرقة الموسيقية إلى بداية فصل آخر.

نهضت من مقعدي ورحت أغذّ الخطا وراء الرجل.

4

في الخارج، كانت منطقة المسارح الليلية قد خلت من الناس. وقف الرجل ينتظر خروجي من الصالة.

«لم أستطع تحمّل هذا الرجل»، قال لي وأشار إلى اللوحة المعلقة بجانب مدخل المسرح. عندها فقط، بدأ صوت ذلك الحكواتي ينطلق من مكبر الصوت.

«وأنا لم يعجبني أيضاً»، قلت.

«بالتأكيد لا». بدأ الرجل يمشي، ثم أضاف، «لم يُخلق ليكون حكواتياً».

سرنا باتجاه جادة إنترناشنال بولفارد.

«أتريد أن نزور؟»

«عفواً؟»

«هل تريد أن تزور البيت القديم؟»

حرّك الرجل وركه قليلاً وهو يرفع بنطاله.

«هل أنت متأكّد من أن لا مانع من ذلك؟»

«طبعاً لا مانع من ذلك. عمَّ تتحدّث؟»

قدّرت أنه يكبرني بما لا يقل عن عشر سنوات، لكنه ألغى كلّ الرسميات كأنه يكلّم رجلاً يصغره كثيراً.

«المشكلة أن أساكوسا أصبحت تغلق في وقت مبكّر جداً في هذه الأيام. فلم يعد بإمكانك أن تجد أي شيء يعمل بعد الساعة العاشرة».

خرجنا إلى جادة إنترناشنال بولفارد وتوقفنا ريثما يتغيّر ضوء إشارة المرور. كانت الجادة لا تزال طريقاً رئيسياً، لكنّها لم تعد تبدو لي عريضة كما أتذكّرها. كانت حركة المرور خفيفة.

«هل تأتي إلى هنا كثيراً؟»

«عفواً؟»

«إلى أساكوسا، أقصد».

«أحياناً».

«حقاً؟»

خطا خطوات رشيقة عبر خطوط معبر المشاة. مشيت وراءه. إني لا أحب أن أمشي مع أشخاص من هذا النوع، لكني لم أتمكن من أن أتركه وأذهب في حال سبيلي. تحسّس شيئاً في جيبه وهو يجتاز الشارع.

«سأحضر لنفسي علبة دخان»، التفتَ ليقول لي، ثم أضاف، «سنذهب من ذاك الطريق. انتظرني هنا، حسناً؟»

طلب مني أن أنتظر بالقرب من ممر عبور المشاة، وراح يهرول بساقيه المقوستين قليلاً فوق الرصيف باتجاه المسرح الدولي - حيث كان ينتصب ذات يوم. كانت توجد آلة بيع سجائر قبالة الرصيف. رحت أرقبه وهو يدسّ قطعة نقدية في الآلة. كان الرجل يرتدي قميصاً ذا ياقة واسعة مفتوحة، فضفاضاً عند الخصر فوق بنطال قطني أبيض. لقد منحه شعره المقصوص قصيراً صورة رجل نظيف. أحسست بقدر من الارتياح لهذا الأمر - على ما أظن لأنني لم أكن أريد أن يبدو رجل يشبه أبي في هيئة رثة.

عاد باتجاهي.

«إذاً ما رأيك؟»

«عفواً؟»

«الفندق. إنه ضخم، ألا تظن ذلك؟»

«آه، نعم»، قلت موافقاً، مع أن صفّ البنايات القريبة قد حجب عني المشهد من المكان الذي وقفنا فيه، لذلك لم أتمكن من رؤية الفندق الذي أعرف أنه شُيِّد في الموقع الذي كان ينتصب فيه المسرح الدولي.

من الواضح أنه لم يكن يكترث بمثل هذه التفاصيل البسيطة، لذلك انطلق مرة أخرى في الاتجاه المعاكس. تخلّفت عنه نصف خطوة.

وجدت نفسي أمشي بسهولة في شطر من المدينة لم تطأه قدماي منذ أن كنت في الثانية عشرة من عمري. أما الآن، بما أنني موجود هنا، فقد كان يبدو لي مثل أيّ حيّ قديم آخر، كان ذات يوم أشد أحياء طوكيو التجارية نشاطاً وحيوية.

تشير جميع الدلائل إلى أننا ذاهبون إلى بيت هذا الرجل، وبدا من الغريب أن أتبعه وأسير وراءه بلا تذمر أو تردد. بالطبع كان من الممكن أن يكون الأمر مفهوماً لو أنني كنت في حالة سكر شديد، لكنّي كنت صاحياً تماماً. تساءلت ما الذي يمكن أن يكون قد تملّكني، حتى أترك هذا الغريب الذي لم ألتق به إلاّ منذ لحظات قليلة، يأخذني إلى بيته؟

بالطبع كان الجواب بسيطاً: فهو يشبه أبي المرحوم إلى درجة غير معقولة. لقد ألغى هذا الشبه الشديد إحساسي المعتاد بأن أكون حذراً، وجعلني عاجزاً عن إبداء أي مقاومة.

لكن مرة أخرى، لماذا خطر لهذا الرجل أن يأخذني إلى بيته أساساً؟ فأنا أكبره سناً بكثير، لذلك لم لا يمكن أن أذكّره بابنه الميت.

«بيرة، أوكي؟»

«اعذرني؟»

كان يبدو مثل أبي تماماً، لذلك أجبته غريزياً بتهذيب - مع أنني كنت أنا الأكبر سناً في واقع الحال.

«الجو حار، لذلك أظن أن زجاجة بيرة باردة لطيفة ستكون جيدة»، قال، ووقف ليعدّ قطع النقود في يده. كنا نقف أمام آلة بيع أخرى - هذه تبيع علب بيرة.

«توجد لدينا زجاجة بيرة واحدة فقط في الثلاجة. لأنها عندي فإني سأشربها، كما تعرف».

«دعني أشتريها؟»

«لا تكن سخيفاً».

جنك جنك جنك. سقطت علبة سعة 500 مليلتر داخل آلة البيع وظهرت في الأسفل.

«إنها مثلجة. أمسكها بمنديل أو بشيء آخر»، قال، وأعطاني العلبة.

«حسناً».

رأيت أنه كان يريد شراء علبة أخرى.

«هل تظن أننا نحتاج إلى كلّ هذا؟»

«ماذا تقول؟ إنهما مجرد علبتين صغيرتين».

جنك جنك جنك. ظهرت علبة أخرى سعة 500 مليلتر.

«هل أمسكتها بمنديل؟»

«نعم».

تناول العلبة الثانية وعاد يمشي.

«ألست بحاجة إلى منديل؟» سألته.

«لا، إنها لا تزعجني».

بدا مسروراً من نفسه.

حسناً. شييش! إنها لا تزعجني أنا أيضاً، شعرت بالرغبة في الردّ عليه، لكن إحساساً غريباً بالغبطة غمرني ولبث على لساني.

لم أكن متأكّداً تماماً ما الذي جلب لي كل هذه الغبطة. لكنّي أدركت بأنني أستمتع بكلّ لحظة أمضيها مع هذا الرجل الذي يبدو بأن له سلطة كاملة عليّ. أستمتع بوهم أنني أسير وراء أبي. غمرني شعور دافئ بالأمان لم أعرفه منذ أمد بعيد.

يقول: إنها لا تزعجني، لكني أقترح أن تستخدم منديلاً. يا له من شخص لطيف.

تمالكت نفسي عن الرغبة في التربيت على ظهره بمودة وإطلاق صرخة عالية.

قال: «البيت يقع هنا، في الطابق العلوي».

انعطف إلى زقاق ضيق، وعلى الفور، راح يصعد درجات معدنية إلى جانب مبنى يضم شقة صغيرة مؤلفة من طابقين. كان يصعد بسرعة ورشاقة، حريصاً على ألاّ يصدر ضوضاء. تبعته بشكل غريزي.

كان هناك ممر طويل مفتوح في الطابق الثاني، وكانت هناك ثلاثة أبواب. اتجّه إلى آخر باب في الممر.

«أنا»، قال، وراح يطرق الباب بقدمه.

وقفت مندهشاً. سرت رعدة أخرى في جسدي.

إنه متزوج. لكن بالطبع كان متزوجاً. فقد قال منذ قليل، «إني

أحتفظ بقنينة واحدة في الثلاجة» - مما يعني أنه يوجد هناك شخص آخر، يفترض أن تكون زوجته. جالت هذه الفكرة في مكان ما في خلفية رأسي.

وبغتة اعتراني شعور بأنني لا أريد أن ألتقي بزوجة هذا الرجل، لأن لقاءها سيمحو على الفور الروعة التي تملكتني من الشبه اللا معقول بين هذا الرجل الغريب وبين أبي. عليّ أن أعود إلى الواقع الأليم. لا، انتظر. إن الأمور لا تسير هكذا. أو على الأقل ليس هذا هو الأمر كلّه. كان في داخلي أمل سري، في الحقيقة، أشعر بسر مرعب. لا يمكن أن يكون ذلك، أليس كذلك؟ بالتأكيد لا يمكن أن يكون الأمر كذلك.

«لماذا تقف بعيداً هناك. هيا ادخل»، قال الرجل، واختفى داخل الشقّة.

تسمّرت في مكاني.

مدّت امرأة رأسها من الباب.

«تفضل»، قالت، وعلى وجهها ابتسامة بهيجة قبل أن تعود وتختفي في الداخل.

كاد أن يغمى عليّ. لا يمكن أن يحدث ذلك حقاً. لا بد أنني لست على ما يرام. أعرف أنني لست نائماً، لأنه لا يمكن لأي حلم أن يكون حقيقياً وصحيحاً وفيه هذا القدر من الحيوية والحياة.

«هيه! لماذا تتلكأ هكذا؟» صاح الرجل.

«أرجوك ادخل»، كررت المرأة قائلة. تناهى إليّ صوت أمّي. المرأة التي لمحتها عند الباب هي أمّي.

ارتعش جسدي كلّه. لم تعد قدماي قادرتين على التحرك. حبست دموعي، انطلقت من فمي بصعوبه آهة ضعيفة.

مدّ الرجل رأسه من الباب، وقال: «ماذا تنتظر؟ قلت لك أن تدخل».

«نعم»...

«لا تكن فأراً بهذا الشكل».

بذلت جهداً لاستعادة رباطة جأشي. كنت أعرف تماماً أنني لا أستطيع أن أدير ظهري وأغادر. لم أكن مستعداً لأن أنهي كلّ شيء هنا وأن لا أعود أراهما. ولكي أهدئ من روعي استنفدت كلّ ما تبقى لي من قدرة. أحمد الله بأن بقائي وحيداً في هذا العالم لمدة طويلة علّمني كيف أضبط نفسي وأكبح جماح عواطفي.

خطوت إلى داخل البيت، وقلت: «شكراً لكما. أنا آسف على إزعاجكما في مثل هذا الساعة المتأخرة».

«أوه، لا تهتم بذلك»، قالت أمّي. لقد ماتت أمّي وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها، ولكن ها أنا أحدّق في امرأة هي صورة طبق الأصل عن أمّي وهي لا تزال في الخامسة والثلاثين من عمرها.

«لا نزال في أول المساء»، قال أبي، «هنا، اجلس هنا».

كانت شقّة قديمة متداعية فيها مطبخ صغير وغرفة واحدة صغيرة مُدّ على أرضيتها بساط، لكنها نظيفة ومرتّبة جيداً. ها هما يحافظان على بيت أنيق، قلت لنفسي. حاولت أن أشغل تفكيري بملاحظة أشياء ملموسة.

لم تكن الثلاجة قديمة جداً. كان ترمس الماء الذي يستخدمانه من النوع الحديث الذي تضغطه فيدلق الماء منه، ولديهما أيضاً تقويم من «روكس»، تلك البناية الجديدة التي تضم محلات تبيع أشياء متخصصة. لا يمكن بأي حال أن يكون هذان الشخصان أمّي وأبي.

«هيا، خذ هذا»، قال الرجل.

«ما هذا؟»

فقال: «جهاز تحكم. إن هذه المرأة السخيفة مهووسة بالسيارات الموجّهة باللاسلكي».

كانت توجد ثلاثة نماذج لسيارات سباق بأحجام كبيرة جميلة مصفوفة بجانب بعضها بعضاً فوق ورقة صحيفة في ركن الغرفة.

«هي؟» لم أقو على النظر إلى المرأة.

«هل تصدّق؟ امرأة في عمرها؟ اتركها وحدها دقيقة واحدة وستراها تلعب بسيارات الألعاب هذه. لديها أربع أو خمس سيارات أخرى إلى جانب النماذج التي تراها هناك الآن».

ضحكت المرأة. أرغمت نفسي على النظر إليها، ورأيت هذه الأمّ الضامرة، الضئيلة الجسم، البيضاء البشرة، ذات الشفة الغليظة قليلاً، تضحك تماماً كما أتذكّر ضحكتها.

لكن المرأة تلعب بالسيارات الموجّهة باللاسلكي. لا يمكن أن تكون أمّي.

5

استقللت سيارة أجرة في جادة إنترناشنول بولفارد بعد الساعة الحادية عشرة بقليل. رافقني الرجل وزوجته إلى ناصية الشارع لتوديعي.

«لا تتصرف كغريب، الآن».

«نعم، زرنا مرة أخرى».

شعرت كأنني فتى ريفي يودّع والديه عند محطة القطار وهو مسافر إلى طوكيو لأول مرة. لم أشأ أن أودعهما. غبشت الدموع عيني وأنا أراقب هيئتيهما تغيبان عن نظري.

«قريبان لم أرهما منذ فترة طويلة»، قلت موضحاً لسائق سيارة الأجرة.

لم يردّ.

«إنه أمر شديد الخصوصية»، أضفت أخيراً، على الرغم من عدم إبدائه أي اهتمام. كانت الدموع قد بلّلت خديّ. لعله ظنني سكراناً. حسناً، إنه محقّ في ذلك، فقد تناولنا كأساً من الويسكي بعد أن أنهينا احتساء البيرة.

جعلتني الدموع أشعر بشيء من الراحة. كرّرت قائلاً تحت أنفاسي: «إنه أمر شديد الخصوصية... أن تعود لرؤية أسرتك بعد وقت طويل».

لكن في الواقع، لم يكن الرجل والمرأة اللذان أمضيت معهما المساء من أسرتي ولا من معارفي. لم أعرف كم مرة أمسكت نفسي عن طرح السؤال الذي ظل يندفع إلى طرف لساني: «أنتما أمّي وأبي، أليس كذلك؟» في بعض الأحيان، كان عليّ أن أغطّي فمي بيدي.

لا يمكن أن يكون رجل وامرأة في الثلاثينات من عمرهما أبوين لرجل في السابعة والأربعين من عمره. - لا اجعلها 48 سنة، بدءاً من اليوم. لكن وجودي معهما جعلني أشعر بأنني عدت فتى مرة أخرى. بالطبع، لا يمكن لفتى أن يشرب كأساً من الويسكي، لكنني في لحظة من اللا مبالاة التي سبّبها الكحول، خاطبت الرجل وقلت له يا أبي، فأجاب «نعم» تماماً كما لو كنت ابنه الصغير حقاً.

كما تصرّفت المرأة مثل الدجاجة الأمّ التي تهتم بفراخها كما يقول المثل. «هيا ضع هذه المنشفة على حضنك، خشية أن تدلق شيئاً؟»

«لن أدلق علبة المحار لمجرد أنني شربت قليلاً»، قلت لها.

«أرأيت»، قالت بنَفَسِها التالي، «لم تكد الكلمات تخرج من فمك حتى سقطت منك واحدة».

أعدت شريط الأحداث التي جرت في المساء وأنا في سيارة الأجرة، متلذذاً بكلّ لحظة حلوة، بكلّ تفصيل جميل. رحت أكرر بصوت مسموع كلّ ما قالاه لي.

«أرأيت. لم تكد الكلمات تخرج من فمك حتى سقطت منك واحدة».

«لا تتصرف كأنك غريب الآن».

«نعم، زرنا مرة أخرى».

«يا إلهي! أتكتب للتلفزيون؟ إذاً أنت شخص مهم! بل إنك تبدو ذكياً».

أنا أبعد ما أكون عن الذكاء يا أمّي، ويقيناً فأنا لست شخصاً مهماً. إنني رجل أتخبط في وحدتي، أحاول أن أستغل كل شيء في حياتي الكئيبة.

«لا تتصرف كأنك غريب الآن».

«نعم، زرنا مرة أخرى».

لم يعد السائق يحتمل، فقال: «هيه يا سيد، انتبه إلى تصرفاتك. إذا ظللت تصيح هكذا فإني سأطلب منك أن تنزل من السيارة».

بوسعه أن يفعل ما يشاء بي. لكنّي لا أريد أن يلقي بي على قارعة الطريق، فأغلقت فمي. لكن بالرغم من ذلك، ظللت أكرر ما كان قد قاله لي هذان الشخصان.

كانت أضواء المدينة تلمع في كل مكان، حتى إشارات المرور بدت لي جميلة.

في سديم الصداع والدوار الناجمين عن الكحول في صباح اليوم التالي، ساورني الشكّ في أن يكون قد حدث شيء من تلك الأحداث في الواقع، وخيّل إليّ أنني حلمت بالحادثة كلها بعد أن سكرتُ وغططتُ في النوم على مقعد في إحدى الحدائق. لكنني لا أزال أتذوق بعض الآثار الضعيفة من تلك الحلاوة التي تذوقتها.

في جميع الأحوال، عليّ أن أعود إلى الواقع.

في الأيام الأربعة التالية التي أمضيتها مع منتج ومخرج مسلسل تلفزيوني جديد كنت قد وافقت على أن أكتب له، طفنا في أرجاء طوكيو

لنتعرف على ما يجري في نوادي التنس وصالات البلياردو. فقد كانت الفكرة الأصلية أن نجمع معلومات عن لعبة البلياردو لدراسة سبب انتشار هذه اللعبة بهذه الشعبية، لكن المنتج كان قلقاً بسبب المشاهد الداخلية المعتمة التي ستلي ذلك. وبهدف إجراء توازن بين هذه المشاهد مع مواقع أكثر إضاءة، خرج بفكرة أن نضيف لعبة التنس كموضوع فرعي. لم أكن في موقع يمكّنني من معارضته أو مجادلته: فلم يكن لديّ عمل كثير، ولا يمكنني المجازفة بفرصة ألاّ أشارك في كتابة مسلسل تلفزيوني طويل.

في نهاية اليوم الرابع، ودّعت العاملين في الإنتاج في إحدى الحانات في منطقة ريدو تشو، وعدت إلى البيت بعد العاشرة ليلاً بقليل. لقد وافقت على أن أعدّ اقتراحاً رسمياً - تسمية الشخصيات، ووضع مخطط عام للقصّة، وتحديد الجمهور المستهدف، وسبيل توصيله إليه - وأن أقدّمه لهم بعد يومين.

شغلّت مكيّف الهواء وذهبت مباشرة إلى الحمّام لكي أستحمّ. بعد أن جففت نفسي بالمنشفة، سمعت الرسائل المسجلة على جهاز تسجيل مكالماتي. قالت الرسالة الأولى إن تمثيلية لمدة ساعتين كنت سأبدأ بكتابتها قد ألغيت، أما الرسالة التالية فكانت من ممثل شاب أعرفه.

«همم، آسف لأني جعلتك تخمّن لفترة طويلة، لكني قررت، أنا وآمي، أن نفعلها أخيراً. نعم، سنصبح سعيدين معاً. تتحدّث آمي عن إقامة حفل الزفاف في تشرين الثاني (نوفمبر) في فيجي. أتظن أن باستطاعتك أن تحضر الحفلة؟ سنكون في غاية السعادة إذا حضرت. تعال لتحتفل معنا، سنسي».

كما هو شائع بين الممثلين الشباب والكتّاب الأكبر سناً، فإنه يخاطبني دائماً بعبارة «سنسي» مع أنني لم أكن معلّمه أو أستاذه. لم أكترث لأن أصحح له ذلك لأنني أعرف أن ذلك سيحرجه، وسأبدو له متغطرساً. ومع أنني اعتبرت أن فكرة أنني أريد أن أتجشم عناء الطريق والذهاب إلى فيجي لمشاركتها الاحتفال، جرأة ووقاحة منه، لكنني قلت في نفسي إن عقول الشبان المشهورين ربما كانت تفكّر بهذه الطريقة.

بعد ذلك جاءني صوت امرأة: «أنا الآنسة فوجينو، جارتك في الطابق الثالث. ظننت أنني أستطيع أن أراك إن كنتَ في البيت. إلى اللقاء».

بدأ تأثير مكيّف الهواء يظهر أخيراً.

دخلت إلى غرفة النوم لأرتدي منامتي.

كان قد مضى أكثر من عشرة أيام منذ أن وقفت تحت المطر أحدّق في نافذة المرأة، لكنني عندما سمعت صوتها الآن، أحسست بأنني أسمع صوت شخص أعرفه، لكنني لم أره منذ زمن بعيد وكدت أنساه.

منذ ذلك اليوم الماطر، بدأت أذهب إلى أساكوسا.

يبدو أن تجربتي هناك - أو لعلها كانت مجرد هلوسة شخص ثمل، لكن مهما حدث لي في تلك الليلة - فقد تركت لديّ انطباعاً قوياً بأن كلّ ما يؤدّي إليه جعلني أشعر بأنه أصبح تاريخاً قديماً.

لا، انتظر، ليست هذه هي القصة كلها. حتى لو أن تلك الليلة في أساكوسا قد أصبحت تبدو تاريخاً قديماً بالنسبة لي الآن، فقد جرفت الزوبعة في الأيام الأربعة الماضية كلّ ما حدث في السابق، واستحوذت الحكاية الخيالية تماماً التي كنت أستعدّ لكتابتها استحواذاً تاماً على كلّ خلية في تلافيف دماغي.

هل كانت هذه المرأة تمضي أيامها وهي تنتظر بجانب الهاتف حتى أتصل بها؟ هل كانت تمضي أمسياتها وهي ترتعش خوفاً من الفراغ الصامت الذي يغلّف هذه البناية في كلّ ليلة؟

لا شكّ أن الجواب نعم. بعد كل ذلك، لم يتغيّر شيء، ورحت أفكّر بالثقل الذي يلقيه صمت البناية المطبق عليّ أنا أيضاً.

لكن في الأيام الأخيرة، نسيت تماماً سكون البناية، وانصبّ همي الوحيد على إنجاز العمل الطويل الذي بدأت العمل به منذ طلاقي لزوجتي.

لماذا؟ ما الذي تغيّر؟

لا بد أن الجواب هو أساكوسا. فقد غيّرت أحداث تلك الليلة حالتي العقلية تغييراً تاماً. لقد حررني هذان الرجل والمرأة الرائعان من الخلوة المظلمة التي غرقت فيها بالرغم مني.

لكن، مع كل ذلك، ها أنا، ولم تكد تمر خمسة أيام، مدّعياً أن ما حدث هو مجرد تاريخ قديم؟ ما الذي دهاني؟

شعرت بأنني ابن عاق - ابن عاق أهمل والديه وراح يجري وراء مصالحه واهتماماته الأنانية الخاصة. قلت موبخاً نفسي.

لكن إلى شيء أوصلتني هذه الحياة التي عشتها؟ أشغل نفسي بأعمال عشوائية تظهر الواحدة بعد الأخرى، أستمتع بلحظات الإثارة التي يجلبها كلّ عمل صغير وسرعان ما تنحسر وتختفي، لكني لم أكن أجمع مخزوناً دائماً من الحكمة من أيّ من تلك اللحظات. فكلّ يوم جديد يمرّ مثل اليوم الذي سبقه تقريباً. لم أبلغ مرحلة النضج، مع أنني أجد أنني بدأت أزداد ضعفاً ونحولاً مع تقدم العمر.

كيف يمكنني أن أنفض ذلك المساء الاستثنائي عن تفكيري في أيام قليلة – كما لو أنه لم يكن شيئاً على الإطلاق؟

رجل وامرأة يشبهان أبي وأمّي المرحومين شبهاً شديداً، دعياني واستضافاني في بيتهما، وبذلا كلّ ما بوسعهما حتى أكون مرتاحاً بينهما، وابتهجا لوجودي، وعاملاني بلطف ومودّة لا يتوقع المرء أن يحظى بهما إلا من والديه.

ماقدر الخيال في هذه التجربة؟ أليس هذا هو أول شيء يريد أيّ شخص طبيعي معرفته؟

لا بد أنني مجبول من الماء وعدم الاكتراث، قلت لنفسي. فقد تملكتني رغبة لا يمكن كبحها في أن أعود بسرعة إلى أساكوسا وأقرع باب بيتهما.

لكنّي هدّأت من حدة غلوائي. بذلت ما بوسعي لأخفف من شدة حماستي. يا لك من شخص متقلّب الأهواء والمزاج، أحمق، قلت موبّخاً نفسي. إن الوقت متأخر جداً للذهاب إلى أساكوسا هذه الليلة. ومع ذلك كم الساعة الآن؟ إن ما حدث لي في تلك الليلة شيء خارق للطبيعة. لا يمكنك أن تذهب بدافع من نزواتك وتتوقع أن تجد أجوبة على أسئلة كهذه.

لكن الشيء الأكثر أهمية الآن هو ماذا أفعل حيال اتصال المرأة في الطابق الثالث.

في الواقع، كنت قد دعوتها. قلت لها إنها يجب أن تأتي لزيارتي ونحتسي كأساً، أم ربما لتجاذب أطراف الحديث فقط.

رفعتُ سماعة الهاتف، لكني أدركت على الفور بأنني لا أعرف

رقمها. أخذت دليل الهاتف ورحت أبحث عن اسم فوجينو على هذا العنوان. كان الاسم الكامل الذي وجدته هو كاتسورا فوجينو. اسم كهذا قد يكون اسم رجل أيضاً، لكنّي افترضت أنه اسم المرأة.

من الرنة الثانية أجابت.

«ألو. فوجينو»، أجابت بصوت حاد.

«أنا هارادا الذي أسكن في الطابق السابع»، قلت.

«أوه، مرحباً».

«أنا آسف لأنني أتصل بك في هذه الساعة المتأخرة».

«لنشرب شيئاً؟»

«أيمكنك أن تفعلي ذلك؟»

«إنه يوم الجمعة».

قالت إنها ستكون عندي بعد عشر دقائق، لا، خمس دقائق. ولم ألحظ في صوتها أي مسحة من الكآبة. لا يمكن أن يكون صوتَ شخص يرتعد خوفاً من البناية الخاوية في الليل.

فوجئت ببهجة هذه المرأة التي خيّل إليّ أن الوحدة قد أرهقتها وظننتُ أنني سأمدّ لها يد المساعدة وأدخل السكينة في نفسها، لكنّي سرعان ما أدركت أن هذا أفضل من أن تكون في مزاج مكتئب جنائزي. هذا صحيح، قلت لنفسي. إنه يوم الجمعة. لقد فقدت بسرعة تسلسل أيام الأسبوع.

«كي»، قالت المرأة عندما سألتها بماذا يجب أن أدعوها. جلست على الأريكة، وراحت تفتح غطاء وعاء بلاستيكي أحضرته معها. كان يوجد في الوعاء سكين وقطع جبن صغيرة.

«رسمياً، في السجل العائلي، اسمي كاتسورا. لكن بما أن فيجي وكاتسورا هما شجرتان، فألا يوحي وضعهما جنباً إلى جنب نوعاً من تجربة تطعيم غريبة؟ لذلك قرّرت أن استخدم القراءة الصينية لكلمة كاتسورا، وأن يطلق عليّ اسم كي، أو أنك تستطيع أن تفكّر به بالحرف ك، أو كما يسمي الإنكليز «كاي» - أيهما تحبّ».

«لقد أحضرتُ تشكيلة منوعة من الجبن. لقد قطعتها إلى قطع صغيرة».

«سآخذ هذه القطعة التي عليها عفن أسود».

«هل أنت متأكّد؟» بدت مسرورة.

«هل هي سيئة إلى هذه الدرجة؟»

«معظم الناس لا يحبونها».

«في هذه الحالة، من الأفضل أن تقدمي لي قطعة صغيرة جداً».

«في الحقيقة، فإني أستخدم هذه الأجبان كنوع من اختبار الشخصية. فمن القطعة التي تختارها يمكنني أن أعرف إلى أيّ نوع من الأشخاص تنتمي».

«إذاً ماذا تخبرك قطعة جبن فيها عفن؟»

«بأن قلبك شاب».

«هل كنتِ تحتاجين إلى قطعة الجبن حتى تعرفي ذلك».

«حسناً، في حالتك، فإنك تبدو شاباً أيضاً، لكني أصادف أحياناً مراهقين يرفضون تناول أيّ شيء إلا الجبن من ماركة الثلج».

«لا يمكنك أن تقولي إنهم كبار في السن لمجرد تناولهم ذلك».

«لكنهم مسنون، أشخاص كهؤلاء».

«كأس فودكا شوشو مع الثلج» قلتُ، ووضعتُ كأسها أمامها.

«قطعة جبن مكسوة بطبقة خفيفة من العفن»، قالت، ودفعت صحناً صغيراً عبر المنضدة.

ضحكنا كلانا ورحنا نرشف من كأسينا. صببت براندي في كأسي، أما هي فقد طلبت أن تشرب فودكا شوشو.

كانت مفعمة بالبهجة. كانت ترتدي قميصاً أصفر وبنطال جينز أزرق. لكن شيئاً في جسدها الملتف برقة في منتصف الثلاثينات يجعلها تبدو بعيدة عن المزاح وروح الدعابة.

سألتني، «هل أدركت أنك مررت بجانبي في ردهة البناية في صباح البارحة؟» وسرعان ما أردفت، «لا أظن ذلك. فقد خرجتَ من المصعد وعلى وجهك نظرة متجهمة، واتجهت مباشرة نحو الباب دون أن تلقي نظرة في اتّجاهي. بماذا كنت تفكّر؟... أوه، حقاً؟ ما نوع العرض الذي تعمل عليه - لغز جريمة أو شيء من هذا القبيل؟... أوه، لا بد أنه عن الألعاب الرياضية. تعال نفكّر في الأمر، فقد رأيت رياضيين كثيرين تبدو على وجوههم نفس النظرة التي كانت ترتسم على وجهك».

كان ثمة شيء مصطنع في بهجتها.

ربما كان بدافع الكبرياء أنها لا تظهر شعورها بالاكتئاب - مع أنه يصعب، على ما يبدو، أن تتمكن من إخفاء كآبتها بهذه السرعة، منذ أن ظهرت عند باب شقتي أول مرة سكرانة تتذمر من الوحْدة.

«أوه، حسناً، إني أنسحب»، غمغمت فجأة بصوت يكاد يكون همساً.

«ممَّ ستنسحبين؟»

«إنه منهك جداً».

«لنتبادل أماكن جلوسنا. قد تشعرين بالتعب إذا لم تستندي إلى ظهر الأريكة».

«قبل أن آتي لزيارتك أقسمت بيني وبين نفسي على أن يكون الحديث بيننا خفيفاً ومرحاً».

«لستِ بحاجة إلى أن تفرضي على نفسك عبئاً كهذا؟»

«لم أفرضه».

ابتسمت ابتسامة خفيفة. للمرة الأولى بدا كلامها ووضعيتها منسجمين. «حتى الحديث الخفيف يحتاج إلى جهد كبير. الآن بعد أن تجاوزت الثلاثين من العمر، يجب أن أخفض نبرة صوتي أوكتافاً واحداً أو شيئاً من هذا القبيل».

«هل يمكنني أن أثير اهتمامك بقليل من البراندي أيضاً؟»

«لا يزال لدينا القليل من هذا».

لذنا بالصمت كلانا للحظة، وأكدّ صوت مرور الشاحنات في الخارج نفسه.

«هل يمكنني أن أضع موسيقى؟»

ابتسمت وقالت: «لا، شكراً، فأنا أستمع كثيراً إلى الموسيقى عندما أكون وحدي».

«آسف، لكني لا أظن أنني سأتمكن من إنهاء حتى هذه القطعة الصغيرة».

«يجب أن تعرف أن بعض الناس يحبّون تناول هذا النوع من الجبن كثيراً. على الأقل في بلدان أخرى».

«أكيد وإلا لما استمروا في صناعتها».

«أحبّ أن أكتسب أذواقاً جديدة. حتى لو لم أتحمّل الطعم في البداية، فإني أواصل المحاولة، مراراً وتكراراً، حتى اكتشف أخيراً السبب الذي يجعل الآخرين يرونها عظيمة. عندها أشعر بأنني تعلّمت شيئاً جديداً عن الأوروبيين».

«يبدو أنك تبذلين جهداً كبيراً حتى تتعلمي أشياء جديدة».

«هذا صحيح. لا أستطيع أن أمتّع نفسي فقط».

«لكنك تفعلين ذلك، أليس كذلك؟»

«نعم، أظن ذلك. يستغرق الأمر مني بعض الوقت».

حسناً، أرجو أن تأخذي وقتك معي أيضاً، حتى تكتشفي ذات يوم الأشياء العظيمة التي أتمتع بها. خطرت لي هذه المزحة، لكنني لم أقلها. لا أريد أن أورط نفسي معها في علاقة عميقة.

إنها امرأة جميلة للغاية. كان الانطباع الأول الذي تشكّل لديّ هو أن لديها جبهة عريضة جداً وشفتين مكتنزتين، لكني عندما أمعنت النظر فيها وتفحصتها جيداً ونحن نتكلّم، اكتشفت في عينيها إغواء قوياً. ووجدت نفسي أحدّق في هاتين العينين. جعلتاني أنسى عيوبها الأخرى.

«ألا يوجد لديك مساعد أو شيء من هذا القبيل؟» سألتني.

«لا».

«أتعرف كيف تعيش الشخصيات التلفزيونية على النحو الذي تراهم فيها حقاً في التلفزيون؟ عندما أكتشف أن هؤلاء الكوميديين الذين يضحكونني دائماً هم في الحقيقة جزء من عمل جدّي مع الكثيرين من المبتدئين الذين يسوقونهم كالعبيد، أشعر بأنني خدعت على نحو ما».

قلت: «أنا وحدي تماما. أظن أن هذا يحتاج إلى تفسير».

«لا أقصد أن أتطفل».

«لم تقولي شيئاً عن سبب إقامتك وحدك أيضاً؟»

«لديّ حرق بشع». قالت ذلك من دون أدنى تردد، ثم أضافت، «هنا»، ووضعت يدها على صدرها. ثم أضافت، «لقد أجريت زرعاً في الجلد، ومع ذلك لا تزال توجد ندوب سيئة ولونها لا يتطابق مع لون الجلد تماماً». جَرَعَتْ ما تبقى من كأسها، ثم أردفت: «إنها ليست من النوع الذي يجعلك تريد أن تتحدّث عنها مع جيرانك، لكن بعض الأشخاص في شقتي السابقة، لم يتركوني وشأني، وظلوا يلحّون عليّ بالسؤال لماذا لا أزال عازبة حتى الآن. بدأت أشعر بالاختناق».

رحت أبحث عن ردّ، لكني قلت أخيراً: «في الحقيقة، هذا يمنحني شيئاً جيداً لأن أقول إن هذا المكان جيد لمرة واحدة».

«هل يمكنني أن أحصل على مزيد من البراندي؟»

«دعيني أجلب لك كأساً جديداً».

صببت لها.

«لقد دفع هذا المكان المؤسف الجميع إلى الخروج من مكاتبهم وأتاحوا لنا الفرصة لنلتقي»، كرّرتُ، ثم أضفتُ، «أتعرفين ما المنعش حقاً. إنها الطريقة التي تكلّمتِ فيها عن نفسك. في الحقيقة، فأنا معجب بصراحتك منذ اللحظة التي ظهرتِ فيها عند باب شقتي لأول مرة. فلا تتاح لرجل يقارب الخمسين من عمره كثيراً فرصة أن يمضي أمسية مريحة كهذه مع شابّة جميلة مثلك».

«ولزيادة الطين بلة، أصبحت تعرف الآن بأن لدى المرأة عاهة، فلماذا لا تتراجع أبداً، أليس هذا صحيحاً؟»

«لم يكن هذا ما قصدته. لم أقصد جنسياً».

«كنت أتمنّى لو أنك قصدت جنسياً. فلا شيء يمنعني من قضاء وقت ممتع ما دامت الغرفة مظلمة. وظهري طبيعي جداً، لذلك سيكون على ما يرام حتى في الضوء إذا جئتني من الخلف».

للحظة أو لحظتين لم تتحرّك. لم أستطع أن أتحرّك. ثمّ عادت ووضعت كأسها البراندي على المنضدة بحرص شديد لكي لا تصدر صوتاً.

وجدت نفسي مرة أخرى أبحث عن كلمات.

«يحدث ذلك كلّ مرّة»، قالت بهدوء، «ألخبط فيها الأمور. هل لديك مانع أن أشرب كأساً من الماء»، وبدأت تنهض على قدميها.

«سأحضرها لك»، قلت، وقفزت واتجهت إلى مغسلة المطبخ.

عادت المرأة واستقرت في مقعدها، وأرخت يديها على ركبتيها.

«تفضلي. هل أحضر لك بعض الثلج؟»

«لا، هذا جيد».

أخذت رشفة.

«ربما كان عليّ أن أذهب الآن».

«أرجو أن تبقي. دعينا نشرب كأساً آخر، ونسكر قليلاً».

«لا يمكنني أن أسكر الآن. سيزداد الأمر سوءاً»، قالت.

«أوه، لكن لم لا؟ لن يكون أسوأ، كما أنك لا تلخبطين الأمور. أظن أنه من الجيد أن أستمع إلى شخص يتكلّم مباشرة من القلب هكذا».

في الحقيقة، لم تكن كلماتها تشيء بعدم اللياقة بالنسبة لي. بل أثارتني – مع أنني تردّدت في قول ذلك لها لكي لا أبدو مخادعاً.

«إذاً هل ستقبّلني؟» سألتني. ظلت عيناها تتحاشيان نظراتي.

«طبعاً»، أجبت بسرعة لكي لا يحدث مزيد من الارتباك والحرج. أما إذا قبّلتها الآن، فسيبدو ذلك كأنه عمل خيري. أولاً، يجب عليّ أن أضع نفسي بالتساوي معها.

قلت لها: «أراكِ جميلة».

«إنك تقول ذلك لأنك لم تر».

اندفع جسدها باسترخاء إلى الأمام كما لو أن قوّتها خارت فجأة.

جلستُ على الأريكة بجانبها، ولمستُ كتفها.

«لا، حقاً. إني أراكِ جميلة»، قلت ثانية.

«أرجوك لا».

ربما كانت الإشادة بجمالها تعني أنني ألوم قبحها المخفي. لكن لم تخطر ببالي أي كلمات أخرى.

لا تكن أحمق! وبّخت نفسي. في أوقات كهذه، فإن المرأة لا تريد سماع كلمات. صحيح؟ كما أن المعنى الصحيح للقبلة هو أن تعلن هي عن نفسها، بشكل أو بآخر...

ضغطت بشفتي على شفتيها. كانت قبلة طويلة. بدا أنها مقدمة لممارسة الحبّ.

لكن ما إن وضعت يدي على صدرها، حتى أفلتت مني وأدارت لي ظهرها.

«الحرق ليس عيبك»، قلت لها.

كان من السخف أن أقول لها ذلك. فلم أواجه ظرفاً كهذا من قبل في لقاءاتي الحميمية.

«أريد أن أستخدم حمّامك»، قالت بصوت خفيض، «يجب أن أستعير منشفة حتى أستر بها صدري؟»

استوت واقفة، وسرعان ما اختفت في الحمّام.

بدا لي أن كل هذا اللغط لا معنى له. مهما كانت طبيعة الندبة في جسدها، مهما كانت الآثار التي خلّفها الجلد المزروع بشعة، لم أتخيّل أنها ستزعجني. في الواقع، لا بد أنها تعرف بأنها غمرتني برقة جميلة في غمرة هذه الظروف القاسية.

يجب أن أنظر إلى صدرها فقط وأنهي هذا الأمر، قلت لنفسي. إنها امرأة غير عقلانية. لماذا تصرّ على أن آتيها من الخلف؟ لم أفهم سبب ذلك.

سمعت صوت طشيش الماء في الحمّام.

لو هجمت عليها الآن لأرعبتها. من المؤكد أنني لا أريد أن أرغمها على ذلك بهذه الطريقة. لا، سأجد فرصة مناسبة لأكشف عن صدرها الذي فيه تلك الندبة بهدوء، ثم أؤكد لها أن ذلك لا يهمني مطلقاً. علينا أن نبدأ من هنا.

لكنها عندما خرجت من الحمام عارية أمامي، لا يسترها سوى منشفة زرقاء تضعها على صدرها، كانت عيناها مثبتين بقوة على عينيّ.

قالت: «يجب أن تعدني. أعرف أنك تستطيع أن تسحب هذه المنشفة بسهولة في أي وقت تشاء، لكنك يجب أن تعدني بأنك لن تفعل ذلك».

«أعرف أن ذلك لن يؤثر علي»، قلت لها، «مهما كان نوع الندبة التي لديك. إن هذا لن يغيّر حقيقة مشاعري تجاهك».

فقالت: «لا، يجب ألاّ تراها».

لم تتزحزح عن موقفها. أدركت ذلك من صوتها الفولاذي بأنها لن تقترب مني خطوة واحدة إذا لم أعدها.

«حسناً، إذا كان ذلك يعني الكثير بالنسبة لك».

أومأتُ موافقاً.

«وعد؟»

«أعدك بذلك».

على الرغم من ذلك، فإنها لم تتحرّك. ثم قالت: «قد تظن أنني أبالغ في الأمر، لكن هذا يشبه تلك القصص التي ترد في الأساطير القديمة. تطلب المرأة من الرجل بأن لا ينظر إليها، لكنه في جميع الأحوال يفعل ذلك، ولا يمكن لشيء أن يصلح الضرر الذي يسببه ذلك بينهما».

فقلت: «ليس في الأساطير القديمة، لكن هناك قصصاً أخرى أيضاً».

«مثل؟»

«فتاة شابة على قناعة بأنها قبيحة للغاية، لكنها جميلة من نواح عديدة في عيون الآخرين، لكنها تريد أن تنتحر لأنها، مثلاً، تظن أن ساقيها سميتان، أو أن بثرة في جسدها لا تزول بسهولة، لذلك لا ترى أن هناك سبباً يجعلها تواصل الحياة؟»

وقفت كي لحظات عديدة تنظر إلى الأرض دون أي حركة. هل هي غاضبة؟ هل ندمت لأنها استحمّت وعرفت الآن أنها لا تثق بي؟

عندما رفعت رأسها أخيراً، كانت هناك مسحة من الإرهاق في عينيها.

«إنك تسخر مني».

«أنت محقّة. لا معنى لكل ذلك».

«عدني بأنك لن تنظر. مهما حدث».

«لن أنظر مهما كان. أعدك».

اقتربت مني ببطء.

عندما اقتربت ملأ بياض كتفيها بصري، وغمرني إحساس بالنشوة. ها هي أمامي الآن. قطرات الماء تلتمع على جبهتها العريضة.

ما إن ضممتها بين ذراعي حتى أسرعت بخفة واستدارت وأولتني ظهرها.

على بياض كتفها اليسرى، رأيت شامة داكنة صغيرة.

«لديك شامة جميلة»، قلت لها، ولمستها بإصبعي.

«وعلى خصري ووركي أيضاً»، قالت، وهزّت شعرها كما لو أنها تريد أن ترخي أعصابها المتوترة، وندت منها ضحكة لا تكاد تكون مسموعة.

«أنت محقّة. فالشامة على خصرك جميلة أيضاً».

كانت تبدو كما لو أنّ نقطة صغيرة جداً من حبر الهند قد سقطت فوق تلك البقعة، تاركة الجلد الشديد النعومة كما كان دائماً.

جثوت على ركبتي.

«وكذلك التي على وركك».

عندما رحت أمسّد إليتي ردفيها البيضاوتين اللدنتين برقة بأطراف أصابعي، بدأت أضغط بشفتي على الشامة السوداء الصغيرة على ردفها الأيسر.

6

أمضيت اليومين التاليين وأنا أعمل على المسلسل الذي اقترحته. وفي اليوم الثالث، ذهبت إلى أساكوسا. كان ذلك بعد الظهر بقليل.

كانت الفترة الفاصلة التي أمضيتها مع كي قد أذابت الحماسة التي كانت قد تملكتني في ذلك المساء - الرغبة الشديدة والخروج بلا تردد من الباب والتوجّه مباشرة إلى أساكوسا. وكما بددت الليلة التي أمضيتها في أساكوسا مخاوفي السابقة عن حالة كي العقلية، فإن انعطافي الجديد في علاقتي مع كي بددّ مخاوفي من أساكوسا.

لكن لا يمكنني أن أنسى تلك الأحداث بهذه السهولة وأمضي قدماً. فلا تزال تتردد في أعماقي رقة صوت ذلك الرجل والمرأة وهما يحثّانني: «لا تتصرف كأنك غريب الآن»، و«نعم، زرنا مرة أخرى». وعلى الرغم من أنني لم أعد أتوق إلى ذلك النوع من الراحة العاطفية التي وجدتها خلال وجودهما، فإنني أعرف أن لليل وسيلة خاصة في التحايل على مدارك الشخص، وأردت أن أتحقق إلى أي مدى يمكن أن يكون لقائي الاستثنائي معهما نتاج تلك الساعة الليلية. لذلك انطلقت في منتصف يوم صيفي قائظ: فقد أردت أن أبحث عن الحقيقة مباشرة تحت ضوء الشمس الساطع.

وإلى حد ما، كان التوقيت الذي اخترته أيضاً مدفوعاً بقدر من الخوف - الخوف من لقاء هذا الرجل وهذه المرأة مرة أخرى تحت ستار الظلام. إن شبههما الشديد بأمي وأبي الذي استقر في عين عقلي طوال السنوات الست والثلاثين الماضية لا يمكن أن يصدّق. بالطبع، فإن الصور التي انطبعت في ذاكرتي وأنا في الثانية عشرة من عمري لا يمكنها أن تمنحني، بحد ذاتها، انطباعاً مؤكداً بكل ملامحهما وقسماتهما بالتفصيل. لكن الإحساس الرائع بالطمأنينة الذي غمرني عندما كنت معهما كاد يقنعني بأنهما والداي حقاً.

كان من أجمل الذكريات التي أحملها منذ طفولتي هي عندما أعود إلى البيت من المدرسة بعد رحلة طويلة شاقة، وألقي بحقيبتي المدرسية التي كانت قد صنعتها لي أمّي من حقيبة ظهر تعود إلى أيام الجيش الإمبراطوري القديم، وأخلع قميصي وبنطلوني وجواربي، وأستلقي على الحصيرة وأنا في ملابسي الداخلية، وأغفو بسرعة بينما تنهمك أمّي في تحضير العشاء في المطبخ. شيء قريب جداً من هذا الإحساس الرائع بالأمان الذي كان ينتابني في تلك الأوقات عندما كنت طفلاً هبط عليّ في تلك الليلة في أساكوسا.

لا أستطيع أن أتذكّر تلك اللحظات طوال السنوات منذ أن توفي والداي. بالطبع، كنت قد استمتعت بساعات كثيرة من الراحة والهروب من هموم الدنيا ومشاغلها مع زوجتي السابقة، لكن الإحساس بالأمان التام الذي كان يتملكني عندما كنت طفلاً كان شيئاً مختلفاً تماماً.

لعل قدراً من التصلب والعناد من جانبي، والشعور بأن على الرجل ألاّ يعتمد كثيراً على اهتمام المرأة له، هو الذي أحبط دوافع زوجتي

الوقائية. فقد كنت أعتقد أن غرائز المرأة الأمومية تنصبّ على أطفالها فقط، وأن الرجل لكي يبحث عن هذه صفات في زوجته عليه أن ينقل العلاقة بينهما إلى شيء ينبغي ألاّ يكون. وطوال تلك السنوات، كنت أسمع آخرين يقولون في أحيان كثيرة أشياء من قبيل «لا يستطيع أن يفعل شيئاً بنفسه، لذلك يجب أن أفعل عنه كل شيء»، أو «لقد جذبتني لوجود صفات الأمّ فيها». أما أنا، فقد وجدت من المستحيل أن أقع في أحضان أمومة زوجتي، وأدعها تحبّني حتى الجنون.

وكما أرى الأمر الآن، فإن التوتر الذي كنت أتعرض له باستمرار منذ أن كنت في الثانية عشرة من عمري، جعلني شخصاً غير كفء على نحو يدعو إلى الرثاء وأقبل النوايا الحسنة التي يبديها لي الآخرون. أما الذين يعيشون طفولة سليمة فإنهم يتعلّمون أن إظهار درجة مناسبة من الاتكال على الآخرين والخضوع لهم هو الوسيلة لاكتساب حبّ الآخرين ومودتهم. لكن المراهقة التعيسة حرمتني من معرفة هذا السرّ، وأدى هذا العجز إلى جعل علاقتي مع زوجتي تزداد برودة يوماً بعد يوم.

أستطيع أن أقول إن زوجتي لم تعد تحتمل عدم وجود مشاعر دافئة في علاقتنا. لكنها بالرغم من ذلك، رفضت أن تثير مسألة الطلاق، لذلك أدركت أخيراً أنني أنا الذي يجب أن يكسر هذا الجليد بيننا. على الأقل كان ذلك هو الموقف الذي اتخذته أثناء إجراءات الطلاق. أما زوجتي فقد استمرت طوال الوقت تصرّ على أن حبّها لي لم يتوقف – مع أنه يبدو لي الآن أنها شاركت ماميا السرير. حسناً، هذا جميل. بل رائع. إن الأمر الهام في نهاية الأمر، حتى في طلاقي منها، يتمثل في أنني تخلصت من الدور السلبي الذي يلازمني. كان عليّ أن آخذ زمام المبادرة بنفسي. كان

عليّ أن أتحمّل اللوم بنفسي، ومع أن المبلغ بحد ذاته كان معقولاً، فقد كان عليّ أيضاً أن أتخلّى عن جزء كبير من ممتلكاتنا، بما في ذلك البيت الذي جعلناه بيتنا والأرض التي شُيِّد عليها.

لقد ألحقت بي هذه التجربة ضرراً شديداً، وجعلتني أنهار من الناحية العاطفية.

لكني اشتقت إلى العودة لاتخاذ دور سلبي - العودة إلى البهجة الخالية من الهموم أثناء القيام بأي عمل، كما قال والداي.

«هيا، ضع هذه المنشفة على حضنك لكي لا يندلق منك شيء».

«انظر. لم تكد تخرج الكلمات من فمك حتى سقطت منك واحدة».

ربما في مكان ما في أعماق قلبي فإني أتوق كثيراً لأن أستسلم إلى راحة البال والطمأنينة التي تجلبها لي مثل هذه الكلمات.

لقد تبلورت رغبتي هذه في وهم ليلة واحدة. كانت تبدو أنها حقيقية إلى درجة أنها لا يمكن أن تكون وهماً أو ضرباً من الخيال، لكنّي وجدت أن تقبّل فكرة أن اضطراباً عاطفياً مؤقتاً هو المسؤول عن ذلك، أسهل عليّ من استنتاج تفسير آخر. وبالطبع، ليس من الجيد الاعتراف بأن خللاً عقلياً يمكن أن يحدث مثل هذا الاضطراب، لكني عثرت على وسيلة أكثر عقلانية لتفسير ما حدث لي في تلك الليلة.

هذه المرة، توقفت في محطة مترو تاوارا -ماتشي بدلاً من أكمل حتى نهاية الخطّ في أساكوسا.

تذكّرت كيف أنني شعرت بالمهانة ذات يوم عندما سمعت مذيع الأخبار في التلفزيون يخطئ في لفظ الاسم، ولفظه تاوارا- تشو، مستخدماً

حروف القراءة المشتركة الأخرى المتعلقة بالأسماء في الحرف الأخير من الكلمة. أحسست بأنه أهان مسقط رأسي. إنها تاوارا - ماتشي، أيها الغبي، قلت مزمجراً أمام شاشة التلفزيون. وعلى الرغم من أنني نادراً ما عدت لزيارتها، فقد كان قدر من الولاء لا يزال يسري في عروقي.

بعد أن عدت إلى منطقتي القديمة تلك، ارتقيت الدرج وخرجت من محطة المترو إلى الرصيف. كانت أشعة شمس منتصف الصيف الحارقة تصبّ حممها على المدينة الرثّة المشوّهة. كنت متجهاً للقاء هذا الرجل والمرأة الرائعين مرة أخرى، لكن، بعد الشكوك المزعجة التي بدأت تنهشني، وضربة الشمس التي أصابتني بلا رحمة، ومشهد المدينة الرثّة، أصبت بالذهول وبدأت أشعر بقدمي تتثاقلان.

بدأ الإحساس بأنني جئت أبحث عن أوهام يزداد شدة مع كلّ خطوة أخطوها. كنت أعرف أن الأحداث التي أتذكّر أنها حدثت لا يمكن أن تكون حقيقية، وكنت أعرف أيضاً أن العودة إلى هنا لمعرفة الحقيقة، مهما كانت، قد تحررني من هذا الوهم. لماذا إذاً أشقّ طريقي إلى المكان الوحيد الذي ستتحطّم فيه جميع الذكريات الحلوة من ذلك المساء؟

اشتريت قليلاً من البسكويت وزجاجة مشروب ساكي من جيوجاوكا وأنا في طريقي إلى هناك. كنت أشعر بثقلها في كيس البقالة الذي أحمله.

هذا صحيح، ذكّرت نفسي. فبما أنني شاركتهما الطعام والشراب، فمن المناسب أن أحضر لهما شيئاً مقابل ذلك. بالإضافة إلى ذلك، من المحتمل ألاّ يكونا في البيت في منتصف النهار. عندها سأترك الهدايا عند جارهما أو عند أي شخص آخر قريب منهما.

وجدت الزقاق الذي كان يجب أن أنعطف إليه بسهولة. لم أكن سكراناً عندما قادني الرجل إلى هناك، لذلك تذكّرت المكان جيداً.

كان هناك درج معدني بجانب المبنى، تماماً كما تذكّرت. ولكي أفعل كما فعل الرجل في المرة الماضية، بذلت جهداً بقدر ما بوسعي لكي لا أصدر ضجة أثناء صعودي الدرج.

في طريقي إلى هذا المكان، أصبحت الفكرة - لا أعرف إن كانت مشوبة بالخوف أو بالأمل - بأن تكون الشقّة قد اختفت وألاّ أجدها مرة أخرى، مهما بحثت عنها، متشابكة مع توقعاتي. لكن بدا لي أن كل بقعة في ممر الطابق الثاني الذي أقف عليه الآن، حقيقية كما كنت قد رأيتها من قبل، ورأيت آخر باب في الخلف حيث يعيش الزوجان، مفتوحاً على مصراعيه.

كان هناك دلو قمامة بلاستيكي أزرق يسند الباب، ربما لكي لا يُغلق. وبما أنهما لا يتوقعان قدومي، فقد عرفت أن الباب لم يُسند الدلو ليظل مفتوحاً من أجلي، بل ربما لتدخل عبره نسمات من الهواء.

بالرغم من المحاولات التي بذلتها لكي لا يُسمع صوت وقع خطواتي، كنت أعرف أن حذائي سيصدر صوتاً على الدرجات المعدنية، لكني إذا وقفت على الدرج لبضع لحظات، فإن سكان البناية سيرتابون بي وسيتساءلون عن سبب وجودي هناك، فرحت أخطو بخفة فوق الممر كما لو أن أحداً أخذ يدفعني فجأة من الخلف، ثم توقفت عند آخر شقّة وقرعت الباب المفتوح.

«مرحبا؟» قلت بصوت مرتفع، ورحت أتطلع داخل الشقّة بهلع.

«أوه، لقد جئت».

إنها أمّي، بل بالأحرى المرأة التي كانت، كيفما التفتت، تشبه أمّي في صباها. كانت جاثية أمام منضدة واطئة في منتصف الغرفة، تدير ذراع تدوير متصل بوعاء بلاستيكي.

«أنا آسف لأني أتيت من دون موعد في مثل هذا الوقت».

«أوه، لا تهتم بذلك. فلا يوجد عندنا هاتف، لذلك يأتي الجميع لزيارتنا بدون موعد».

لم تتوقف عن تدوير الذراع.

«لا بد أن الجو حار، أليس كذلك؟» سألتني.

«يوماً بعد يوم».

«نعم، بالتأكيد؟»

لم أعرف ما هذه الذراع التي تديرها.

«ما هذه؟» سألتها وأنا أخلع حذائي، ثم دلفت إلى الشقّة. كان الناس يلومونني بأنني أتباطأ كثيراً، أما هنا، ولسبب ما، وجدت نفسي أدخل على الفور، حتى من دون أن يُطلب مني ذلك كما لو أنه كان بيتي، وأن ما أفعله أمر طبيعي.

«أصنع بوظة».

«أوه».

«حبيبي يقول إن النوع الجاهز الذي يبيعونه في المخازن شديد الحلاوة».

«لم أر في حياتي أداة كهذه».

«إنهم يعلنون عنها في التلفزيون».

لا يمكن أن تكون أمّي. فلم تكن أجهزة صناعة البوظة كهذه

موجودة في عام 1950 أو في عام 1951. لا يوجد أدنى شك بأن هذه المرأة تنتمي إلى وقتنا الحاضر.

«اخلع بنطالك وارتح»، قالت.

«عفواً؟» فوجئت باقتراحها.

«لا أظن أنك تريد أن يتجعّد بنطالك».

«أنا على ما يرام هكذا».

ها أنا ذا، أزور أشخاصاً تعرفت عليهم مؤخراً، وجئت في وقت توجد فيه الزوجة وحدها في البيت. لذلك لا يمكنني أن أخلع بنطالي.

«إذاً على الأقل اخلع قميصك».

«لا أظن أنني سأفعل ذلك أيضاً».

«لم لا؟»

«عندها سأصبح في قميصي الداخلي».

«أوه، هيا. لا تتصرف هكذا!»

«ليس الأمر كذلك، لكن...»

«استمر في عمل ذلك من أجلي لدقيقة، ألن تفعل ذلك؟»

«ماذا؟»

«هكذا، أدرها فقط هكذا، انظر. مرة أخرى، وأخرى».

الشيء التالي الذي عرفته هو أنني كنت أدير ذراع آلة صنع البوظة في بيتها.

«سأجلب لك منشفة باردة نظيفة».

أخذت منشفة مطوية بعناية من علبة كرتون أمام الحائط وتوجهت إلى مغسلة المطبخ.

«آه»، تذكّرت، «لقد أحضرت لك قليلاً من البسكويت وزجاجة ساكي في هذا الكيس».

«لماذا، شكراً. ما كان عليك أن تفعل ذلك».

«نعم، أعرف، لكنّي أكلت وشربت كثيراً في تلك الليلة، لذلك...»

«أمضينا وقتاً ممتعاً؟»

«بالتأكيد. إذاً أين أبي؟»

انسلّت الكلمة بشكل طبيعي من لساني. لقد بدت الإشارة إلى رجل متزوج لا يوجد عنده أطفال بكلمة «أبي» غريبة بعض الشيء، لكن المرأة لم يرمش لها جفن.

«إنه يعمل في النوبة المبكّرة اليوم. لقد خرج حوالي الساعة السابعة، لذلك أظن أنه سيعود حوالي الثامنة».

«يعود الساعة الثامنة من النوبة المبكّرة؟»

«هذا يحدث عادة عندما تعمل في مكان يبقى مفتوحاً حتى الثانية صباحاً».

عندما قالت ذلك، قرّبت المنشفة المبلّلة من وجهي، فتراجعت غريزياً.

«ابق جالساً»، أمرتني، كما لو أنها توبّخ طفلاً صغيراً.

تركتها تمسح وجهي وأنا أواصل تدوير الذراع. مسحت بالمنشفة حول رقبتي أيضاً.

«هذا يعني أنه لن يعود إلى البيت حتى الثالثة».

«هل بدأ ذلك يزداد صعوبة؟»

«عفواً؟»

«التدوير».

«ليس بعد».

«إذاً لا تدرها بقوة».

«أين يعمل بالتحديد؟»

«في مطعم في منطقة شينتوميتشو».

«إنها بعيدة كثيراً».

«كان يعمل هنا في أساكوسا حتى فترة قريبة، لكنّه لا يستمر في عمل واحد قط. إنه سرعان ما يملّ من العمل في مكان واحد، أو يحدث شيء ما يجعله يترك العمل».

«حسناً».

«إنه يجيد عمله، كما تعرف. فهو لا يهدر أي كمية من الرزّ، ويتقن عمل السوشي، وتظل البقعة التي يعمل فيها نظيفة باستمرار. وهو رجل وسيم أيضاً، أليس كذلك؟ وهو يعامل الزبائن بلطف شديد. وهو لا يتصرّف كأنه يعرف كل شيء أيضاً، لهذا السبب فإن أصحاب المطاعم الذين يعمل عندهم يحبونه كثيراً».

«ممممم».

عادت المرأة إلى المغسلة لغسل المنشفة، ثم أضافت، «لكنه لا يعرف كيف يستمر في عمله، لأنه سرعان ما يمّل ويترك العمل».

«ممم».

كنت قد رسمت في مخيلتي صورة مثالية عن أبي، لذلك أصبت بشيء من الدهشة عندما سمعت هذا العيب في شخصيته. لكنني ذكّرت

نفسي بأنها لم تكن تتحدّث عن أبي في حقيقة الأمر، بل تتحدّث عن زوجها، وأن عليّ أن أتوقّف عن الخلط بين الأمرين.

«هناك مطاعم سوشي كثيرة كما تعرف»، تابعت كلامها، «وإذا كنت عضواً في جمعية الطهاة، فبإمكانك أن تخرج وتجد عملاً جديداً. في أي وقت تريد. وهذا ما يجعله مزهواً بنفسه. إنه لا يتحمّل الطهاة الذين يقولون إن السوشي أهم من الحياة نفسها، لذلك، فهو لا يهتم بالعمل في المطاعم الفاخرة».

«حسناً، ما دام يستطيع أن يجلب طعاماً إلى المائدة، كما أظن».

«نستطيع أن نتدبر الطعام، لكن شقّة كهذه هي أفضل ما يمكننا أن نأمل في العيش فيها. إني لا أتذمر. فلا توجد هناك نهاية إذا بدأ المرء يتمنى الحصول على المزيد، فما دمنا نعيش معاً هكذا بطريقة سعيدة ومحظوظة، فهذا كلّ ما أطلبه».

«ممم».

«هل أحضر لك قنينة بيرة؟»

«لا شكراً».

ليس من اللائق أن أحتسي بيرة بعد مجيئي بدون موعد في منتصف النهار في غياب ربّ البيت.

«ها قد عدت مرة أخرى تحاول أن تكون في غاية التهذيب. لقد تصرفت هكذا في تلك الليلة. لم تكفّ عن القول لا، شكراً. لقد تناولت ما يكفيني، شكراً، لكنك بعد ذلك، شربت كلّ ما قدمناه لك».

كانت تفتح غطاء قنينة بيرة حتى وهي تتكلّم. يبدو أنني سأشرب شيئاً في جميع الأحوال.

ما إن أحسست بأول فورة من السكر تتدفق في جسدي وتدفئه، حتى بدأت أقول إنه لا يوجد حقاً أي شيء غير طبيعي في ما يحدث.

لقد صادفتُ شخصاً لطيفاً، دعاني إلى شقّته، وكانت زوجته أيضاً امرأة طيعة، لطيفة، وشربنا نحن الثلاثة معاً، وها أنا أعود بعد ذلك إلى البيت. بالنسبة لبعض الناس، فإن أشياء كهذه تحدث باستمرار، وبدافع العاطفة البحتة، ألصقتُ ذكرياتي مع أمي وأبي بهذا الرجل وزوجته. وإذا ألغيت تقديراتي الشخصية من الصورة، فلم يحدث شيء غير عادي بأن أتجشّم عناء المجيء إلى أساكوسا لاكتشاف «حقيقة الأمر».

كانت المرأة ترتدي ثوباً بلا أكمام موشّى بأشرطة وردية فاتحة، ولاحظت أنه توجد على ذراعيها بقعاً جديدة تدل على لسعات البعوض. لو كانت هذه هي أمّي المرحومة حقاً، فكيف يمكنها أن تظهر أمامي وهي تنبض بالحياة، وعلى بشرتها بقع من لسعات البعوض، وكلّ ذلك؟ ولو كان الرجل هو أبي المتوفى حقاً، فيقيناً أنه لن يخرج من العمل إلا بعد أن ينهي فترة عمله في شينتوميتشو عندما جئت لزيارتها. لا يمكنني إلا أن أستنتج بأن لديّ مزاجاً هشّاً مكّن تهويمات جامحة من اجتياحي.

قلت: «لقد أمضيت وقتاً ممتعاً في تلك الليلة، وعدت الآن لأشكركما».

«كنا نقول لا بد أن تعود، آجلاً أم عاجلاً».

صبّت المزيد من البيرة في كأسي. رفعت رأسي ونظرت إلى جانب وجهها وهي تميل القنينة، وبدأت دقات قلبي تخفق بقوة مرّة أخرى. إنها شديدة الشبه بأمّي.

دهشت أيضاً للغرابة في أن تكون وحدك مع امرأة في منتصف

الثلاثينات من عمرها ولا تشعر بأن في الأجواء أدنى توتّر جنسي. لكنني سرعان ما أدركت أنه لا توجد غرابة في ذلك على الإطلاق. فعندما تبدو للمرء أن امرأة تشبه أمّه إلى درجة كبيرة، فمن الطبيعي أن تُكبت شهواته.

لكن ماذا لو عاد زوجها إلى البيت ورآنا هكذا. ماذا سيحدث؟ هل سيقتنع إذا قلت له إن زوجته تشبه أمّي إلى درجة كبيرة، ولهذا السبب لم تخطر لي أية أفكار غير محتشمة؟ قد لا يكون الأمر كذلك. لذلك يجب أن أغادر بسرعة. لا بد أن البقاء هنا واحتساء بيرة ليست فكرة جيدة. لا أريد أن أكون سبباً في أي خلاف لا داعي له قد ينشأ بين هذين الزوجين اللطيفين.

كنت على وشك أن أقول لها إنني يجب أن أذهب، لكنني ابتلعت كلماتي. فإذا استأذنت بالمغادرة الآن، فإن الشكوك والهواجس نفسها ستظل تنهشني كما من قبل، سيظل جزء مني يجد صعوبة في تصديق أن الشبه الغريب بين هذا الرجل والمرأة وبين والداي هي مجرد صدفة.

بعد أن قطعت كلّ هذا الطريق، يجب أن أسأل على الأقل شيئاً واحداً – سؤال قادني لزيارة هذا المكان مرة أخرى.

«هل أقطع لك بعض قطع الخيار أو شيئاً تأكله؟» سألتني.

«شكراً، لكني أظن أنني يجب أن أذهب الآن؟»

«الآن؟»

«نعم، يجب أن أذهب».

«لكنك جئت منذ قليل».

«أنا آسف. عندي اجتماع. سأعود ثانية. أرجو أن تنقلي سلامي».

«هل تريد حقاً أن تذهب بهذه السرعة؟»

«لسوء الحظ، نعم...»

«أظن أنك ذاهب إلى محطة تلفزيون؟»

«صحيح، في أكاساكا».

«ظننت أننا نستطيع أن نتناول العشاء جميعاً معاً».

«لقد جئت حقاً لأعبّر عن امتناني من أجل تلك الليلة، لكني، بدلاً من ذلك، أرى نفسي أشرب البيرة التي قدمتيها لي».

«آه، توقّف عن التصرّف مثل غريب».

انحنيت بطريقة رسمية ونهضت على قدميّ.

«سينزعج أبوك كثيراً»، قالت.

«سأعود مرة أخرى».

كنت أعرف أن الوقت قد حان لطرح ذلك السؤال، لكني مع ذلك أحجمت عن قول ذلك بصوت مرتفع.

«إنهم يتوقّعون هبوب إعصار في طريقنا، لكن يبدو أن ذلك لم يحدث».

قالت وأنا أنتعل حذائي عند الباب. كان من المتعذر أيضاً التفريق بين صوتها وصوت أمّي.

كنت أعرف أنني لا أستطيع أن أدع الفرصة تمر.

«قد تظنين لماذا أسأل هذا السؤال بعد كلّ هذا الوقت، لكن...»

«ماذا؟»

«أنا لا أعرف اسمك. أقصد، بما أنه لا توجد لوحة بالاسم على باب البيت».

«يا إلهي! عمّ تتحدّث؟ إنه هارادا، طبعاً». ذكرت المرأة كنيتي

بلا تردد، ثمّ انفجرتْ في الضحك، وأردفتْ قائلة: «لا بدّ أن حرارة الصيف قد دخلت إلى رأسك فعلاً. ماذا، طفل يسأل والديه ما هو اسمهما؟»

لجزء من الثانية أحسست بالعجز تحت مطرقة ثقيلة هائلة تكاد تهبط فوق جمجمتي. ثمّ أصابتني المطرقة الثقيلة بقوة.

«أظن أنّك على حقّ. ها ها ها. لا بد أنها الحرارة». تمكنت من استعادة أنفاسي بشكل يكفي لأخرج الكلمات بالقوة من فمي. لم أستطع أن أستدير لمواجهتها.

«إلى اللقاء، إذاً»، قلت، منحنياً.

«سنكون بانتظارك».

«آهههه».

«انتبه إلى نفسك».

«إلى اللقاء».

حاولت بكلّ ما أوتيت من قوّة أن أمشي بصورة طبيعية عندما خرجت من الباب، لكن موجة الرعب بدأت تزداد بسرعة. عندما بدأت أهبط الدرج المعدني، بدأت قدماي تزدادان سرعة مع كلّ خطوة أخطوها، وما إن خرجت من الزقاق وأصبحت في شارع التسوّق، حتى أطلقت ساقي للريح. كان كلّ جزء في جسدي على وشك أن ينفجر من شدة الذعر.

يا الله! أوه، يا الله! صحت بصمت. أنا لست رجلاً متديناً، لكن في تلك اللحظة غمرتني رغبة شديدة في أن أدعو أيّ إله يمكنه أن يسمعني.

لوّحت إلى سيارة أجرة. عندما وقفت أمامي أشرت للسائق بأن يمضي. «أنا آسف».

إن فكرة وجودي في مقصورة صغيرة وحيداً بالإضافة إلى السائق أرسلت في جسدي قشعريرة من الذعر. ماذا لو التفت السائق ونظر إليّ وبدا أن وجهه يشبه وجه أبي؟

«إنك تشاهد الكثير من أفلام الرعب القديمة»، قلت موبخاً نفسي. عندما لاحظت الناس يرمقونني بنظرات غريبة أدركت أنني قلت تلك الكلمات بصوت مرتفع.

نظرت بقلق من فوق كتفي ورحت أغذّ الخطا نحو محطة مترو تاوارا - ماتشين خشية أن أرى أمّي تجري ورائي.

أحسست براحة كبيرة عندما اكتشفت أنها لم تكن هي.

7

في ذلك المساء، هبّت عاصفة رعديّة عنيفة على المدينة.

رحت أراقب المطر المنهمر بغزارة والبرق اللامع في السماء من حانة في الطابق الأعلى من فندق يقع في مبنى ناطحة سحاب. كان المطر يتساقط فوق زجاج النافذة في سيول جارفة، مغبشاً إياه. لقد أطلق العنان للبرق الذي كان يطعن سطح الأرض فينشر بريقاً ساطعاً، مما أثار حنقي بعض الشيء. تملكتني رغبة جامحة في تحطيم لوح الزجاج الضخم لكي أرى الصواعق التي تهبط بلمعانها الثاقب. كنت أتوق لأن أنأى بنفسي عن أيّ شيء ليس شفافاً، أيّ شيء يعود إلى الظلام. كنت أريد أن أعيش في عالم كلّ ما فيه برّاق ولامع ونظيف. لهذا السبب بالتحديد، كنت أتجنّب الأقبية والأماكن القابعة على مستوى الأرض، وألجأ إلى المناطق المحيطة الأكثر لمعاناً وبريقاً، العالية التي تشق عنان السماء، لكن بفضل السحب الرعدية، وبتحريض من تجمع الغسق المتراكم، بدأ عالم الظلام يحلّ لحظة بلحظة على عالمي حتى في هذا المكان.

شعرت بالخوف من العودة إلى البيت ومواجهة شقّتي الفارغة وحيداً. بالطبع لا يوجد شيء معين يخيفني في الشقّة. بل كان الشي الذي كنت أخشاه هو الخوف من نفسي. إني أعرف ذلك تماماً.

ظللت لا أعرف كيف أفسّر الهلوسة التي تعتريني وهي أن يظهر أمامي فجأة أمّي وأبي اللذين توفيا منذ أمد بعيد بنفس الصورة التي كنت قد رسمتها عنهما عندما توفيا.

لم يكن يبدو أن زيارتي اليوم، حتى في أكثر اللحظات العابرة، مجرد هلوسة. فها هي أمّي تظهر أمامي في هيئة امرأة أخرى، تنبض بالحياة، وحقيقية من الناحية الجسدية مثل كأس الويسكي الذي أحدّق فيها الآن. كيف يمكنني أن أصدّق أنّها من نسج خيالي فقط؟ حتى أنها قدمت لي زجاجة بيرة، وظل إحساس دافئ ولطيف من السكر يسري في جسدي لفترة.

على الرغم من ذلك، فلا يمكن أن يكون أي شيء مما يحدث حقيقي. لا بد أنني أتخيّل كلّ هذه الأشياء.

والأكثر من ذلك هو أنني أبدو أفتقر إلى القدرة أو إلى القوة حتى أحرّر نفسي من هذه الهلوسات - لأشفي نفسي من الأسباب التي تحدثها. شعور بالعجز بدأ يحفر في معدتي. لا ريب أن والداي اللذين فقدتهما وأنا في مقتبل العمر، في الثانية عشرة، قد خلّفا في نفسي ندوباً عاطفية، لكنّي أعرف تماماً أنه حتى الذين بلغوا سن الرشد وهم يعيشون في كنف أبائهم، لا يزالون يحملون ندوب الطفولة من نوع أو آخر، لذلك يمكنني أن أقول إنني لا أختلف عن الآخرين. لكن الفرق بيني وبينهم، في رأيي، هو كيف يمكن للمرء أن يتحكم بالإرث المؤسف لولادته وطفولته ويروّضه وهو يمضي في عيش سنوات بلوغه. بالنسبة لي، كنت أعتقد أنني كنت قد تمكنت من حلّ هذه الأمور منذ فترة طويلة، وأنني قد ألقيت بها خلف ظهري. لم أكن أتوقّع قط أنهما قد يمدّان رأسيهما فجأة بهذا الشكل.

لا يمكنني إلاّ أن أقول إن هذه الهلوسات أظهرت جوعاً لاشعورياً لشيء لم يتحقق لأنني فقدت والداي وأنا في مثل هذا العمر الصغير. وعلى المستوى الواعي، يقيناً، فإني أعتبر نفسي أنني قد تحررت من مثل هذه الرغبات، مع أنني عندما أحسست بالأمان المريح في وجود هذا الرجل والمرأة، لا يمكنني أن أستنتج إلا شيئاً واحداً وهو أنني، في مكان ما في أعمق أعماقي، أتوق إلى عناق الحبّ الأبوي الدافئ. ومن المنطقي أن يتبع ذلك إذاً أن يكون هذا الحنين الخفي قد طفا على السطح في شكل هلوسة خلال أيام وحدتي التي أعقبت طلاقي. لكني، في حقيقة الأمر، لم أتقبل أنه تفسير مقنع لما حدث لي.

هل يمكن أن تصل الهلوسة الحقيقية إلى هذه الدرجة؟ فإذا كانت مخيلتي هي التي اختلقت الأحداث التي جرت في أساكوسا اليوم، ثمّ ما جرى في هذه الحانة، وكلّ هذا الفندق، بل حتى الرعد الذي يهدر والبرق الذي يلمع والمطر الذي يهطل خارج هذه النافذة، لا بد أن تكون نتاجاً لها أيضاً. كنت متيقناً من وجود أمّي معي في تلك الشقّة بعد ظهر اليوم، تماماً كما كنت متيقناً من قطع الأثاث والأشخاص الذين يحيطون بي في هذه الحانة الآن - والشيء نفسه ينطبق على أبي في تلك الليلة. لا يمكن إنكار هذه الحقيقة الساطعة.

مهما كانت حقيقة الأمر، فإنه يتعين عليّ التعامل معها بهدوء وروية.

لم أشأ أن أصدّق أن هذا الأمر قد يكون ممكناً، لكني خشيت أن تكون هذه التجربة نذير شؤم بانهيار عصبي وشيك - انهيار عصبي نتيجة ضعف متأصل في داخلي. وإذا كان الأمر كذلك، يتعين عليّ أن أجد وسيلة للحيلولة دون حدوث ذلك.

أدركت أن آخر شيء أحتاج إليه هو أن أتناول كأساً آخر، بل إن ما كنت أحتاج إليه حقاً هـو أن أعـود أدراجـي إلى البيـت وأبـدأ عمـلي. إن أفضل فرصة لي لوقف هذه الهلوسات قـد تكمـن في أن ألتـزم بأسـلوب حياتي المعتاد وألاّ أعكّر صفوها.

استقللت سيارة أجرة للعودة إلى شقّتي. ما إن وصلت إلى مـدخل البناية، حتى توقفت العاصفة، وبزغ قمر رائع ونشر ضـوءه عـلى موقـف السيارات الذي كان خالياً من السيارات تقريباً.

عندما دخلت إلى المصعد قلـت إن أول شيء سـأفعله هـو أن أنـير جميع الأضواء في الشقّة - لا الأضواء التي تتدلى من السقف فحسب، بل كذلك الأضواء التي تنتصب فوق طاولة مكتبي، وبجانب سريـري، وفي الحمّام، لأطرد الخوف الذي لازمني طـول الطريـق مـن أساكوسـا. كـان صدى الكلمات: «أي طفل يمكن أن يسأل والديه عن اسميهما؟» لا يزال يتردد في أذني.

فتحت باب الشقّة المعتمة، وحرّكت مفتاح ضوء غرفـة الجلـوس، ثم تلاه ضوء غرفة النـوم، ثـمّ المـصباح الـصغير المركـون عـلى المنـضدة بجانب السرير، ثم المصباح على طاولة مكتبي وأخيراً ضوء الحمّام.

ثمّ تسمّرتُ من شدة الرعب.

لم يعتلق مفتـاح الـضوء في مقـصورة الحـمّام. حرّكـتُ المفتـاح إلى الأعلى والأسفل عدة مرات، لكن الظـلام ظـل مخـيماً. وبغتـة أحسـست بوجود شخص غريب مخيف يترصدّني هناك. تملكّني الرعب وأنـا أنتظـر أن تمتد تلك اليد الغريبة البشعة وتخرج ببطء مـن داخـل الحـوض، تليهـا ذراع، ثمّ وجه، وأخيراً هيئة غول كاملة تقف هناك تحدّق بي.

فاغراً فمي، لاهثاً، أغلقت الباب. كان ذلك كلّ ما يمكنني أن أفعله حتى لا أصرخ. لا تكن سخيفاً! إنه مجرد مصباح محروق.

هذا كلّ ما الأمر. لماذا يجب أن أقف هنا وأرتعش من الخوف؟

لكن حتى عندما حاولت أن أطمئن نفسي، لم يفارقني الإحساس بالذعر. تملكّني خوف شديد. لكني أسمع شيئاً. صوت... ماذا يمكن أن يكون؟ يا إلهي، إنه الهاتف الداخلي. إنه رنين الهاتف الداخلي. لا غرابة في ذلك. ثمة شخص عند الباب يقرع جرس شقتي. ما الضير في ذلك. لكن من يمكن أن يكون؟

أظن أنه أبي، أو أمّي.

خطوت نحو الباب. أدركت أنني أدع موجة إثر موجة من الرعب تجتاحني، وأنني بدأت أسير مترنحاً، عاجزاً. لقد كرهت نفسي من أجل ذلك. «تمالك نفسك»، همست لنفسي، ورفعت سماعة الهاتف الداخلي.

«مرحباً. هذا أنا»، قالت كي.

غمرني شعور شديد بالارتياح.

فتحتُ الباب ووجدتها واقفة هناك مرتدية بلوزة خضراء باهتة وتنورة صفراء.

«هل يمكنني أن أدخل؟» سألتني، وأمالت رأسها الصغير جانباً.

قررتُ ألاّ أخبر كي عمّا جرى لي اليوم من أحداث.

لا أعرف ماذا يفعل الناس عادة في مثل هذه الظروف. تساءلت إن كنت مصاباً بجنون الشك. في عدّة مرات، كنت على وشك أن أفضي لها بما وقع لي، لكني كنت في كلّ مرة، أجد نفسي أحجم عن ذلك.

فلم يكن الأمر أن أحداً هاجمني في الشارع وسلبني نقودي.

قد يكون سبب هذه الهلوسة إلى وهن شخصي، ولم أشأ أن تراني كي وأنا أرتعد خوفاً من شيء لا أستطيع أن أفهمه أنا نفسي حق الفهم.

قالت: «لقد رأيتك من النافذة عندما دخلتَ إلى البناية منذ قليل»، ثم أضافت، «كنت تبدو في غاية الشحوب ومنهكاً. شعرت بالقلق عليك».

«ربما كان ذلك لأن القمر ساطعاً بقوة»، قلت، لأخفّف من حدّة قلقها، «فأنا لا أشعر بأدنى تعب». كانت في الثالثة والثلاثين من العمر، وبما أنني رجل يكبرها بخمس عشرة سنة، فقد حاولت غريزياً أن أخفي أيّ علامات تدلّ على وجود وهن في حيويتي.

«هل أنت متأكّد؟» كانت بين ذراعي، «لم تكن تبدو طبيعياً تماماً».

«آه»، قلت ساخراً، «وهل كانت هناك هالة شبحية تحوم حولي أيضاً، ربما؟» كانت نبرة صوتي تشي بالمزاح، لكنّي في حقيقة الأمر أخذت ملاحظتها بجدية أكثر. إن حدس المرأة أسطوري.

«في الحقيقة، نعم»، قالت كي، «قد يبدو هذا غريباً، لكن كنت تبدو كأنك كنت في عالم بعيد آخر أو شيئاً من هذا القبيل؟»

«أو ربما كنت مجرد طيف؟»

«نعم، كنتَ تبدو مثل شبح. لذلك توقعتُ أن لا أجدكَ في البيت عندما قرعتُ جرس شقتك».

«إذاً، هل تظنين أنني شبح الآن؟»

«لا أظن ذلك. ليس بوجود شعر ينسلّ من أنفك هكذا؟»

ضحكنا كلانا وارتمينا في عناق حار.

أصرّت مرة أخرى على ألاّ ألمس صدرها، وألاّ أنظر إليه، لذلك بدأت للمرّة الثانية أمارس الحبّ معها بوضع ذراعي حول ردفيها الجميلين البيضاوين والشامة الصغيرة الجميلة التي تزيّن ردفها الأيسر.

في ذلك المساء، علمت أن كي تعمل في قسم المحاسبة في ورشة للتغليف، وعرفت أنها ولدت ونشأت في مزرعة صغيرة تبعد قرابة ساعة بالحافلة من توياما على بحر ساحل اليابان.

في اليوم التالي، أمضيت معظم الوقت الممتد من بعد الظهر بقليل حتى منتصف الليل في مراقبة ما يجري في صالة ألعاب بلياردو كنت قد زرتها ذات يوم لمدة ساعة تقريباً. كان المسلسل لا يزال ينتظر الحصول على الموافقة الرسمية، لكن المنتج طلب مني أن أمضي وأبدأ العمل على الحلقة الأولى لأنه ربما لن يتوفر لديهم الوقت الكافي للتصوير إذا انتظرنا حتى صدور الموافقة رسمياً وتجاوز جميع العقبات التي يمكن أن تنشأ.

كان واثقاً تماماً من أنه سيتم الحصول على الموافقة، وقال إنها مضمونة إلا إذا خرج أحد الراعين بشيء ما وعطّل العمل برمته. وإذا كانت شركة الإنتاج مقاولاً خارجياً، فإني سأنتظر الموافقة الرسمية قبل أن أبدأ، لأن محطات التلفزيون نادراً ما ترفض ما يبدو أنه شيء أكيد في المرحلة النهائية من المفاوضات. لكن في هذه الحالة، فإن المسلسل منتج في المحطة نفسها، وقد وقّعت جميع الأقسام المعنية على المسلسل. لذلك كانت زيارتي إلى صالة البلياردو فرصتي الأخيرة لمراقبة رواد الصالة قبل أن أبدأ الكتابة.

بدأت أكتب في صباح اليوم التالي.

بعد الساعة التاسعة بقليل من ذلك المساء، رنّ الهاتف. قالت كي إن لديها قليلاً من سمك الأنقليس تريد أن تتناوله مع بعض المشروبات وسألت هل تستطيع أن تصعد إلى شقتي.

ملأت 53 صفحة من أصل 200 صفحة في اليوم الأول من الكتابة، وقد وضعني ذلك في مزاج رائق. شربنا وتجاذبنا أطراف الحديث حتى الساعة الحادية عشرة، ثم ودعتني ببضع قبلات. أردت مضاجعتها لكنها لم تسمح بذلك.

«لا أريدك أن تظن أنني أرغب في ممارسة الجنس كلّما أتيت لزيارتك»، قالت.

«لم أفكّر بذلك»، قلت، لكنّي كنت أعرف أن ذلك قد يؤثّر على قدرتي على العمل في اليوم التالي وأنا في عمري هذا، لذلك لم ألحّ عليها.

عندما تمنيت لها ليلة سعيدة، قبّلتها مرة قبل أن أفتح الباب، ومرة أخرى بعد أن فتحته. لم أرفع عيني عنها حتى اختفت وراء باب المصعد.

في صباح اليوم التالي، استيقظت في الساعة السابعة، وفي الساعة الثامنة جلست إلى طاولة مكتبي. عندما حلّ المساء، كنت قد ملأت 68 صفحة أخرى. بعد يومين من العمل أصبح لدي ما مجموعه 121 صفحة، التي، حسب طبيعة المسلسل، يمكن أن تكفي لحلقة كاملة. لكننا كنّا نهدف إلى تقديم مسلسل يتخلله حوار حيوي. كان من المفترض أن تكون الشخصيات ثرثارة وتتكلم بسرعة. قالت لي غريزتي إنني أحتاج إلى 40 صفحة أخرى أو قرابة ذلك، بالإضافة إلى فترة من الوقت تخصص لمشاهد لعب البلياردو والتنس تخلو من الحوار.

بعد أن أحسست بالإنهاك من الجهد الكبير الذي بذلته، توجّهت إلى مطعم إيطالي قريب لتناول العشاء. في طريق عودتي، توقّفت عند محل لتأجير أفلام فيديو لأستأجر آخر أفلام إدي ميرفي. صببت لنفسي كأساً من البيرة، وشغلّت شريط الفيديو، لكني سرعان ما غفوت على الأريكة. عندما استيقظت في منتصف الليل، توجّهت مترنحاً إلى سريري باذلاً كل جهدي حتى لا أدع عقلي يفكّر في أمور أخرى. لحسن الحظ، عدت وغططت في النوم بسرعة. شغلت نفسي طوال اليوم في العمل وفي أعمال روتينية أخرى، وتمكّنت من إبعاد والداي عن تفكيري.

أنهيت الحلقة في اليوم الثالث. بعد إنهاء 165 صفحة تساءلت هل من الممكن أن تكون أطول قليلاً، لكن بالنسبة لسيناريو أول حلقة من مسلسل فيه عادة مشاهد إضافية للشخصيات والمواقع والمباني، ربما أصبح الحوار الصافي أقل من 160 صفحة.

استمر العمل بوتيرة نادراً ما كنت أتمنّى أنني أستطيع تحقيقها. ففي بعض الأحيان، كنت أمضي يوماً كاملاً وأنا أعصر دماغي لكتابة ثلاث صفحات فقط، وفي صباح اليوم التالي يمكن أن ألقيها في سلة المهملات. عندما استمرّ ذلك أكثر من يوم أو يومين، تساءلت بجدية هل آن الأوان لأن أغيّر مهنتي، على الرغم من أنني مفعم بالحيوية والطاقة في هذا الوقت. بدأت القصّة تتشكّل بشكل رائع، وانبثقت جميع الشخصيات بسرعة إلى الحياة، وبدأت كلّ شخصية تأخذ مسارها في الحياة بشكل منفصل عن الأخرى حتى الحلقة التالية.

أنهيت عملي في الساعة الثالثة بعد الظهر تقريباً. كان عليّ أن أقرأ المسوّدة مرة أخرى لأصححها وأدخل عليها بعض التعديلات، لكن

ذلك يمكن أن ينتظر حتى يوم غد. إن ترك المخطوطة كما هي لمدّة يوم يجعل من الأسهل عليّ أن أكتشف المشاكل والأخطاء فيها.

هذا يعني أنه سيكون عندي وقت فراغ، ومن المحزن أن أمضيه وحيداً في شقّتي. ولسوء الحظ، تكون كي في عملها في هذا الوقت، ولا أعرف أحداً يمكنني أن أزوره في الساعة الثالثة من بعد الظهر وأتوقّع أن ينضم إليّ.

في أوقات كهذه في الماضي، كنت أطلب من زوجتي عادة أن تصحبني إلى السينما لمشاهدة فيلم ما. لكن البهجة والمتعة التي كانت تغمرني لأنني أنجزت عملي بنجاح، تخصني أنا وحدي، لأنني سرعان ما أدركت بأن زوجتي لم تكن تبادلني نفس مشاعر البهجة والمتعة. لذلك دربّت نفسي على أن لا أظهر بهجتي على الملأ، وعليّ أن أكون حذراً في أمور كهذه مع كي أيضاً.

إن تدفق الحلقة الأولى بهذه السهولة والسلاسة التي انطلقت من قلمي أمر يبشّر بالخير لمستقبل المسلسل، لذلك لم يكن شعوري بالبهجة ينحصر في إنجازي الأخير فقط. إن كتابة الحلقة بهذه السهولة واليسر أدخلت في نفسي بهجة من نوع مختلف. فقد تملكني إحساس بالثقة بأن ما كتبته للتو سيتجاوز توقعات المنتج والمخرج. ومع أنني لم أكن متحمساً لكتابة هذا المسلسل في البداية، فإني ما إن جلست فعلاً لكتابته حتى أحسست بأنه أصبح ملكاً لي. وأصبح بإمكاني أن أوجّه القصّة والشخصيات في الاتّجاه الذي يروق لي.

استقللت قطار المترو إلى جينزا ودخلت إلى حانة بيرة. لم يكن فيها عدد كبير من الأشخاص من هم في منتصف العمر. ما إن احتسيت كأساً

كبيرة من البيرة، حتى بدأ تفكيري يتوجّه شيئاً فشيئاً نحو أمّي وأبي.كنت قد تمكنت من إبعادهما عن تفكيري في الأيام القليلة الماضية، لكن بدا أنني أصبحت الآن مستعداً لإلقاء نظرة متفحصة وبطيئة عليهما مرة أخرى.

عندما بدأت أفكّر بهما، وجدت أمّي وأبي يظهران لي. لم يكونا يقفان ورائي في حانة البيرة طبعاً، بل رأيتهما يراقبانني بدفء في عين عقلي.

«إننا بانتظارك. انتبه لنفسك الآن»، قالت أمّي.

هربت من هذا اللقاء مذعوراً، لكنني عندما توقّفت لأفكّر في الأمر، لم تقدم أمي ولا أبي على عمل أيّ شيء قد يؤذيني. أحسست أنني لو أخبرت أمّي عن شدة بهجتي لأنني أنهيت كتابة المخطوطة بهذه السرعة، فإني على ثقة بأنها ستشاركني بهجتي تلك.

لا يمكنني أن أقول إن ما تعرضت له في أساكوسا أمر طبيعي. ثمة احتمال كبير بأن كل ذلك قد حدث داخل جمجمتي. لكن بعد مواصلة التفكير بهذه الأحداث الآن، وجدت نفسي أتساءل عمّا إذا كان هناك ضير في إطلاق العنان لمخيلتي بين الحين والآخر.

بالطبع، إذا كانت تلك الهلوسات المتكرّرة تعذّبني حتى عندما أكون في البيت وأثناء العمل، عندها سيكون العلاج ضرورياً - لإبعاد هذه الرؤى عن عقلي بصورة نهائية. لكن هذه الهلوسات لطيفة، وغير مؤذية ولا تراودني إلا عندما أذهب إلى أساكوسا، وهي تملؤني بالراحة وبالقوّة. فلماذا يتعين عليّ تفاديها؟

كانت مجرد كلمات قيلت من وراء ظهري، وعرفت أن المرأة التي قالتها هي أمّي. حتى الآن لم تتح لنا الفرصة لأن نتحدث كأمّ وابنها.

لا يمكن أن ينتمي أمّ وأب في الثلاثينات من عمرهما وابن في

الثامنة والأربعين من عمره إلى العالم الحقيقي، طبعاً، لكن إذا كان العالم المتخيّل يسمح بمثل هذا العلاقة، فإني على استعداد للإيمان بهذا العالم. لقد تلاشى الرعب الذي كان يعتريني، وأصبحت تطوف أمامي ابتسامات والداي البهيجة وهي تدعوني بترحاب إلى بيتهما.

إن الابتسامات البهيجة التي يبديها أشخاص يحبونني ويشعرون بالسعادة لرؤيتي ليس أمراً غير معهود بالنسبة لي - فقد سعدت بذلك لفترة قصيرة من الزمن مع زوجتي، ومع ابني عندما كان لا يزال طفلاً - لذلك، لم أُحرم من هذه المشاعر تماماً بالمقارنة مع أشخاص آخرين يعانون من ذلك. إن توقي وحنيني إلى رؤية وجهيّ أبي وأمّي وهما يبتسمان لي قويّ جداً إلى حد أنه جعل هذه الهلوسات تعود، في ظني، إلى الطفل الأبدي الذي يقبع في داخلي.

لو أنني خنقت هذا الطفل الأبدي في مهده، ألا يعني ذلك أنني أرفض والداي هذا الطفل اللذين هما في الثلاثينات من عمرهما وقد عادا ليعشيا مرة أخرى في منطقة أساكوسا التي يحبانها كثيراً؟ لقد جاءا من أجلي، بالرغم من جميع المظاهر بأنهما يمضيان الأيام الفاصلة بين زياراتي وهما منهمكان في عملهما ولعبهما، وربما كان الوقت كلّه، باستثناء الفترات التي يمضيانها معي، هو بالنسبة لهما وقت فراغ، ولا يوجد فيه أي منهما في واقع الأمر. لقد صوّرت أبي وأمّي وهما مجمّدان في وسط نشاط ما، مثل هيئتين في متحف من متاحف الشمع. ألست أنا الشخص الوحيد الذي يمكنه أن ينفخ فيهما الحياة؟

نهضت على قدميّ، وخرجت لأقابل شمس بعد الظهر الساطعة، ولوّحت لأوقف سيارة أجرة.

8

ما إن انعطفت من الشارع الذي تحفّه محلات كثيرة إلى الزقاق، ورحت أصعد درجات السلم المعدني حريصاً بقدر ما بوسعي لأن لا أصدر صوتاً، حتى أحسست بعقدة من الخوف تتشكل داخل بطني مرة أخرى. توقفت عن صعود الدرج قبل أن أبلغ الطابق الأعلى.

ما طينة هؤلاء الناس في نهاية الأمر؟

هل هما ضرب من الثعالب أو الحيوانات التي تغيّر أشكالها والتي تحكي عنها الأساطير القديمة؟

ففي السنة التي توفيا فيها، كان أبي في التاسعة والثلاثين وأمّي في الخامسة والثلاثين من العمر. لا يمكن أن يعيش نفس الأب ونفس الأمّ في هذه البناية السكنية بعد مرور 36 سنة دون أن يكبرا في العمر يوماً واحداً.

على الرغم من العشوائية والتقلب التي يبدو عليها واقعنا هذا، تظل هناك بعض الأشياء ويختفي بعضها الآخر. ولكي يرى رجل في الثامنة والأربعين من عمره هذا الفرق فمن المؤكد أنه يشير إلى انهيار خطير من نوع ما. وعندما قررت أن أختار الشيء اللا واقعي بحماسة شديدة وأهرع عائداً إلى هذا المكان بسيارة أجرة، هل هذا يعني أنني أقول في الواقع إنني لم أعد أعبأ حقاً بحياتي العادية؟

من المؤكد أنني لم أفكّر بالأمر بهذه الطريقة.

لقد أنهيت للتو، وبتركيز شديد نادر، كتابة الحلقة الأولى من المسلسل. أعرف أن المسوّدة ليست سيئة، وتوجد لديّ طاقة كبيرة لأبتهج بنجاحي. في رأيي، فإن عودتي إلى هذا المكان ليست هروباً بدافع اليأس.

بالرغم من ذلك، فقد ساورتني بعض الشكوك بأنني إذا صعدت إلى الطابق الأعلى وسرت في الممر الخارجي باتجاه آخر شقّة في الجهة الخلفية، في أن أجد والداي - أو على الأقل، فإني سأرى شخصين يدعيان أنهما أمّي وأبي، ويشبهانهما شبهاً شديداً يتعذر معه تمييزهما عنهما. لكن وجودهما كان يبدو حقيقياً إلى أقصى درجة من الحقيقة، وكان الوقت الذي أمضيته معهما رائعاً لا يمكن أن ينسى إلى حد أنني وقفت عاجزاً أمام مقاومة إغرائهما.

كنت أعرف أنّني أتقدّم دائماً خطوة خطوة إلى عالم مرعب، مع أنني لم أستطع أن أرى كيف أن تغيير اتجاهي الآن سيجعلني أحافظ على أيّ شيء ذي قيمة. إن أي رجل يتمتع بعقل راجح سيتوقف عن صعود هذه الدرجات ويعود أدراجه. لكن ماذا يمكنني أن أكسبه إذا عدت بذريعة حماية حالتي النفسية المتضعضعة؟ ساورني شك في أن مستقبلاً مشرقاً ينتظرني في الحياة التي سأعود إليها.

صعدت الدرجات القليلة الأخيرة إلى الطابق الثاني.

لم تكن أمّي وأبي يبعدان عني أكثر من عشر خطوات.

رافق هذا الاعتراف وعي ذاتي مرهف، وبدا أن ساقيّ قد بدأتا تتراجعان قليلاً مع كلّ خطوة أخطوها. كيف سيبدو ذلك؟ تساءلت كيف سيبدو الأمر إذا ما التقيت بهما وحدثتهما لأول مرة على أنهما أبي وأمّي.

هناك أمور كثيرة أريد أن أخبرهما عنها وخاصة عن السنوات الماضية منذ أن كنت في الثانية عشرة - كلّ ما واجهته وتعرضت له في حياتي.

«هيديو».

تناهى إليّ صوت أبي، يناديني من ورائي. تسمّرت في مكاني، ولم أستطع أن ألتفت فوراً.

«لماذا أنت واقف هناك؟»

انتقل الصوت بسرعة إليّ، ثم شعرت بأن أحداً يربّت برقة على كتفي، بينما تقدم أبي نحو الباب. ودون أن يلتفت، قال: «هل تريد أن تلعب لعبة رمي الكرة؟»

سألته، «أين؟» لكنه كان قد دخل إلى البيت. تبعته بسرعة.

كما في الماضي، كان الباب مفتوحاً لتتسرب منه نسمة هواء.

«هل يوجد مكان قريب من هنا؟» سألته وأنا واقف عند المدخل.

«يا إلهي! متى أتيت؟» قالت أمّي وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة من وراء مغسلة المطبخ.

«كان واقفاً هناك في آخر الممر»، قال أبي وضحك. عندما جلس على عتبة النافذة التي تبلغ علو ركبة على الطرف المقابل للغرفة، أزال شريط السيلوفان الذي يغلف علبة السجائر. يبدو أنه اشتراها منذ قليل.

«مرحبا»، قلت، بصوت بدا أنه يشبه صوت طفل في الثانية عشرة من عمره، حتى بالنسبة إليّ.

«ادخل»، قالت أمّي.

«ادخل، ادخل»، قال أبي.

«مرة واحدة فقط»، قلت وأنا أخلع حذائي، «لعبنا لعبة رمي الكرة في الساحة أمام المسرح الدولي. أتذكر ذلك يا أبي؟»

«لا بد أننا فعلنا ذلك أكثر من مرة».

«لا، مرة واحدة فقط. لذلك فإني أتذكّرها جيداً. كنت أتمنّى دائماً أن نلعبها مرة أخرى، لكن الفرصة لم تسنح لنا ثانية قط».

«هل تريد أن نذهب ونلعب إذاً؟»

«لم لا؟» قالت أمّي تحثّنا.

«هل لا تزال الحديقة موجودة هذه الأيام؟»

«يمكننا أن نلعب في الشارع أمام البناية».

«أتظن أننا نستطيع ذلك؟»

«جميع المحلات مغلقة. والمدينة كلها خالية من الناس حتى السابع عشر».

هذا صحيح. فنحن في شهر آب (أغسطس)، الشهر الذي يعود فيه نصف سكان طوكيو إلى الريف للمشاركة في مهرجان بون لتقديم التحية لأرواح الموتى العائدة. إذاً لم تكن فترة اليوم فقط هي التي جعلت حانة البيرة هادئة على نحو غير اعتيادي.

بحث أبي في الجزء السفلي من الكنبة وأخرج بسرعة قفازي بيسبول. كانا مهترئين إلى درجة كبيرة، لكنّي لا أتذكّر أنني كنت قد رأيتهما من قبل.

«لديك قفازان قديمان رائعان»، قلت له.

فقال: «لنتذكر جيداً. كنت ألعب معك بكرة مطاطية فقط، أليس كذلك؟»

هذا صحيح، تذكّرت. كانِ عنده كرة بيسبول نظامية، لكنه كان يصرّ على أن اللعب بها خطير على الأطفال الصغار، وكان يرفض أن يستعملها في اللعب معي. كنت أريد أن ألعب معه لعبة رمي الكرة بتلك الكرة، لكنّه كان يجد الأعذار دائماً بأنه مشغول كثيراً - حتى تلك المرة الوحيدة التي وافق فيها على أن يلعب معي بكرة مطاطية، كان يرتدي لباس الفريق الذي ينتمي إليه مع رفاقه في العمل في مطعم السوشي، ولم يكن يولي اهتماماً كبيراً باللعب مع ابنه.

«سنخرج قليلاً»، قلت لأمّي.

«امضيا وقتاً ممتعاً»، قالت من وراءنا عندما هممنا بالخروج. ما إن خرجنا ووصلنا إلى شارع التسوّق، حتى أدركنا على الفور بأن اللعب هناك أمر مستحيل. كان أبي محقّاً عندما قال إن معظم المحلات مغلقة، وإن حركة المرور أقل بكثير مما كان معتاداً أيضاً، لكن ذلك لا يعني أن الشارع هادئ تماماً وأننا نستطيع أن نقف في وسط الشارع ونرمي الكرة ذهاباً وإياباً.

قال: «هيا إرم الكرة»، ثم أضاف، «حسناً. لنذهب من هذا الشارع»، وانطلق بخطى سريعة، وتبعته.

كنت أبتسم. وكطفل، كنت أظن أن أبي شرس في القتال ويحرز دائماً مركز الصدارة، لكنّي تخيّلت الآن بأن الشخص الذي أمشي وراءه هو في واقع الحال شخص سعيد، خال من الهموم - كان يقول ما يخيّل إليه أنه الأفضل، ثمّ يحافظ على هدوئه عندما يتبين له أنه مخطئ ويحاول أن يجد طريقة أخرى.

أمتعني هذا الاكتشاف. ومع أنني وجدت متعة بهذا الاكتشاف

وأنا في الثامنة والأربعين من عمري، وجدت نفسي قد تحوّلت إلى صبي في الثانية عشرة من العمر مرة أخرى في اللحظة التي وصلنا فيها إلى الشارع أمام معبد هونغانجي وارتطمت أول كرة رماها أبي بقفازي.

رمية جميلة، فيها الكثير من الحرفية والمهارة.

«لديك ذراع جيدة يا أبي».

«ماذا تتوقع؟»

بين الحين والآخر، كنا نتوقف لندع شخصاً يمشي أو سيارة عابرة تمرّ. أمضينا ساعة تقريباً ونحن نرمي الكرة ذهاباً وإياباً. كنت أستمتع بالإحساس بأنّ كل رمية قوية أو خفيفة تعيد إليّ قدراً أكبر من أبي الذي فقدته منذ زمن بعيد. وكلّما اضطررت لأن أتنحى جانباً لأفسح مجالاً لسيارة عابرة لتمرّ، كنت ألاحظ بارتياح شديد وعلى نحو لا يدع مجالاً للشك بأنها من طراز حديث. وبنفس القدر من الرضا لاحظت أن أبي أيضاً، كان يبتعد عن الطريق ويقف جانباً معي كلما مرّت سيارة.

«ها هنا سيارة قادمة، سيارة قادمة».

«أوكي، دوكي».

مرة بعد أخرى كنا نتوقف عن اللعب ونتبادل عبارة كهذه ونخطو نحو السياج الطويل الذي يحيط بالمعبد. كنت أستمتع بكلّ لحظة.

«ربما كان من الأفضل أن نتوقف عن اللعب»، قال أبي أخيراً، «لأن أمك ستلومني إذا أخرّتك لفترة طويلة».

حتى مثل هذه الملاحظات كانت تبهجني وتدخل السرور إلى نفسي. وبدأت أدرك أن انطباعاتي عن والداي لم تكن تشبه بأي بشكل من الأشكال انطباعاتي عنهما عندما كنت في الثانية عشرة من عمري. وكان

بوسعي أن أرى تصرفات لاعب محترف ماهر بالطريقة التي كان يمدّ فيها أبي ذراعيه، ويندفع إلى الأمام، ووجدت ذلك أمراً عظيماً محبباً.

عندما عدنا إلى الشقّة، كانت المائدة قد أُعدّت، ووضعت عليها طاسة فاصولياء الصويا وطبق توفو، بالإضافة إلى ثلاثة كؤوس من البيرة.

قالت أمّي: «كنت أتمنّى أن يكون لدينا دُشاً لكي تستحم».

«نعم، صحيح»، ردّ أبي، «وأين تقترحين أن تضعي شيئاً كهذا؟» ثم خلع قميصه وتعرّى حتى الخصر أمام مغسلة المطبخ وراح يمسح جسمه بمنشفة باردة. كانت بشرته تميل لأن تكون بيضاء، وتكسو جسده عضلات قوية.

عندما انتهى، خلعت قميصي لكني بقيت مرتدياً قميصي الداخلي بلا أكمام عند المغسلة، وفعلت كما فعل.

فتح أبي التلفزيون. كانت تُعرض بطولة المدارس الثانوية الصيفية في البيسبول.

بجانب جهاز التلفزيون، كانت تنتصب مروحة كهربائية تدير عنقها يميناً يساراً.

«تعال اجلس هنا، يا هيديو»، قالت أمّي. جلست بينهما إلى المنضدة الواطئة ومددت كأسي إليها فصبّت لي بيرة فيها.

«هل تعمل في الوردية المتأخرة اليوم يا أبي؟» سألته.

«لا، لقد تركت العمل».

«هذا صحيح»، قالت أمّي، «لقد ترك العمل مرة أخرى».

«تمهلي قليلاً؟ هل سبق وتركتك تجوعين؟»

«لا، لكن...»

«إنه أمر مضحك. يوجد في المطعم منضدة طويلة بالإضافة إلى خمس طاولات، وأنا الوحيد الذي يستطيع أن يعدّ سوشي جيدة. كان من المفترض أن يغادر صاحب المطعم المستشفى في أيلول (سبتمبر)، لذلك فهي ترجوني أن أبقى حتى شهر آب (أغسطس)، لكنّي مللت من العمل هناك. عليك أن تفكّر بما تفعله لزبائنك خلال هذه الفترة. أقصد، لا أستطيع أن أجهّز كلّ الطلبات بنفسي، لذلك، بدأ الزبائن يحصلون على كلّ الأنواع السيئة المخجلة، وبالطبع، لم يكن أحد سعيداً بذلك. لحسن الحظ أن الزبائن في هذه الأيام وديعون ولطيفون للغاية ولا يظهرون انزعاجهم ولا يعبّرون عن غضبهم، لكن لأنهم لا يغضبون بعنف لا يعني أن كل شيء يسير على ما يرام».

«حسناً يا عزيزي. لا داعي لأن نفسد زيارة هيديو بالتحدث عن هذه الأمور الآن».

«أنت من أثار الموضوع».

كنتُ في غاية السعادة. لم يكن عند والداي جهاز تلفزيون عندما توفيا. وكان يصعب العثور على أشياء مثل البيرة وفاصولياء الصويا والتوفو في تلك الأيام. بالإضافة إلى أن المروحة الكهربائية جديدة أيضاً.

«إني سعيد جداً من أجلك يا أمّي. وأنا سعيد حقاً لأنك تستطيع أن تعيش هكذا الآن، يا أبي».

«لا تكن بخيلاً هكذا بشرب البيرة»، قال أبي، «بالطريقة التي تشربها، يخيّل إليّ أنك تشرب ويسكي».

«هذا صحيح»، أضافت أمّي، «هيا اجرعها دفعة واحدة. نستطيع أن نشتري أخرى».

جرعت ما تبقى في الكأس جرعة واحدة، ومددت الكأس لأمّي لتصبّ المزيد.

لعلي أستطيع أن أشتري لهما دوشاً، ولن يكون شراء مكيّف هواء فكرة سيئة أيضاً. كما يمكنني أن أجلب لهما صندوق بيرة.

لكن يخيّل إليّ أن لا جدوى من كلّ ذلك. ومثل مشهد في فيلم سينمائي، فإنه مهما بدا أن كلّ شيء طبيعي وحقيقي، فيجب أن أفترض بأنني بعيد كل البعد عن الواقع. يجب أن أفترض بأنني في اللحظة التي أغادرهما فيها، فإن والداي سيتوقفان عن الحركة، وسيضحيان بلا لون، وسُيسلبان أنفاس الحياة.

قال أبي: «في ذلك اليوم قلت إنك تكتب لكسب رزقك».

«إنه يكتب مسلسلات تلفزيونية يا عزيزي»، قاطعته أمّي، «أليس كذلك؟»

«وما عظمة كلّ هذا؟ إذا سألتني، فإن معرفة أغلب الكتّاب حول كيف يسير العالم هي أقل بكثير عن معرفة أي شخص آخر. إنهم ثلة من المنافقين والجبناء، وبصراحة فأنا لا أحبّهم كثيراً».

«ماذا تقول بحق السماء يا عزيزي؟ وتقول ذلك لابنك؟»

«أنا لا أتحدّث عن هيديو. إني أقول فقط إن معظمهم يعيشون هكذا بصورة عامة. إذ لا يتعاطف الكتّاب كثيراً مع الطريقة التي يعيش فيها باقي الناس».

مع أنني كنت سعيداً بأبي الذي يصغرني بعدة سنوات، فها هو يتحدث بهذه الثقة بالنفس وبهذا الغرور، وبدأ شعور باليأس يتسلل إلى وعيي. كان أبي يقول ما كنت أتوقّع أن يقوله تماماً، وكيف يمكنني أن أكون متيقناً من أنني لست أنا من يضع كلّ كلمة يقولها في فمه.

بعد كل شيء، قد لا تكون الأمّ والأب اللذين أجلس معهما الآن هما حقاً أمّي وأبي قبل 36 سنة. لا بد أنهما نتاج مخيلتي، لأنني لا أستطيع أن أستحضر أمّي وأبي الحقيقيين اللذين ماتا طوال تلك السنوات إلى الواقع مهما ركلت وصرخت. وكلّما أسرعت ووضعت حدّاً لهذا المسعى التضليلي للراحة العاطفية التي فقدتها منذ زمن طويل، فإني سأكون في حال أفضل.

من الناحية الأخرى، عندما نظرت مرة أخرى إلى الهيئتين الجالستين أمامي بدون أدنى هالة زائفة عنهما، وجدت نفسي أتساءل: «كيف يمكنني أن أخمّن أن هذين الشخصين غير موجودين إلاّ في مخيلتي؟»

قلت: «لنتصافح يا أبي».

«نتصافح؟»

«وأنتِ أيضاً يا أمّي».

«لن تغادرنا الآن يا عزيزي؟»

«ابقَ لتتناول العشاء. لا داعي لكل هذه العجلة».

كم من المحزن أن أفكّر بأنني وضعت هذه الكلمات في فمهما أيضاً.

«استرخيا، لن أغادر الآن. أريد فقط أن نتصافح».

«هيا»، قال أبي ومدّ يده. أمسكتها بقوة، وأحسست بيده تقبض على يدي بقوة أيضاً. لم أكن أمسك يدي أنا.

«الآن جاء دوري»، قالت أمّي، وهي تمدّ يدها. وعلى الرغم من أنني شعرت بأن بشرتها قاسية بعض الشيء في بعض الأماكن في جسمها، فقد كانت يدها أكثر نعومة من يد أبي وأصغر منها بكثير.

حاولت أن أفتش في ذاكرتي عن كلّ شيء، كيف كان ملمس يدها وهي تلامس يدي. هل من المعقول أنني أهلوس حتى في ظل هذا الإحساس بلمس لحم حيّ؟ لا أظن ذلك.

«وثمة شيء آخر يا أبي»، قلت، وأنا أبحث عن إشارة ملموسة أخرى - شيء لا يمكن أن يأتي من داخل نفسي. «إنك تلعب لعبة ورق الزهرة، أليس كذلك؟» فقد تذكرت كيف كان رفاقه يأتون إلى بيتنا ويلعبون معه هذه اللعبة.

«بالتأكيد. لماذا؟»

«أتظنين أنه ربما كانت لديك مجموعة الورق في البيت يا أمّي؟»

«طبعاً. مع أننا لم نلعب بها منذ مدة طويلة»

«أريد أن أتعلّمها».

لم أكن أعرف مبادئ اللعبة الرئيسية. فإذا علّمني أبي لعبة لا أعرفها، وإذا كنت لا أزال أتذكّرها عندما وصلت إلى البيت، فكيف يمكنني أن أتأكد من أنها ليسا من نتاج مخيلتي.

«تدّعي أنك كاتب ولا تعرف حتى كيف تلعب لعبة ورق الزهرة؟»

«لقد انشغلت كثيراً في لعب ماه-جونغ ذات يوم».

«أي لعبة إذن؟ لوفي - دوفي؟»

«لا يهم. ألا توجد لعبة تسمّى ثمانية وثمانون. يلعب بها ثلاثة لاعبين؟»

«ها أنت تعرف».

«هذا كلّ ما أعرفه».

« قد تكون لعبة الزهرة رامي أفضلها»، اقترحت أمّي.

لا أعرف ما الفرق بينهما. قلت: «هذا جيد».

إذا كان بإمكان أمّي وأبي أن يعلّماني كيف ألعب هذه اللعبة، فلن يكون هناك أدنى شكّ بأنهما موجودان حقاً. وعندها سأعرف بشكل قاطع بأنّني لا أهلوس، بل إنهما موجودان حقاً.

ذهبت أمّي وأحضرت ورق اللعب وأعطتها لأبي. أخرج أبي ورق اللعب من العلبة، وبدأ يخلطها بمهارة.

«أوكي، الآن. أنت تعرف أن الورق مقسّم إلى شهور، أليس كذلك؟»

«شهور؟»

«يا إلهي، هل هذا يعني أنك لا تعرف ذلك؟ هيا، لنتجاوز ذلك».

أزاح المنضدة التي كنّا نشرب عليها إلى طرف الغرفة. بدأت إحدى زجاجات البيرة تتأرجح، لكنّي أمسكتها في الوقت المناسب قبل أن تسقط، لكن أمي راحت تزيح المنضدة بعناية أكثر.

قال أبي: «الآن، في ما يتعلق بلعبة ورق زهرة رامي التي اقترحتها أمّك، فلن يضيرك أن تعرف أنها تُدعى أيضاً زهرة دامي، لأن أيّ شخص بليد يمكنه أن يلعبها. هل أنت مستعد؟»

جالساً على الأرض، رافعاً إحدى ركبتي، وثانياً الركبة الأخرى تحتي، بدأ أبي المتحمس يعلمني اللعبة، وكان من الواضح أنه كان سعيداً بنفسه.

9

في مساء اليوم التالي رتّبت للقاء منتج المسلسل الجديد الذي أكتبه في أحد المقاهي في شيبويا. وصلت قبله. لاحظت أنه صُدم لرؤيتي عندما دخل إلى المقهى ورآني.

لكنه سرعان ما غطى صدمته بابتسامة واسعة وهو يتقدم نحوي، وعلى الفور خامرني شك بأن هناك شيئاً على غير ما يرام. يبدو أن ذلك أصبح أمراً معهوداً في أعمالي في الآونة الأخيرة. كان باستطاعتي دائماً أن أحدس أن هناك خللاً ما.

جاءت مخطوطة الحلقة الأولى بيسر شديد. لا لأن المسوّدة الأولية تقدّمت بسرعة نادرة فحسب، بل لأني أدخلت عليها بضعة تصحيحات عندما قرأتها بإمعان. في الحقيقة، كان كلّ شيء يسير بسهولة كبيرة أيضاً. لا بد أن أمراً سيئاً يتربص بي.

«إنك تعمل بسرعة»، قال، وهو يجفف العرق من وجهه بقطعة قماش باردة أحضرتها النادلة عندما جاءت لتأخذ طلبه الذي كان كوباً من الحليب المبرّد.

«أظن أنني أمرّ بظروف جيدة».

«لا يمكنني أن أعترض على ذلك»، قال، متحاشياً النظر في

عيني، وراح يفتح سحاب حقيبته الجلدية الرفيعة، واستلّ منها مغلفاً كبيراً.

«كان يجب أن أطلب منك على الهاتف أن لا تنسى أن تجلب معك ختمك الشخصي، لأن سياسة محطتك الجديدة تقول إننا يجب أن نجهّز كلّ الأوراق قبل الموافقة على أيّ مخطوطة»، قال، وهو يسحب وثيقة من المغلف. إنه عقد بيني وبين المحطة.

وأضاف قائلاً: «إنه عقد موحّد، متطابق في كل شيء باستثناء المبلغ الذي يحدد كأجر لكتابة النص. يجب أن تختم بختمك في ثلاثة أماكن. لقد وضعت دائرة على كلّ منها بقلم الرصاص».

«إذن هذا يعني أننا حصلنا على الموافقة؟»

«نعم. وافقت جميع الجهات الراعية. لقد تقرر عرضه في بداية الأسبوع الثاني من تشرين الأول (أكتوبر)، وسُتعرض الحلقة الأولى كحلقة خاصّة. لقد ذهبت إلى أوساكا البارحة لألتقي بشركة آر للمواد الصيدلانية، وفور عودتي توجهت مباشرة من محطة طوكيو لحضور اجتماع مع شركة إم لمستحضرات التجميل في الساعة الخامسة. وقد حضرت هذا الصباح اجتماعاً مع شركة كي للسيارات في العاشرة. يا إلهي، أوه، يا إلهي! لا يُطلب من المنتج هذا النوع من العمل المضني الذي ينطوي على الكثير من السفر».

وأضاف، «يستطيع موظّف في قسم التسويق أن يُعلمهم بكلّ ما يحتاجون إلى معرفته، لكنهم يصرّون جميعاً على سماع ذلك من المنتج نفسه. أقول لك لقد تعبت. آسف، فقد أبقيتك تنتظر طويلاً. لن يكون لدينا متسع من الوقت، لأن التصوير سيبدأ في الموقع في الأسبوع الأول

من شهر أيلول (سبتمبر). لذلك سنقدّر جميعاً ما يمكنك أن تفعله لدفع الأمور قدماً».

«ها هي الحلقة الأولى»، قلت، وقدمت له المخطوطة.

«شكراً. سأقرأها على الفور وسأتصل بك إذا كان لديّ أيّ سؤال».

«بالتأكيد».

عادت النادلة تحمل كأس الحليب المبّرد.

هكذا بدا أنه لا توجد عقبات على الإطلاق، على الأقل في الوقت الحالي.

أم أن هذا ما كان سيلقي به في وجهي لاحقاً؟

تبين أن الممثلة الرئيسية حامل في شهرها الثالث، ولا تعرف من هو أب الطفل الحقيقي، لكنّها تصرّ على إنجاب الطفل. لذلك خلال فترة التصوير التي ستدوم ثلاثة أشهر متواصلة، فإنها ستصبح في شهرها السادس، وسيدو ذلك جلياً عليها. بالطبع، في أحيان كثيرة نتمكن من القيام بأشياء إبداعية في ما يتعلق بالثياب لإخفاء ذلك، لكني أخشى أننا سنضطر إلى تجنب المشاهد التي تلعب فيها التنس. كما راودنا شيء من القلق إزاء كيف ستكون ردة فعل المشاهدين عندما يرون امرأة غير متزوّجة تؤدي هذا الدور. لن تكون هناك أدنى مشكلة إذا ما تعاطف المشاهدون معها، لكن ربما يأتي الأمر بنتائج عكسية. وقد يكون من الصعب إيجاد بديل لها في هذه المرحلة، لكن إذا كانت هذه هي المشكلة، فيجب أن نتصرف بسرعة.

لا ريب في أن الأمور ستسير على هذا المنوال. كنت أعرف أنني

أدع خيالي ينجرف بعيداً عنّي، لكن من الأفضل أن أتهيأ للأسوأ. قد تكون الضربة التي سيوجهها لي أخف وطأة.

«أوه»، قال، كما لو أنه تذكّر شيئاً فجأة.

ها هي، قلت لنفسي.

«هل يوجد شيء يجب أن أعرفه عن الحلقة الأولى؟»

«أظن أننا غطّينا الأمور الأساسية عندما أجرينا البحث المطلوب معاً».

«جيد».

«فقط اقرأ السيناريو».

«يبدو أنك راض تماماً عنه».

شعرت أنه كان يريد أن يقول شيئاً آخر. زاغت عيناه، وبدا أن ثمة شيء يجول في عقله.

«إنك تتصرف وكأن لديك شيء آخر تريد أن تقوله»، قلت، وعلى وجهي ابتسامة متوترة.

«ماذا؟»

«شيء في بالك، أليس كذلك؟»

«لماذا تظن ذلك؟»

«الابتسامة التي كانت ترتسم على وجهك عندما دخلت لم تكن تلك الابتسامة التي يمكنني أن أقول إنها جيدة».

بدقة أكبر، كان في النظرة التي ارتسمت على وجهه عندما دخل ورآني شيء من الاستغراب والدهشة. صحيح، تذكّرت. لقد تغيّرت تعابير وجهه عندما رآني.

«قد تظن أن لا علاقة لي بذلك»، قال وضحك ضحكة يشوبها التوتر.

«ماذا؟»

«وقد تغضب مني إذا تحدثت عن ذلك، لكن...»

«هل يتعلق الأمر بي؟»

«...هل أنت في صحة جيدة؟»

«لماذا تسأل؟»

«حسنا، كما تعرف فإن المنتجين هم هكذا دائماً. إنهم قلقون على الدوام، ويتساءلون أين يمكن أن يقع خطأ ما».

«حسب علمي، فأنا في صحة ممتازة».

«إذاً أظن أنه الضوء فقط».

«هل هناك مشكلة في هيئتي؟»

«إنك تبدو شاحباً بعض الشيء - هذا كلّ ما في الأمر. إن أسوأ كابوس بالنسبة لي هو أن يتوقف كاتب السيناريو عن الكتابة في منتصف المسلسل. في جميع الأحوال، أرجو أن تعتني بنفسك أكثر حتى ننهي المسلسل. بالطبع، بعد ذلك، يمكنك أن تسقط ميتاً. هذا كل ما أهتمّ به، لكن...» ضحكنا، دردشنا قليلاً، ثم ودّع أحدنا الآخر.

وقفت أمام واجهة أحد المحلات في الشارع ورحت أنظر إلى نفسي، لكن الصورة المنعكسة لم تكن واضحة تماماً فلم أتمكن من رؤية لون بشرتي. من المؤكد أنني لم أكن أشعر بالتعب من العمل.

بعد أن تناولت طعام العشاء مع أمّي وأبي ليلة البارحة، عدت في

ساعة مبكرة بعض الشيء وأويت إلى فراشي في الساعة الحادية عشرة. في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي، وهو الوقت الذي أبدأ فيه عملي عادة، جلست لأقرأ النص مرة أخرى، وانتهيت بعد حوالي ساعة ونصف.

بدا الاقتراح سخيفاً، لكنه على الرغم من ذلك، فقد أزعجني كثيراً.

في جميع الأحوال، تنتمي أمّي وأبي إلى عالم الموتى، ومن غير المعقول ألاّ يجد شخص على اتصال بهذا النوع من الأشخاص أن قواه الحيوية قد استنزفت. إذ ترد الكثير من هذه الحالات في التراث الشعبي، بدءاً من الأساطير القديمة حتى الروايات الحديثة.

عندما حلقت ذقني قبل أن أخرج، لم ألحظ حدوث أيّ تغيير في لون بشرتي، لكن لن يكون من المفاجئ كثيراً أن أفقد شيئاً من لون بشرتي.

كنت متلهّفاً لإيجاد مرآة حتى أرى نفسي بصورة أفضل. لم أكن أخشى مما يمكن أن أكتشفه، بل على العكس تماماً، غمرني إحساس بالسلام على نحو غريب. ومن وراء لامبالاتها الهادئة، لا بد أن والداي يقدمان تضحيات هائلة حتى يعودا وينضما إليّ في هذا العالم، وإذا تطلّب ذلك مني أن أتخلّى عن جزء من شريان حياتي مقابل ذلك، فإني مستعد لأن أدفع الثمن. في الحقيقة إن ذلك سيشكل عبئاً ثقيلاً على تفكيري وعقلي. وإذ رأيت بأمّ عيني أنني ازددت شحوباً فإن ذلك سيجعلني أتنفّس بقدر أكبر من السهولة. كان والداي قد قدما لي الشيء الكثير.

تذكّرت أنه توجد مرآة كبيرة على الحائط في مطعم هندي كنت قد

تناولت الطعام فيه عدة مرات. كان الوقت لا يزال مبكّراً بعض الشيء، لكني ربما تناولت العشاء هناك قبل أن أعود إلى البيت.

إذا كان عرض المسلسل الجديد سيبدأ في الأسبوع الثاني من تشرين الأول (أكتوبر)، فإني أرغب في أن أكتب ما لا يقل عن ثلاث حلقات أخرى قبل نهاية شهر آب (أغسطس). وهذا يعني الكتابة بوتيرة خمسة أيام لكلّ حلقة. يا إلهي! هذا يعني المزيد من التوتر والإثارة. تقوّست شفتاي في ابتسامة صفراء باهتة. لم أر أي إشارة تدّل على وجود ضعف في حيويتي. ولم أر شحوباً في وجهي عندما تفحصته في المرآة في المطعم.

«إن هيئتك تثير الفزع»، قالت لي كي عندما جاءت لزيارتي بعد الساعة التاسعة من ذلك المساء.

«ماذا تقصدين؟» رددت، متفاجئاً من فظاظتها. كنت قد دققت وتفحصت نفسي في المرآة مرة أخرى عندما عدت إلى البيت، ولم أجد شيئاً غريباً، ثم أضفت، «أرجو أنك لا تمزحين. إن كنت تصدّقين أو لا تصدّقين، فأنا حساس للغاية في الأمور المتعلقة بمظهري».

توجّهت إلى مرآة الحمّام حيث يمكنني أن أتفحص نفسي في ضوء مصباحين قوة كل منهما 100 واط، من تلك المصابيح البيضاء اللون.

قلت: «أعترف بأن أمارات تقدمي في السن قد بدأت تظهر على ملامح وجهي، لكني لا أظن أن حالتي أصبحت سيئة إلى هذه الدرجة؟»

اقتربت كي مني ووقفنا جنباً إلى جنب نحدّق في صورتينا المنعكستين في المرآة. التقت عيوننا في المرآة.

«الجلد مترهل بعض الشيء تحت عيني، لكن هذا ليس شيئاً

جديداً، وأظن أن لون بشرتي جيّد مثل لون بشرة رجل يعيش في المدينة ويبلغ 48 سنة من العمر».

«أوه»، قالت كي، «لقد رأيتك عندما دخلت الليلة الماضية. متى عدت إلى البيت؟»

«أظن أنني نظرتُ إلى نافذتك».

«وكانت مظلمة، أليس كذلك؟»

«ظننتُ أنك لست في البيت».

«أحبُّ أن أقفَ وأنظرَ من نافذتي، لكني لا أريد أن يراني الناس لكي لا يظنوا أنّي أتلصص عليهم، لذلك، فإني عادة أطفئ الأضواء».

«كان عليكِ أن تتصلي بي».

«كنتُ خائفة».

«منّي؟»

«كنتَ شاحباً شحوب الأموات».

«انتظري لحظة. أريدك أن تنظري إليّ في المرآة. إنك تقولين إنني أبدو في حالة سيّئة. بالتأكيد، لعلي أبدو شاحباً إذا وضعتني إلى جانب شاب يمارس لعبة ركوب الأمواج. لكني أبدو هكذا دائماً، ولا أشعر بأنني متوتر أو منهك على الإطلاق. لا داعي للقلق عليّ. إني أقدّر كثيراً إذا توقّفتِ عن إثارة الخوف في نفسي».

فقالت كي: «إذا كان بإمكانك أن تقول هذا بجدية، فلا توجد لديك أي مشكلة؟» كانت عيناها تحترقان في عيني، ثم أضافت، «هل تريد أن تقول لي إنك لا ترى كم أنك منهك؟»

«أبدو منهكاً؟ عمّا تتحدّثين؟ في الواقع يبدو أنني أتمتع بصحة أكثر

منك»، قلت محتجاً لكي التي كانت تبدو في المرآة، وقد ارتفع صوتي قليلاً، «ويمكنني أن أرى نفسي في حالة ممتازة، شكراً جزيلاً. انظري. ها أنا أرفع ذراعي اليمنى وأخفضها الآن. أضعها حول كتفك. ها أنا أقرص أنفي بيدي اليسرى، وأمدّ لساني. لو كنت لا أرى نفسي، إذاً ما هذه الخيالات التي أراها؟»

«كفّ عن أن تكون حماراً حكيماً». الخناجر التي بدت في نظرتها جعلتني أكاد أثب من مكاني.

«لا أنوي أن أكون كذلك، لكني أجد صعوبة في أن آخذ هذا الأمر بجدية أيضاً. في الحقيقة فإني أمتلك الآن كلّ الطاقة في العالم، وهنا يقف كلّ جزء من تلك الطاقة ويريدك».

ضغطتُ بشفتي على شفتيها. حاولتْ أن تبتعد عني كما لو كانت تريد أن تقول شيئاً، لكنها سرعان ما تراجعت عن ذلك. بعد أن افترقت شفتانا، عادت تتكلّم.

«هل صادفتَ شيئاً ممتعاً مؤخراً؟»

«أتريننى أضحك؟» سألتها، مع أنني كنت أعرف تماماً ماذا تقصد. فإذا حدّثتها عن أميّ وأبي الآن، فإنها ستستبق النتائج وتقول إنهما أرواح شيطانية، ولا أريد أن يتحدث أحد عنهما ويصفهما بأنهما شرّ يجب طرده.

«هيا أخبرني»، واصلت كي ضغطها عليّ لتحصل مني على رد.

«لا. لا أستطيع أن أفكّر بأيّ شيء».

«إنك تكذب».

«لماذا تقولين هذا؟»

«لأنك كذاب سيء».

«عندما تحملقين فيّ بهذه الطريقة، فإني أشعر بأنني أعتذر عن أكاذيب لم أقلها».

«لا تراوغ. أظن أن شيئاً في غاية الخطورة يجري معك. إني أشعر بذلك».

«يا له من أمر مثير».

«كفّ عن المزاح معي».

«لم أكن أعرف بأنك تحرصين كثيراً على حالتي».

«أليس هذا أمر مفروغ منه؟ أم أنني أكذب على نفسي؟»

«عن ماذا؟»

تردّدت كي لحظة، مشيحة عينيها قليلاً. ثمّ أعادت نظرتها الثاقبة على الفور، وقالت: «خيّل لي أننا سنكون معاً، كما تعرف».

«وأنا أيضاً. إنه مجرد أن....»

«إنه مجرد ماذا؟»

«لا يمكنني أن أفترض أننا كذلك».

«لم لا؟»

«يوجد فارق في العمر بيننا خمس عشرة سنة».

«من الجيد أن يقال لامرأة في الثالثة والثلاثين من العمر بأنها لا تزال شابة، لكن توجد لديّ عاهة أيضاً، كما تعرف. لذلك لا تكن خجولاً جدا. هل نحن حبيبين أم لا؟»

«طبعاً».

«إذن لنواصل تقبيل بعضنا لكن في مكان آخر غير الحمّام»

استمتعنا بقبلة طويلة أخرى قبل أن نعود إلى غرفة الجلوس.

ظننت أننا وضعنا مسألة صحتي وراءنا.

لكن ما إن جلسنا على الأريكة، وشرعت في ضمها بين ذراعيّ مرة أخرى، حريصاً على ألاّ ألمس صدرها، حتى تشنجت فجأة.

«يجب أن لا تخفي شيئاً عني مهما كان ذلك الشيء».

«إني لا أخفي عنك شيئاً».

«إذاً أجب على شيء واحد فقط».

«أعدك، لا داعي لأن تشعري بالقلق عليّ».

«ألا تبدو حقاً، صدقاً، بأنك تشعر بالتعب؟»

«لا يوجد رجل على وجه الأرض لا تظهر عليه علائم التعب وهو في الثامنة والأربعين من العمر».

«عندك أكياس سوداء عميقة تحت عينيك»، قالت وهي تنظر في وجهي، «خداك غائران».

حدّقت فيها بصمت.

«هكذا تبدو الآن، وهكذا كنت تبدو في المرآة».

كنتُ قد قرأت رواية عن رجل يتمتع بصحة رائعة لكنه وقع فريسة المرض عندما بدأ كلّ من يعرفه يقول له إنه لا يبدو في صحة جيدة، لكنّي لا أستطيع أن أتخيّل السبب الذي يجعل كي تحاول هذه المزحة السمجة معي. وفي جميع الأحوال لم تكن هناك أكياس سوداء عميقة تحت عيني ولا خدود غائرة في الوجه الذي رأيته في المرآة. إذا كان عليّ أن أقول شيئاً، فإني أقول إنني كنت أبدو متخماً بعض الشيء من الطعام، وهذا يعني أنه لا بد أن يرى أحد منا الآخر بغير صورته

الحقيقية. وإذا حكمت الأغلبية، عندها يبدو أنه ستكون لدى كي الأفضلية، لأن منتجي ظنّ أيضاً أنني أبدو نحيفاً.

لبثت ساكناً بينما كان عقلي يجري في سباق. ظلت كي ساكنة أيضاً لا تأتي بحركة، تنظر إليّ.

تشكّلت في أعماق معدتي عقدة من الخوف. فإن لم تكن الصورة التي رأيتها في المرآة هي صورتي الحقيقية، فيجب أن أشخّص حالتي. هل يمكن أن يكون هناك شيء غير معقول؟ مع أنني عندما أفكّر في الأشياء غير المعقولة الأخرى التي جرت لي مؤخراً، فلا يمكنني أن أرفض شيئاً لمجرد أنه لا يتوافق مع تصوّراتي الخاصة.

«حسناً، سأخبركِ»، قلت لها، «سأخبركم جميعاً عنها، لكن يجب أن تعديني بأن لا تفكري بأن هذا الأمر سيء بالنسبة لي».

هزّت كي رأسها وظلت صامتة.

«لم يكن شيئاً سوى أنه شيء مبارك. أظن أنني أبدو منهكاً وذاوياً، حتى لو لم أستطع أن أرى ذلك بنفسي، لكنّي أؤكد لك أنه لا يوجد سبب يدعو إلى القلق في هذه الحالة. إنه لا يشبه أي شيء آخر يمكنه أن يؤثّر على هيئتي. لقد مررت بتجربة رائعة. تجربة غير واقعية، نعم، لا يمكنني أن أنكر ذلك، لكنها أيضاً تجربة رائعة حقاً».

بدأتُ أحدّثها عن الليلة التي التقيتُ فيها أبي في مسرح أساكوسا للمنوعات. لم تبدر منها أي إشارة تدل على أنها لم تصدقني، وراحت تنصت. خيّل إليّ أنها كانت تخفي ردّة فعلها الحقيقية، خشية منها أن أتوقّف في منتصف حكايتي، لكنها بدت، حتى ذلك الوقت، صادقة في رغبتها في أن تعرف.

حتى لو كان تفكيرنا متقارباً بأن علاقتنا أكثر من عادية، فلم يمض وقت طويل على تعارفنا. تأثرتُ كثيراً عندما رأيتها وهي تنصت إلى ما أقوله بهذا الاهتمام والإخلاص، محاولة التوصل إلى السبب الذي جعلني نحيلاً. ومع أن البعض سيضحكون على ما سأقوله، فيجب أن أقول إني ظننت أنه الحبّ.

عندما كنت أتكلّم، كنت أدرك أن أحداً لم يكن يبدي اهتماماً بما أقوله منذ فترة طويلة. لم أكن أنزعج من ذلك لأنني لم أكن أتوقّع أن يهتم بي الآخرون كثيراً لأنني لم أكن أبدي اهتماماً كبيراً بالآخرين طوال هذه السنوات. وكان كل ما أشعر به هو الشعور بالذنب لأنني كنت أفكّر بقلق كي الأصيل بعد أن كسرت موجة جفاف طويلة، لأنني، البارحة فقط، استمتعت بحبّ أبويّ دافئ غير مشروط.

في بقعة ما في عقلي، يبدو أنني تقبلت الفكرة بأن تجربتي مع أمّي وأبي هي تجربة غير واقعية، بينما كان حبّي لكي حقيقي، وشعرت بالخجل من نفسي.

هذا بالرغم من استعراض كلّ ما علّمني إياه أبي عن لعبة ورق الزهرة بعد أن عدت إلى البيت الليلة الماضية - بالرغم من أنني بحثت في الموسوعة عن «لعبة ورق الزهرة»، وتأكدت من أن الأوراق تقسّم إلى شهور.

إلا أنني كلما حدّثت كي أكثر، ازداد شعوري بأن أمّي وأبي في أساكوسا لا يمكن أن يكونا حقيقيين.

10

خلال سنوات زواجي، كان كلّ ما أفعله، أفعله بتأثير من زوجتي بطريقة أو بأخرى. وحتى عندما لم تكن تحاول أن تقول لي ماذا يمكنني أن أفعله أو لا يمكنني أن أفعله، كنت دائماً أفكّر، في مكان ما في الجزء الخلفي من عقلي، كيف سأوضح لها تصرفاتي. وقد لازمني هذا القيد فترة من الزمن حتى بعد طلاقنا، ولا أزال أذكر ذلك الإحساس المدهش بالانعتاق والتحرر الذي اعتراني ذات يوم عندما أدركت فجأة بأن ما أختار القيام به لا يخصّ أحداً سواي.

في اليوم التالي، بعد أن أخبرت كي عن الأحداث التي جرت لي في أساكوسا، وجدت نفسي مرة أخرى في ربقة ذلك القيد القديم، فقد شعرت مرة أخرى بأنني أنسلّ وراء ظهر أحد.

كنت أفكّر بالذهاب سراً إلى أساكوسا.

«عدني»، أصرّت كي في اليوم السابق، «عدني بأنك لن تذهب إلى هناك ثانية».

رجتني كثيراً، ولم أجد أي ردّ منطقي أجيبها به.

مهما كانت نوايا أمي وأبي نقية لا يشوبها حقد أو شر، لا يستطيع أحد أن ينكر أنهما انتقلا إلى عالم الأموات منذ زمن بعيد. إن عودة الموتى

تقوّض كثيراً نظام الأحياء، وأشاطر كي قناعتها بأننا يجب ألاّ نتواصل مع كائنات كهذه. لكن عندما تعلّق الأمر بأمّي وأبي، فلم أستطع أن أفكّر بأنهما شرّ يجب محاربته والتخلص منه.

«لا يمكنك أن تدّعي بأي شكل من الأشكال بأنّهما غير مؤذيين تماماً»، أردفت كي، «أقصد إن جسدك يذوي ويضعف! أصبحتَ تبدو مرعباً إلى درجة كبيرة. عيناك غائرتان تماماً».

لكني عندما عدت إلى المرآة مرة أخرى في صباح ذلك اليوم، لم أر ذلك التحول الذي تحدثت عنه، «يجب أن تصدقني»، كررت مراراً وتكراراً، «إنك لم تعد سوى جلد على عظم».

صحيح أن الناس لا يلاحظون انحدارهم بأنفسهم أحياناً حتّى لو كان الأمر واضحاً وضوح الشمس بالنسبة للآخرين. ربما كان هناك درس لي في هذه الحقيقة، لكن مزاجي رفض أن أقبل هذا التحذير من المرآة.

«أريني»، صرختُ في المرآة، «أريني كيف أبدو في حقيقة الأمر».

استمرت المرآة تعكس نفس الملامح القوية المتورّدة كما في السابق. وبما أن الحالة ظلت كما هي، لم أتمالك نفسي من مقاومة الرغبة في العودة لرؤية أمي وأبي للمرّة الأخيرة.

«زرنا مرة أخرى!»

«قريبا».

«يمكنك أن تراهن على ذلك».

هذا ما وعدتُ به، لكن التوقّف عن زيارتهما دون أيّ إشعار مسبق سيكون سلوكاً قاسياً وفظاً من جانبي. وربما جاءا لزيارتي هنا في شقّتي

إذا أرادا ذلك، لكن بسبب ما قلته عندما ودعتهما آخر مرّة، فإنهما سيظلان ينتظران زيارتي لهما في أساكوسا. إن هجرهما ببرود باسم الحفاظ على الذات حتى من دون كلمة وداع واحدة سيكون تصرفاً أنانياً بحتاً من جانبي. وماذا يعني شيء من النحول؟ هل بلغت أهمية حماية حياتي إلى هذا القدر حتى أبرّر خيانة والداي؟ ربما كانت علاقتي مع كي تتجه لأن تصبح علاقة إيجابية، لكني بصراحة شديدة، لم أعد أعرف إلى أي مدى يمكنني أن أمنحها الحبّ الذي يتبادله رجل وامرأة.

كما أن إيماني بالحبّ الأبوي ضعيف بنفس القدر، لكن في تجسيدهما الحالي، بدا لي أن أمّي وأبي قد جاءا إلى هذا العالم من أجلي فقط. ليس هذا فحسب، بل تخيّلت أيضاً أن وجودهما مؤقت ومحكوم عليه بأن يتلاشى إلى الأبد من هذا العالم عندما يتوقف قلبي عن الميل نحوهما. كنت أريد على الأقل أن أودعهما.

وهكذا، مع اقتراب المساء، حنثت بوعدي الذي كنت قد قطعته لكي.

عندما انتهيت من وضع حبكة الحلقة الثانية من المسلسل، كنت قد استهلكت معظم فترة بعد الظهر. اتصلت بشقّة كي لأتأكد من أنها غير موجودة في البيت، ثمّ هيأت نفسي بسرعة للخروج. لكن على الرغم من حرصي هذا، تملكني شعور مزعج بأنّها تراقب كلّ حركة أقوم بها من مكان قريب، لكني حاولت أن أبعد عني هذا التفكير عندما خرجت إلى البهو وقلت بصوت مسموع: «لنر الآن، أين أستطيع أن أتناول طعاماً جيداً؟»

كانت لديّ كلّ الأسباب التي تجعلني أظن أن كي هي في تسوكيجي، جالسة أمام شاشة كمبيوتر في قسم المحاسبة في شركة التعبئة

والشحن التي تعمل فيها. ولا يمكنها أن تأخذ إجازة من عملها حتى تراقب تحركاتي. وبما أنني ذهبت إلى حد أن أتصل بها لأتأكد من أنها ليست في البيت، فإنني أستطيع أن أراقب أبواب المصعد وهي تفتح من دون أن أشعر بذلك التشنج في معدتي، ودون أن أشعر بالحاجة للاختباء من نافذة كي وأنا خارج من مدخل البناية. بهذه المشاعر شققت طريقي وخرجت خلسة من البناية إلى الطريق الذي يعجّ بالحركة.

دُهشتُ من أن الحنث بالوعد الذي قطعته على كي يستهلك كل هذا القدر من قوة إرادتي. هل يمكن أن يعني ذلك أنني أحببتها أكثر بكثير مما كنت أدرك؟ وفي سيارة الأجرة التي كانت تقلني إلى أساكوسا، تذكّرت العينين اللتين كانتا تحدقان بي وهي تنتزع مني الوعد، وتذكّرت أيضا بياض ردفيها الجميلين المستديرين.

«جاء هيديو، يا عزيزي».

ما إن وضعت قدمي على أسفل الدرج المعدني المألوف، حتى سمعتُ صوت أمّي تصيح من الأعلى. عندما رفعت رأسي إلى الأعلى، رأيتها تقف عند باب الشقّة تحمل في يدها سلة تسوّق. أومأت لي بابتسامة عريضة واختفت في الداخل. ثمّ سمعتها تنادي مرة أخرى.

«لقد جاء هيديو لزيارتنا يا عزيزي».

ستزعجين الجيران بصياحك هذا، قلتُ في سري. لكنني لم أكن أعرف إن كان هناك أحد آخر بالإضافة إليّ يمكنه أن يسمع صوتها أيضاً.

عندما بلغت أعلى الدرجات، ظهرت أمّي ثانية. كانت تقف أمام الباب المفتوح، ورحّبت بي بابتسامة عريضة.

«مرحباً يا عزيزي».

«مرحباً يا أمّي» رددت. أصابتني ابتسامتها بالعدوى.

قالت: «أنا ذاهبة لشراء بعض الأغراض وسأعود بسرعة، لكن والدك في البيت».

ألقيت نظرة إلى داخل الشقّة بعد أن تجاوزتني، ورأيت أبي يحاول النهوض إلى وضعية الجلوس. كان يمسك بيده مروحة ورقية.

«يو»، قال.

«مرحباً يا أبي».

«هل تريد بيرة؟»

نهض بخفة على قدميه، وتوجه إلى الثلاجة.

«ربما يجب أن نحتفظ بالبيرة للعشاء».

«هيا، لا تفسد علينا بهجتنا. لقد أمسكت نفسي عن الشرب طوال هذه الفترة. لم أشأ أن أسمع تذمر أمك، لذلك رحت أشرب الماء مدعياً أنه بيرة، لكن ما حدث هو أنني أصبحت أشعر بالانتفاخ».

كانت تُعرض على التلفزيون بطولة المدارس الثانوية للبيسبول مرة أخرى. جلسنا القرفصاء أمام جهاز التلفزيون، وصبّ أحدنا للآخر بيرة.

«هل لعبتَ مع أي شخص؟»

«لعبتُ ماذا؟»

«لعبة ورق الزهرة».

«لم يكن عندي وقت».

«لقد أصبحت كبيراً لتقول إنك مشغول جداً. فإذا لم تبدأ تمتّع نفسك الآن، فإن الأوان سيفوت في وقت قريب جداً».

«كنت أنوي أن نلعب نحن الثلاثة لعبة ناين هاي اليوم».

«سأكون مدربك. كنت أعرف أن أمراً كهذا سيحدث. يجب أن أتحمّل على الأقل جزءاً من اللوم عندما أكتشف أن ابني الوحيد قد بلغ منتصف العمر ولم يتعلم بعد كيف يلعب لعبة الزهور».

ثم بدأ أبي يعطيني درساً في سبل الغش والخداع. كنت أنصت إليه بكل اهتمام وحيوية وهو يريني طريقة تلو أخرى. عندما عادت أمّي، كنا قد شربنا ثلاث زجاجات كبيرة من البيرة في ما بيننا.

شاعراً بقدر من الثمالة، التفتُ نحو أمّي، وابتسمتُ لها ابتسامة منتشية.

قلت لها: «لنطلب طعاماً جاهزاً يا أمّي».

لكنها قالت باحتجاج: «لكني ذهبت إلى السوق واشتريت كلّ هذه الأغراض».

نعم، من المؤكد أنك فعلتِ ذلك. إني أدرك تماماً أن كلّ ما يجري هو مجرد تمثيلية مصطنعة من أجلي.

قلت لها: «استريحي هذه الليلة يا أمي. سنطلب طعاماً حتى تلعبي معنا لعبة ناين هاي».

«أعدك! إذا لم تصبح مثل أبيك».

«بحقّ الجحيم ما الخطأ في أن يحذو الابن حذو أبيه؟» قاطعها أبي.

فقلت: «تماماً. لنطلب قليلاً من سمك الأنقليس. سيكون ذلك هديتي الصغيرة لكما. قد لا أبدو ذلك، لكني أتمتع بصحة جيدة. إن صحتي أفضل من صحة أي رجل عادي آخر».

«إذاً ربما كان عليّ أن أذهب وأطلب».

«لا تذهب إلى المطعم الموجود عند ناصية الشارع»، قال أبي، «بل اذهب إلى المطعم قبالة كاتسوماسا».

«وأنا لا أتحدّث عن طاسات رزّ الأنقليس العادية. أحضر قليلاً من الكبدة المشوية، وأفضل ما عندهم من التيرياكي بسمك الانقليس، وقليلاً من حساء كبد الأنقليس، وطلبات منفصلة من الرزّ». حاولت أن أقلدّ اللكنة الصعبة نفسها التي يستخدمها أبي.

«ماذا سأفعل بكما أنتما الاثنان؟»، قالت أمّي، «ها أنتما تشكّلان عصابة ضدي». لكن يمكنني القول إنها كانت سعيدة.

عندما عادت، لعبنا جميعاً لعبة ناين هاي. كانت أمّي وأبي لاعبين محنكين وسريعين في رمي أوراقهما.

«هيا خذ قرارك، هيا قررّ».

«هيا أيها البطيء كالسلحفاة».

«يجب أن تتعلّم كيف تلقي الورق بمهارة أكبر».

«قل بصوت عال! هل تريدها أم لا؟ إنك تفسد إيقاع اللعبة كلها».

على الرغم من أنهما كانا يلعبان لعبة وديّة مع ابنهما، فقد كانا منافسين شديدين، ودهشت كثيراً لسماع العبارات العاميّة الكثيرة التي كانت تتدفّق من لسان أمي كأنها عادت إلى طبيعتها الأولى. كانت تخرج الكلمات مطوطة وحادة. كانت السيدة حقاً.

بعد أن تلذذنا واستمتعنا بتناول سمك الأنقليس، التفت أبي إليّ وقال: «أتعرف، لو ظللنا معك، لما تركناك تصبح شخصاً لا يعرف شيئاً. لكن هناك أمور في هذا العالم لا تستطيع أن تفعل حيالها شيئاً».

«لا يمكننا أن نعلّم لعبة أوراق الزهرة بشكل جيد لفتى في الثانية عشرة من عمره الآن، أليس كذلك؟»

«لكن ليكن ما يكون، إنها فلسفتي في الحياة دائماً، أو ربما يتعين عليّ أن أقول رأيي عن الوضع الإنساني بأن...»

«مهلاً، مهلاً. ألم تصبح مفعماً بالعبارات الطنانة المبهرجة على حين غرة»، قاطعته أمّي.

«كفيّ عن قول ذلك. كنت قد قرأت كتاباً أو كتابين جدّيين في زمني أيضاً. إنك تعرفين ذلك، لكني لست بحاجة إلى كتب حتى أميّز الخطأ من الصواب».

«إذاً لماذا لا تقولها لنا بكلماتك أنت؟»

«ألا ترين. إني أحاول أن أتكلم بلغته؟ كما تعرفين فأنا أمضي أيامي وأنا أتحدث مع جميع أنواع الناس في المطعم. فإذا لم أتعلّم التكلم بلغتهم هم، فلن يكون لي أي مكان بينهم. إن طهاة السوشي لا يواجهون نصف ما يواجهه الطهاة الذين يعملون في المطبخ الفرنسي. إننا لا نختبئ في المطبخ ويتملكنا الغرور لأننا نعدّ أطعمة فاخرة ولا نلقي بالاً للزبون. بل إننا نعمل أمام مرأى الزبون، كل يوم وطوال اليوم. نبدو كأننا على المسرح دائماً. يجب أن نكون ممثلين، ويجب أن نكون طهاة، والأهم من كل ذلك، فإننا نقف في الخطوط الأمامية نعرض منتجاتنا، لذلك يجب أن نكون باعة أيضاً. وبعمل كلّ ذلك، هل تستطيعين أن تلومينني لأنني أريد أن أحظى أحياناً بشيء من المتعة؟ إنه عمل ينطوي على توتر شديد، إذا كان هناك عمل ينطوي على توتر كهذا».

«إني أتساءل فقط»، قالت أمّي.

«استمع إليها. هذه هي المشكلة مع النساء. إنهن يلصقن أنوفهن في الهواء ويتذمرن من كل ما يمرّ به أزواجهن من تجارب ومحن».

لا لأنهما قالا شيئاً معيناً حتى يظهرا شدة اهتمامهما بي، بل لأنه كان يبدو أنهما يستمتعان بكل جوارحهما بالوقت الذي نمضيه معاً، ولأنهما كانا يتبادلان النكات بمودة وطيبة قلب، لم أستطع في نهاية الأمر أن أخبرهما بأن هذه الزيارة ستكون زيارتي الأخيرة لهما. لم أكن قد أثرت هذا الموضوع عندما أوصلاني إلى ناصية الجادة الدولية وودعاني بنفس الدعوة المليئة بالبهجة كما في السابق.

«زرنا مرة أخرى».

«إننا ننتظر زيارتك».



11

عندما استقللت سيارة الأجرة عائداً إلى البيت، أُعجبت بمشاعر الاعتدال واللين الأبوية. فقد كانا يقولان ما يشاءان، لكنهما لم يلمحا بأي شكل من الأشكال إلى أنهما يرغبان في القيام بزيارتي. لقد أحزنني ذلك قليلاً، بل إن ما أثقل ضميري هو الإحساس الذي انتابني بأنني استغليت الحب الذي يكنّانه لي ولم أدعوهما لزيارتي في شقتي. لكننا ربما كنّا نعترف بطريقة مهذبة بأن هناك خطاً يفصل الوهم عن الحقيقة يجب عدم قطعه.

بعد قليل تذكّرت ابني شيجيكي.

عندما أقول إنني «تذكّرته» فلا شك أن هذا يعطي انطباعاً بأنني لا أبدي أي تعاطف أو اهتمام له، لكني في الحقيقة، منذ أن بدأنا، أنا وأمّه، نناقش مسألة الطلاق، بدأ ابني يبتعد عني. باختصار، فقد انحاز تماماً إلى جانب أمّه، وأصبح يتجاهلني عندما أكلّمه، بينما ظل يكلّمها بالسهولة والحميمة كما في السابق. في الحقيقة، لا يمكنني أن ألومه على ذلك، لأنه كان يعرف بأنه سيعيش معها بعد طلاقنا؛ لذلك، إذا كان فتى في التاسعة عشرة من عمره يريد أن يتقرّب كثيراً من أمّه لشعوره بالكراهية تجاه والده، ربما كان من الأفضل أن أتوقف عن بذل أي جهد لكسب مودّته. وإذا كان ذلك يعني أنه سيكون ابناً أفضل مع أمّه، فلم لا أدعه يكرهني.

لذلك قرّرت أن أنسى ابني. لكن على الرغم من ذلك، يبدو أن شيجيكي قد عرف بعلاقة أمّه مع ماميا. وإذا كان الأمر كذلك، فمع أن طالباً في السنة الثانية في الجامعة قد كبر ونضج إلى حدّ يصبح عرضة لمثل هذه الحالات من عدم الإحساس بالأمان العاطفي، وجدت نفسي أتساءل، لماذا لا يشعر بالحاجة إلى حبّ الأب الآن. بعد كل شيء، فقد بدأت أجد متعة في حبّ أمي وأبي، ويمكنني أن أكافئهما بأن أقدم لشيجيكي نفس الحب.

«آسف، لكن هل يمكنك أن تأخذني إلى أكاساكا عوضاً عن ذلك؟» قلت للسائق، وأعطيته اسم فندق.

إن البقاء في أكاساكا قد ينقذني من الاضطرار إلى الكذب على كي هذه الليلة على الأقل. وسأتصل بشيجيكي وأطلب منه أن يأتي لزيارتي في الفندق غداً ونتناول طعام الغداء معاً. وسأعطيه مبلغاً إضافياً لينفقه على نفسه.

لكني لم أكن متيقناً تماماً كيف سيتلقى شيجيكي هذه المبادرة غير المتوقعة من أبيه.

«هنا منزل إمامرا»، جاءني صوت زوجتي السابقة على الجانب الآخر من الخطّ. لقد عادت تستخدم اسمها قبل الزواج.

«ألو، هذا أنا».

تردّدتْ لحظة، ثم قالتْ: «شيجيكي؟»

«لا، ليس شيجيكي. أنا هيديو».

«يا إلهي»، قالت، واكتسى صوتها ابتسامة متوتّرة، ثم أردفت، «بدا

من الغريب بعض الشيء أن يتصل شيجيكي في هذا الوقت، لكنّي لم أكن أتوقّع أن أسمع منك، لذلك...».

«صحيح». جاء دوري لإبداء ابتسامة متوتّرة. كانت هذه أول مرة نتكلّم فيها على الهاتف منذ طلاقنا.

«إن صوتك يشبه صوته كثيراً، لكن هذا يجعلني متوترة»، قالت.

«آسف على ذلك».

كنت قد هيأت نفسي لحوار غير ودي، لكن حديثنا لم يكن متوتراً بطريقة ما.

«أليس هو في البيت؟»

«إنه في أمريكا. إنه في زيارة لأحد أصدقائه في الجامعة في أريزونا الذي ذهب في برنامج لتبادل الطلاب لسنة واحدة. وسيمضي شيجيكي عند صديقه هناك ثلاثة أسابيع من عطلته الصيفية».

«أليست أريزونا شديدة الحرارة في هذا الوقت من السنة؟»

«إنه شاب».

«لقد أردتِ أن تبعديه، أليس كذلك؟»

«ماذا تقصد بذلك؟»

«هل يعرف؟»

«هل يعرف ماذا؟»

«عنك وعن ماميا».

«لا يزال من المبكّر أن أخبره».

«إنك ترين ماميا، أليس كذلك؟»

«إننا لست تحت أي التزام، كما تعرف».

«أي التزام تجاه ماذا؟»

«لأن أخبرك شيئاً».

«حسناً، ربما لا، لكن هل يضيرك أن يكون بيننا شيء من المجاملة المتبادلة؟ فقد كنا أنا ماميا زملاء منذ فترة طويلة، لكننا لم يعد بوسعنا أن نعمل معاً».

«تابع. يجب ألا تحشر حياتك الخاصة في أمور كهذه».

«الأمر ليس بهذه البساطة».

«هل تظن ذلك؟ حسناً، أنت من طلب الطلاق، لذلك مهما حدث بيني وبين السيد ماميا، لا يحقّ لك أن تشعر بالغيرة».

«أنا لا أشعر بالغيرة».

«إذاً يجب ألاّ تحدث لغطاً حول هذا الأمر».

«ربما لا، لكنّي أراهن بأن ماميا سيجد ذلك الأمر صعباً أيضا».

«قال لي شيئاً من هذا القبيل، لكن ليس كما لو أنه يرتكب جريمة زنى! لا أرى لماذا يجب أن يشعر بالحرج بما أننا مطلّقان».

«لكنكِ كنتِ ترينه قبل أن ننفصل، أليس كذلك؟»

«كيف يمكنك حتى أن تتخيّل شيئاً كهذا؟»

«لقد حدث كلّ شيء بسرعة كبيرة، وقد ارتميت بين ذراعيه ولم يكد يمضي شهر واحد على طلاقنا».

«إنك تثير الغثيان. كانت علاقتي باردة معك قبل طلاقنا بفترة طويلة. قد يهمس أحدهم في أذني أشياء لطيفة في اليوم التالي من طلاقنا وسأرتمي بين ذراعيه في لحظة».

«هل تنوين الزواج منه؟»

«قلت لك، هذا الأمر لا يعنيك».

«إن شيجيكي هو ابني أيضاً. لديّ الحق لأن أقلق على العواقب التي قد تؤثر عليه».

«لماذا أصبحت تقلق على هذا الفتى فجأة؟ لم تكن تحيطه بأدنى اهتمام من قبل».

«لقد اتصلت لأراه».

«أنتَ حقاً مقرف. أنا آسفة، لكني يجب أن أغلق الهاتف. إن التحدث معك يثير غثياني».

مات الخطّ بنقرة واحدة.

إن كنتِ تجدينني مثيراً للغثيان حقاً فلماذا لا تبدين امتناناً لأنك تخلّصت مني؟ ماذا عن إعادة قليل من تلك العجينة التي اعتصرتيها مني؟

لو لم تغلق الهاتف، لربما مضيت وأبديت مثل هذه الملاحظة. إنها على حقّ: فأنا رجل مثير للغثيان. لا يمكنني أن أفعل شيئاً حيال ذلك. فكلّما كلّمتها يظهر جانبي المشاكس ويطفو على السطح، وهي تعاملني بالمثل. لقد أصبح ذلك نمطاً حتمياً.

حجزت غرفة منفردة في الطابق التاسع من الفندق. من نافذتي أستطيع أن أرى الأضواء من نوافذ فندق شاهق آخر، والسيارات تتدفق وتتلوى ذهاباً وإياباً في شارع أوياما العريض.

إن عدم تمكني من رؤية شيجيكي ليس خطأه، لكن كلما حدّقت في جداول الأضواء الأمامية البيضاء والأضواء الخلفية الحمراء المتدفقة، قلت لنفسي كم أصبحت معتاداً على أن أشعر بالإحباط في علاقتي مع ابني.

فمنذ دخوله إلى المدرسة الإعدادية، كان يبدو أنه مصمّم على أن يخيّب أملي ويزعجني في كل مناسبة. لعل إدراكي هذا كان السبب في توقّعاتي الخاطئة إزاء أي شيء آخر، لذلك لا يمكنني، في واقع الحال، أن أنحي باللائمة عليه. لكن مع أنني أعرف أن إحساس شاب بذاته لا يتطوّر بالضرورة كما يتمنى الوالدان، فقد كان يثير حفيظتي عندما يتجاهل مشاعري، أو يردّ عليّ بجفاء على أمور تافهة.

لكن تبين أن فقدان أعصابي معه أمر غير مجد، لأنه نجح في استنزاف أعصابي، ولم أنجح في إحداث التغيير المطلوب في سلوكه. وعندما انتقل شيجيكي إلى المدرسة الثانوية، اقتنعت أخيراً بأن أقبل الأمر الحتمي وأن أزيله عن كاهلي. وبدأت بعد ذلك، في أي لقاء يجمعني به، أعدّ نفسي دائماً لأدنى إحباط. ووصل الأمر إلى حد أنني إذا سألته عما إذا كان يريد أن يحتسي معي فنجان قهوة، كان يردّ بطيبة «طبعاً يا أبي»، كما كان يفعل أحياناً، كنت أشعر بأنني أب فاشل في حقيقة الأمر.

بالطبع يقع اللوم عليّ. أن إخفاقي كأب وزوج يجعل اللوم يقع عليّ بالكامل.

لم أكن أعتقد ذلك حقاً - لكنّي وجدت شيئاً من الرضا في أن أرسم نفسي بالأسود وأنا أواصل التحديق في أضواء المدينة من نافذتي في الفندق.

غادرت الفندق في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي.

ما إن بدأت أسير في بهو الفندق باتجاه المدخل بعد أن سددت حسابي في مكتب الاستقبال، رأيت ماميا يدخل إلى الفندق.

عارفاً أن الأمر سيبدو غريباً إذا غيّرت طريقي فجأة وأخذت

اتّجاهاً مختلفاً، لكن لم يخطر ببالي ماذا يمكنني أن أفعله غير ذلك، فتوقفت في مكاني ورحت أراقبه وهو يجتاز البوابة الآلية. لعله لم يلاحظني، وإذا لم يكن قد لاحظني، فإن ذلك سيكون جيداً.

عندما دخل ماميا إلى الفندق، راح يتطلع حوله في البهو قبل أن ينعطف باتجاه المقهى. لكنه تصلّب فجأة وأدار رأسه إلى الخلف ونظر إليّ مباشرة.

ابتسمتُ وهززتُ له رأسي محيياً. من الجيد أن أراه. قلت لنفسي إن أياكو محقّة. من المؤكد أنه لا يوجد سبب يدعو إلى أن تؤثّر حياتنا الخاصة على علاقتنا في العمل.

«مرحباً»، قال، وهو لا يكاد يفتح فمه، وبدا صوته متردداً، مرتعشاً. تسمّر في مكانه وهو لا يزال يرمقني من فوق كتفه، يحدّق بي بعينيّ شخص يرى شبحاً.

ألا تبالغ في الأمر قليلاً، وددت أن أقول له وأنا أسير نحوه، لكنّه ابتسم بسرعة ليبدد دهشته.

«حسناً، حسناً»، قال.

«ماذا في الأمر في هذا الصباح الباكر؟» سألته. فالساعة العاشرة وقت مبكر جداً للذين يعملون في التلفزيون.

«من المفترض أن أقابل شخصاً»، قال وهو ينظر باتّجاه المقهى. لوّح له رجل، وعرفت أنه أحد زملائي الكتّاب. رجل يكبرني بعدّة سنوات، وعليه طلب حالياً للعمل أكثر مني بكثير.

رفع ماميا يده يرد له التحية، وانحنيتُ له قليلاً أيضاً. بعد أن أومأ لنا بأن نأخذ وقتنا، عاد الرجل إلى مقعده. لكن لم يكن لديّ ما أقوله

لماميا. لو لم يكن لقاء غريباً ومفاجئاً، لوجدت لساني بسرعة. كان عليّ أن أكون حذراً حول الاقتراح بأننا يجب أن نعمل معاً مرة أخرى.

قال: «لم أكد أصدّق عينيّ عندما رأيتك قبل دقيقة».

«ماذا تقصد؟ أليس من حقي أن تتاح لي فرصة أن أمكث في فندق أحياناً».

«لا، أقصد كم تغيّرت هيئتك، وخلال هذه الفترة القصيرة».

«تغيّرت؟»

«لم يمض وقت طويل على زيارتي لك في بيتك. يبدو أنك فقدتَ الكثير من وزنك منذ ذلك الحين».

«أتظن ذلك؟»

«آسف، مع أنه أمر لا يخصني، لكني مصدوم».

«هل أبدو مثل جلد على عظم؟»

«حسناً، لا أعرف إن كان بوسعي أن أقول ذلك، لكن قل لي ماذا حدث؟»

«أظن أنني أرهقت نفسي أكثر من اللازم».

«عليك أن تحرص على نفسك أكثر».

«أظن أنني بعد أن أصبحت وحيداً الآن، لا أعرف متى يجب أن أتوقف».

«هل رأيت طبيباً؟»

«لا. بما أنني لا أشعر بأيّ ألم»، وبما أنه لا يبدو أنه طرأ عليّ أي تغيير عندما أنظر في المرآة، أضفت ذلك في سريرتي.

«أظن أنك يجب أن ترى طبيباً».

«لا تحاول أن تدخل الخوف إلى نفسي الآن».

«لا، حقاً، أنا جادّ فيما أقول. يجب أن ترى طبيباً. سامحني، لكن من المؤكد أن فقدان الكثير من الوزن بهذه السرعة ليس أمراً طبيعياً».

«أظن أنك مصيب. سأرى الطبيب. إلى اللقاء الآن»، قلت ولوّحت له بيدي ومشيت نحو الباب.

«إلى أين أنت ذاهب الآن؟»

«إلى البيت».

بدا لي أن ماميا يريد أن يقول المزيد، لكنّي وضعته خلفي وخرجت من الباب.

أكّد اللقاء الشكّ الذي كان يساورني. إن الفترة التي أمضيتها مع والدي ليلة البارحة جعلتني أبدو أكثر نحولاً في عيون الذين يحيطون بي.

سرت نحو موقف سيارات الأجرة.

ربما كان مقدّراً عليّ أن أزداد نحولاً، غير قادر على أن أرى الويلات التي حدثت لي بأمّ عيني، حتى اليوم الذي أسقط فيه ميتاً فجأة. ليكن ذلك إذن. إن الشخص الذي مُنح فرصة لقضاء فترة مع والديه اللذين غادرا هذه الدنيا يجب ألا يطلب أكثر من ذلك.

كالعادة، ظلت جميع النوافذ في البناية التي أقيم فيها مغلقة لإبعاد هدير محركات الشاحنات التي تشق طريقها على الطريق رقم 8 والأدخنة التي تنبعث منها بغزارة.

لم تكن نافذة شقة كي تختلف عن أيّ نافذة أخرى. وقد جعل وهج أشعة الشمس في الصباح المتأخّر التي تنعكس منها من المتعذر معرفة إن كان هناك أحد في الداخل.

أدرت مفتاحي في اللوحة الأمنية، وفتحت الباب الزجاجي السميك ودخلت. كان هناك حارس شابّ طويل يقف بجانب سبعة أو ثمانية صناديق جديدة من الورق المقوى كُدِّست بعناية أمام أحد الجدران. رمقته عندما مررت من جانبه، لكن عينيه الزجاجيتين واصلتا التحديق بي ولم يبد أي استجابة.

دخلت إلى المصعد الذي كان بابه مفتوحاً، وضغطت على الزرّ إلى الطابق الذي تقع فيه شقتي. عندما بدأ الباب ينزلق ليغلق، ألقيت نظرة أخرى باتجاه الشاب، ولدهشتي وجدته يحدّق بي ونظرة غريبة في عينيه. ومع أنه أشاح بعينيه عني عندما التقت عيوننا، وجدت في عينيه نظرة تنمّ عن فضول شديد. لا شكّ أنني هزلت كثيراً وأصبحت هيئتي تثير انتباه أي شخص. لماذا لا أزال لا أستطيع أن أراها؟ هل هذا هو نوع من الخداع يمارسه عليّ أبي وأمي؟

توقّف المصعد بسرعة أكبر مما كنت أتوقّع - أسرع بكثير ليصل إلى الطابق السابع. رفعت عينيّ ورأيت رقم ثلاثة مضاء فوق الباب. إنه الطابق الذي توجد فيه شقة كي. فُتح باب المصعد. كانت تقف هناك.

«أوه»، قلت متفاجئاً، «هل أخذتِ إجازة اليوم؟»

ظلت واقفة ولم ترفع عينيها عني دون أن تنبس بكلمة واحدة. انساب فوق جسدها ثوب أبيض طويل بلا أكمام مثل جلباب فضفاض يصل إلى كاحليها.

عندما لم تتحرك لتدخل إلى المصعد فوراً، ضغطت على زرّ «افتح» وابتسمت.

«حسناً؟»

اكتست وجهها المكروب نظرة تشي بالعطف، كما لو أن ما رأته قد حطم قلبها حقاً.

«أين كنتَ؟» سألتني، وهي لا تزال متسمّرة في مكانها.

«لقد مكثتُ الليلة في أحد الفنادق لأنجز بعض الأعمال. كنت بحاجة إلى تغيير المكان».

«إنك تكذب»، قالت، بصوت خفيض لكنه حازم. أبقت عينيها مثبتتين على عيني وهي تدخل إلى المصعد، واقتربت مني كثيراً إلى درجة أنني توقّعت أنها ستقبّلني. «إنك تكذب»، همسهت مرة أخرى.

هفت عليّ رائحة عطر حلوة. أُغلق الباب وراءها.

«لا بد أن هذه أول...»، قلت بلطف عندما بادلتها النظرة. شددتها نحوي لكنني شعرت أنها تصلّبت من لمستي، «أول مرة أشمّ رائحة عطر عليك».

«كنتُ أنظر من النافذة. انتظرتُ طوال الليل. وها أنت تعود إلى البيت الآن». قالت ذلك بتأنٍ شديد، كأنها تقرأ الكلمات من كتاب. أحسست بنبرة غاضبة في صوتها.

«هل تهرب من العمل؟»

قبل أن أجيب، فُتح باب المصعد. قادت الطريق المؤدي إلى مدخل الطابق السابع. دسستُ يدي في جيبي ورحت أفتش عن المفتاح.

عندما وصلت كي إلى باب شقتي، تنحّت جانباً ووقفت منتصبة، تراقب كلّ حركة أقوم بها. فتحتُ قفل الباب.

قلت لها: «دعيني أدخل أولاً، لأفتح الستائر وأشغّل مكيّف الهواء. أليست الحرارة شديدة هنا؟»

الطريقة التي كانت تحدق فيها بي أكّدت أن نحولي ازداد في واقع الحال، لكن لا يوجد سبب يدعوني لأن أتصرّف معها بضعف بسبب ذلك. لقد تكلّمت ببهجة مبالغ فيها وأنا أندفع لتشغيل مكيّف الهواء وفتح الستائر. أُغلق الباب الفولاذي بقوة مصدراً صوتاً معدنياً ثقيلاً.

«لقد حان وقت تناول طعام الغداء يا كي.ما رأيك بقليل من المعكرونة الباردة؟ لقد اشتريتُ علبة كاملة من أكياس المعكرونة الجاهزة الصنع منذ عدة أيام، ولدينا أيضاً لحم خنزير وخيار وبيض؟»

عندما وقفت على كرسي لأسوّي الفتحات على مكيّف الهواء، انسلّت كي نحوي وطوقت خصري بذراعيها.

«لماذا ذهبت؟ لماذا حنثت بوعدك؟»

درستُ ردي بعناية، لا أعرف ماذا أقول، لكنني كنت أعرف أن الكذب لن ينفعني.

«أردت أن أودعها. لم أشأ أن ينتهي الأمر بأن أتوقف عن زيارتها فجأة».

«وذهبت؟ وهل ودعتها؟»

ابتسمت ابتسامة حمقاء، وأنا لا أزال واقفاً على الكرسي.

«اتركيني. أريد أن أنزل».

لكنها لم تفلت قبضتها من حول خصري.

«أجبني»، قالت بإصرار، «قل لي إنك ودعتها».

«بدأتِ تتكلمين مثل أمّي».

«لا تكن مراوغاً. هل أخبرتها بأنك لن تستطيع زيارتها مرة أخرى؟»

«لم أستطع».

«أشعر بذلك».

«لم يفعلا شيئاً يستحق ذلك»، قلتُ متوسلاً، «إنهما لم يفعلا شيئاً ليستحقا أن يتلقيا خبراً من هذا النوع من ابنهما».

أرخت كي قبضتها من حول خصري، وقالت تأمرني: «إنزل».

«ببساطة لم أستطع أن أقول لهما ذلك». قلت لها وأنا أنزل من على الكرسي.

«تعال معي»، أشارت إليّ. عيناها تحترقان في عيني.

«إلى أين؟»

متبرمة، أمسكت بذراعي اليمنى بقوة كما لو أنها تشدّ حبلاً، وبدأت تجرّني نحو الحمّام. فتحت الباب وحرّكت مفتاح النور. وقفت بجانبي أمام المرآة كما كنا قد فعلنا ذات مرة.

«هل تستطيع أن ترى؟»

«طبعاً أستطيع أن أرى».

«وكيف تبدو؟»

كان الانعكاس في المرآة يُظهر بشرتي المتورّدة المعتادة.

«أبدو في صحة ممتازة. لون بشرتي جيد».

«لا». قالت كي وألقت بذراعيها بإحكام حول رقبتي، وأضافت، «فليساعد أحد هذا الرجل! أرجوك، أوه أرجوك، أوه أرجوك».

لم تكن كي امرأة متديّنة، لكنها كانت تتوسل إلى أحد ما، بالطبع لست أنا. بل كانت تتضرع إلى قوة ما لإنقاذي. الإخلاص البادي بوضوح في صوتها جعلني عاجزاً عن قول أي شيء. دُهشت لاكتشاف

وجود أشخاص في هذا العالم يمكنهم أن يتضرعوا بحماسة من أجل شخص آخر.

«أرجوك»، واصلت كي تضرعها في أذني، «أرجوك، أوه أرجوك، أوه أرجوك، ساعدني».

كانت تبكي. كانت كي تتضرع وهي تبكي.

غمرني إحساس جارف بالحبّ نحوها وهصرتها بين ذراعي بقوة.

«شكراً»، قلت لها.

واصلت كي تضرعها، «أرجوك ساعدني، أرجوك ساعد هذا الرجل. أرجوك». تعلّقت برقبتي كما لو أنها تتشبّث بحياة عزيزة.

على حين غرة، غمرني إحساس بالإعياء. شعرت أن كي قد أصبحت ثقيلة على كتفي. لم أعد قادراً على الوقوف على قدميّ.

«آسف»، قلت بينما أخذت ساقاي ترتعشان تحت وزنها، «فقد بدأت فجأة أشعر بضعف شديد».

تراخت ساقاي تحتي، ولم أعد أستطيع حملهما. وقعت منكوماً على الأرض، ألهث بصعوبة.

«هل أنت على ما يرام؟» جلست القرفصاء بجانبي.

«لا أعرف. لسبب ما، أشعر بأن قوتي قد تلاشت تماماً فجأة».

«يجب أن تنظر في المرآة».

عن أي شيء تتحدّث؟ إن مجرد رفع رأسي يتطلب مجهوداً يفوق طاقة البشر.

«أرجوك! أظن أنك ربما تستطيع أن ترى الآن. يجب أن تنظر إلى نفسك في المرآة».

«أنظر إلى ماذا؟ حتى أنني لا أستطيع أن أبقي عينيّ مفتوحتين. كلّ ما أريده هو أن أستلقي».

«يجب أن تنظر في المرآة!»

استوت واقفة على قدميها وأخذت تشدّني من ذراعي.

«لا أستطيع».

«أرجوك! يجب أن تنظر».

تمكّنت من رفع رأسي، وبذلت كي كل ما بوسعها لترفعني عن الأرض إلى مستوى المرآة. وضعت يداً تحت ذراعي اليمنى، وأحاطتني بجسدها بكلّ ما أوتيت من قوّة.

رفعتني أخيراً إلى مستوى المرآة، ونظرتُ في المرآة من خلال سديم إعيائي. رأيتُ رجلاً هرماً. أخذ قلبي يخفق بقوة. هذا أنا.

الرجل ذو العينين الغائرتين بعمق في محجريهما، والخدين الغائرين، والبشرة خالية من أي لون مثل شبح أبيض شاحب، هو أنا.

صرخت، «آه!»

لكن الصوت الذي انطلق مني كان صوتاً واهناً، لا يكاد أن يكون أكثر من تنهيدة.

«آ--»

زحفت على يديّ وركبتيّ من الحمّام إلى غرفة الجلوس ورحت أتدحرج على الأرض. لقد استنزف هذا الجهد كلّ ما كنت أخزّنه من طاقة.

جاءت كي واستلقت بجانبي مثل أمّ تحمي طفلها. أغمضتُ

عينيّ واسترخيت بينما هزت جسدي رعشات صغيرة. تجمّع الرعب في معدتي. تلاشت الشجاعة التي تملكتني سابقاً بأنني على استعداد لأن أموت من أجل أبي وأمّي. رحت أغني يائساً في قلبي: نامو أميدا بوتسو، نامو أميدا بوتسو، نامو أميدا بوتسو. يا بوذا المبارك! يا بوذا المبارك! يا بوذا المبارك!

12

استعدت طاقتي بعد قرابة ساعة.

بدأت أشعر بأن الحياة قد عادت تتدفّق في أوصالي، وراحت تمور مثل مدّ متصاعد إلى أطراف أصابع يديّ وقدميّ. وسرعان ما اعتراني شعور بأنني أصبحت مفعماً بالحماسة والحيوية إلى درجة يصعب تصديق أنني كنت خائر القوى ولم أكن قادراً على الوقوف منذ قليل.

فتحتُ عينيّ ورحت أنظر ببطء إلى يديّ. عندما فعلت ذلك قبل قليل، لم أر سوى جلد رمادي يمتدّ بشكل بشع ومشوّه فوق أوعية دموية وعظام، لكني رأيت الآن يديّ اللحيمتين الطبيعيتين. عند ذلك، تدفق تيار جديد من الطاقة في أنحاء جسدي، ولم أعد أستطيع أن أقف في مكاني بدون حركة، فرفعتُ نفسي قليلاً، واستويت جالساً.

«ماذا في الأمر؟» سألت كي. كان صوتها رقيقاً تشوبه بحة من القلق.

قلت: «إنه أمر غريب حقاً. أصبحت أشعر فجأة بأنني إنسان طبيعي مرة أخرى. هل لا أزال أبدو في حالة مزرية كما من قبل؟»

هزّت كي رأسها.

«من المؤكد أنني لم أعد أشعر بذلك. تتملكني الرغبة الآن في أن أقفز وأقف على قدميّ وأرقص حول الغرفة؟»

امتلأت عيناها بالرعب. لقد فهمت على الفور، فشبح الرجل الجالس أمامها لا يستطيع أن يثب على قدميه، ويرقص إلا إذا واتته قوّة خارقة من العالم الذي عاد منه أبي وأمّي.

«هل يمكنني أن أساعدك في شيء؟» قالت كي، ونظرة توسل حزينة في عينيها.

«أريدكِ أن تبقي معي - إن لم أكن أثير الذعر في نفسك».

«كيف يمكنكَ أن تقولَ شيئاً كهذا؟»

«آسف».

بالطبع إنها على حقّ. فبعد أن تشبثّت بي وصلّت من أجلي، وبعد أن ساعدتني عندما انهار جسدي، ها أنا أعاملها مثل شخص غريب. فمن المستحيل أن يشعر أي شخص بالارتياح وهو يرى شبحاً شاحباً كالأموات كما رأتني كي في الصورة المنعكسة في المرآة - ناهيك عن أن تضمني إليها. وخاصة أنني رجل مُتَّمر وأكبرها بخمسة عشر عاماً. ولو كنت في مكانها، لأطلقتُ صرخة رهيبة ترتعد لها الأوصال وأطلقت ساقي للريح ونجوت بنفسي. إن رؤية الاهتمام الشديد الذي كانت تبديه لي - لا طوال سنين أو حتى شهور، بل بضع ليال - كان أمراً مهيناً بالنسبة لي. إني أخطئ كثيراً بحق الناس، والنساء أيضاً.

«شكراً لك»، قلت لها. لكنّي لم أستطع أن أنظر إلى وجهها. كنت أوّد أن أبتسم لها ابتسامة تعبّر عن شدة امتناني وألقيت بذراعيّ حولها، لكني كنت أعرف أنني إذا قرّبت شفتيّ الشبحيتين من شفتيها فلن يؤدي ذلك إلا إلى تضخيم مظهري المرعب الذي كان يشبه الغول.

«بدأت أشعر بالجوع»، قلت.

«سأعدّ لك شيئاً». نهضت على قدميها وتوجهت إلى المطبخ.

خامرني إحساس الآن بأن الطاقة عادت تسري في أوصالي فرغبت في أن أنهض وأذهب إلى المطبخ لمساعدتها، لكنّي رأيت أن من الأفضل أن أمنحها وقتاً لنفسها.

عندما تناولنا طعام الغداء، وبدأت تحتسي كوباً من القهوة، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية. أمضينا الوقت كله في التحدّث عن أمور أخرى.

كانت كي تتخيّل دائماً أنّ كتّاب المسلسلات التلفزيونية يعيشون حياة اجتماعية حرة. قلت لها إن بعض الكتّاب يعيشون حياة كهذه، لكن الجزء الأكبر من مهنة الكتابة تتطلب إمضاء وقت طويل في عزلة. وحكيت لها قصّة قصيرة للكاتب بول ثروكس عن الحياة الاجتماعية التي يعيشها الكتّاب في لندن والتي تكشف بصورة هزلية كيف أن كل كاتب منهم يعيش وحيداً ومنعزلاً عن الآخرين، على الرغم من احتسائهم الخمرة بإفراط. ومن جهتي، لم أكن أميل إلى التهكم من عزلة الكاتب، ولم أشعر بالمعاناة لأنني أعيش وحيداً.

«حقاً؟» سألتني كي.

«لا أزال أريدك أن تبقي معي»، أضفتُ بسرعة، «لأن وجودك هنا يساعدني كثيراً».

أما في سريرتي، فكان عليّ أن أعترف بأن سؤالها قد لامس وتراً حساساً فيّ. لعلني لم أكن أشعر بالراحة لأنني أعيش وحيداً كما كنت أحب أن أظن. لعلي كنت أرغب في أن أعود للعيش وحيداً لأهرب من قيود الزوجة والطفل. أما الآن، ما إن استعدت استقلاليتي، حتى بدأت

أكتشف أنني لست مستقلاً استقلالاً تاماً. فلم أكن أشعر بالوحدة في وعيي، بل ربما كانت وحدتي اللاشعورية هي التي استدعت أمّي وأبي إلى هذه الحياة من عالم الأموات.

كان فنجانا قهوتنا قد فرغا عندما عدنا إلى الحديث عنهما أخيراً.

لاذت كي بالصمت.

وأنا كذلك، كنت أتساءل طوال الوقت عندما كنّا نتحدث عن أشياء أخرى، ماذا عليّ أن أفعل.

فجأة تناهى إلينا من الشارع صوت صرخة طويلة عالية من سائق مذعور ضغط بقوة على فرامل شاحنته. توقعت أن حادث اصطدام قد وقع بين سيارتين، فالتفتُ غريزياً نحو النافذة، وكذا فعلت كي.

لكن لم يكن هناك حادث اصطدام - بل صوت الضجيج المألوف المنبعث من هدير سيل الشاحنات والسيارات الذي لا يتوقف.

«الليلة»، قلت.

«نعم؟»

«يجب أن أعود إلى أساكوسا مرة أخرى».

«قد يقتلك ذلك».

«سأموت في جميع الأحوال إذا واصلت ذلك».

«هل تظن ذلك حقاً؟»

«إنك تقولين إن يديّ هاتين قد أصبحتا مثل جلد على عظم، لكن هذا ما تريه لي عيناي. لا يمكنني أن أقرّر فقط بأن لا أرى أمّي وأبي مرة أخرى وأتوقّع أن تكون هذه هي المرة الأخيرة».

«لكن ربما يجب أن تمنح نفسك قليلاً من الوقت. لعل قوّتهما

وتأثيرهما عليك سيضمحل ويتلاشى، عندها يمكن أن ينتهي كل ذلك».

«يبدو أنك مخطئة قليلاً. فقد يجعلهما ذلك في حالة نسيان، ويحول دون عبورهما بسلام والعودة إلى الجانب الآخر من العالم. إن هذا ما يثير قلقي. لا أريد أن أتركهما هكذا ببساطة. إنهما شخصان طيبان».

«إنهما يمتصّان شريان الحياة منك».

«لا أظن أنهما يقصدان ذلك أبداً. إني لا أفكر إلاّ بالتأثير الذي قد يحدثه التواصل بين عوالمنا المختلفة عليك. لعلّ والداي لا يعرفان بأنني أموت. لعله ليس بإمكانهما أن يشاهداني وأنا أذوي هكذا. في الحقيقة، إني واثق من ذلك. وإلا لقالا شيئاً الآن».

«إنك متفهم تماماً».

لم تكن تقصد ذلك بنية حسنة، بل كانت تسخر بشكل غير معهود.

قلت لها: «أرجو ألاّ تظني بأنني في حالة يائسة، لكن...».

«ماذا؟»

«يجب أن أذهب إلى أساكوسا للمرة الأخيرة - تماماً لأنني أظن أن شيئاً يجري بيني وبينك، وإني أقيّم ذلك».

«وكيف يمكن أن يساعدنا موتك؟»

«لا يمكنني أن أذهب إلى الشرطة للإبلاغ عن أمر كهذا».

«لكن ماذا عن الذهاب لرؤية قس، أو ربما كاهن؟»

«إننا نتكلم عن والداي. لن أدفع نقوداً لطارد أرواح شريرة لأتخلّص منهما؟»

«إنك مثالي للغاية. العائلات الحقيقية ليست هكذا، كما تعرف».

«لقد فقدت أمّي وأبي عندما كنت في الثانية عشرة. اعذريني إذا كان رأيي وردياً».

«امنحني يوماً. سأحصل على استشارة».

«من أين؟»

«لم أقرر بعد. الكنيسة. في أي مكان»

«أنا متأكّد من ذلك».

«متأكّد من ماذا؟»

«بأنهما سيتفهمان».

«لا، هذا ما تتمنّاه. هل ترغب حقاً في أن تعرّض حياتنا للخطر؟»

«لاتقلقي. سأكون على ما يرام. سأعود في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة».

نهضت ووقفت على قدميها.

«على الأقل امنحني وقتاً حتى الساعة الرابعة».

«لا».

«الثالثة والنصف إذن». شدة رغبتها في مساعدتي أثارت اهتمامي. «لا تذهب إلى أيّ مكان حتى الساعة الثالثة والنصف، اتفقنا؟ عدني بذلك». وركضت نحو الباب، ثم أضافت، «عدني بأنك لن تذهب إلى أيّ مكان».

فُتح الباب الثقيل ثم أُغلق.

بالنسبة إلى كي فإن أمّي وأبي هما روحان حقودتان يجب تجنّبهما بأي ثمن. حزنت عندما عرفت أنّها تعتبرهما كذلك، وحزنت من أجل والداي. من سيقف إلى جانبهما، إذا لم أكن أنا ذلك الشخص؟

خطوت نحو النافذة. ستظهر كي بعد قليل. في هذه اللحظة، ربما لا يزال المصعد صاعداً إلى الأعلى، أو ربما وصل الآن إلى الطابق الذي توجد فيه شقتي، وفُتح بابه. نعم، ستدخل إليه الآن. يُغلق الباب. يبدأ المصعد بالهبوط.

فجأة، خرجت كي مسرعة من مدخل البناية - أسرع مما كنت أتوقّع بكثير. كانت ترتدي ثوبها المنزلي الطويل الأبيض، وصندلاً عادياً، وراحت تجري إلى الشارع. ظلت انحناءة كتفيها ترافقني حتى بعد أن اختفت عن نظري.

من الممكن ألاّ أراها مرة أخرى، قلت لنفسي، ثمّ استدرت ببطء نحو الباب.

13

«هيه، أنتَ! ها أنت تأتي إلى هنا ليومين متتاليين».

حيّاني أبي الواقف عند مغسلة المطبخ بابتسامة مشرقة، وسحب ذراعيه من كميّ ثوب اليوكاتا الذي كان يرتديه ليجففهما بمنشفة باردة.

«أرجو ألاّ تحذو حذو والدك، وتهمل عملك»، قالت أمّي تؤنبني وهي تعيد ترتيب الأغراض في الخزانة.

قلت: «لقد أحضرتُ معي نصف بطيخة»، ووضعت كيس البقالة البلاستيكي على أرضية المطبخ. «قلت لنفسي إن بطيخة كاملة قد تكون كثيرة علينا».

«من الأفضل أن تضعيها في الثلاجة»، قال أبي.

«إنها باردة للتو»، قلتُ وأنا أخلع حذائي، «لقد وضعوا عليها قطعاً من الثلج».

«في هذه الحالة، يجب أن نأكلها في الحال»، نهضت أمّي على قدميها وجاءت إلى المطبخ.

«في هذه الحالة يجب أن نتناولها الآن»، قال أبي، وأعاد ذراعيه إلى ثوبه اليوكاتا وانسلّ إلى جانب أمّي ودخل إلى الغرفة الأخرى.

«آه، بطيخة – رائع».

«إننا نتعرض إلى موجة حرّ شديد»، قالت أمّي، وهي تفتح الحنفية لتغسل يديها، ثم أضافت، «أظن أن لديّ طفحاً جلدياً حول رقبتي».

«هيه، لا تقف هناك فقط يا هيديو. اخلع قميصك. خذ راحتك»، قال أبي.

«ظننت أننا سنتناول الطعام خارج البيت هذه الليلة. ما رأيك؟» قلت ذلك وذهبت لأنضم إليه.

«خارج البيت؟» التفتت أمّي ونظرت إليّ.

«لا أظن أننا تناولنا سوكياكي قط في مطعم»، قلت.

«لم يكن بوسعنا أن نفعل ذلك في ذلك الحين»، قال أبي الذي كان يعدّل وضعية المروحة حتى تدور.

«لذلك آمل أن توافقا على أن آخذكما لنتعشى في الخارج هذه الليلة»، قلت.

«بدلاً من أن نأكل هنا؟» لاحظتُ نبرة من التوتّر في صوت أمّي. توقّف أبي عمّا كان يفعله.

«هل تفضّلين أن نأكل هنا؟» سألتها، مستعداً لأن أسحب اقتراحي، لكن أبي بدا أنه يؤيد الفكرة.

«ليس حقاً»، قال.

«لكن يا عزيزي»، عارضت أمّي. كانت متسمّرة في مكانها في المطبخ.

كنت قد خرجت أنا وأبي إلى الشارع لنلعب لعبة رمي الكرة قبل عدة أيام، وخيّل إليّ أن الذهاب إلى مسافة أبعد قليلاً إلى مطعم يقدم السوكياكي بالقرب من بوابة كامناريمون لن يكون مشكلة

أيضاً. لكن ردة فعلهما كانت كما لو أنني كنت قد طلبت منهما تجاوز حاجز مخيف.

«لننس ذلك إذن. كانت مجرد فكرة».

لم أكن أريد حقاً أن أودّعهما في الشقّة. فقد خيّل إليّ أنه من الأسهل أن أفتح معهما الحديث في هذا الأمر في مكان آخر مثل غرفة الطعام الرئيسية في مطعم سوكياكي مثلاً، حيث نكون محاطين بالكثير من الزبائن الآخرين والعاملين في المطعم، لكنّي سأتخلّى عن هذه الخطة إن لم تكن مناسبة لوالدي.

«إنه ليس الموسم الملائم لتناول سوكياكي على أي حال»، قال أبي، «يمكننا أن نأكل شيئاً هنا».

«نعم، لنفعل ذلك»، قلت موافقاً، «ظننت أنه من الممتع أن نتناول طبقاً حاراً لذيذاً معاً. هذا كل ما في الأمر».

«لا أعرف أن أعدّ طبقاً حاراً هنا بدون وجود مكيّف هواء»، قالت أمّي.

«لا، أنتِ محقّة. بالفعل لننس الأمر. أنا أسف لأنني أثرت الموضوع».

«لا تقفي هناك فقط. أسرعي واقطعي البطيخة»، قال أبي موبخاً أمّي. فقد أحبط اقتراحي هذا ما كنت أظن أنه سيكون مناسبة بهيجة. أدركت كم أن عالمنا الصغير الهادئ هشّ في الحقيقة.

أما اليوم، فلم أستطع أن أدع ذلك يؤثر عليّ. يجب أن أنقل إليهما الخبر، مهما كانت شدة الصدمة عليهما.

«إنني أرغب في أن أعود بسرعة».

«بالتأكيد، لم لا؟» قال أبي، «تعال عندما ترغب».

«طبعاً»، قالت أمّي موافقة.

«ما رأيك في أن نلعب الورق؟» سأل أبي.

«حسناً»، أجبت، «لكن لنتناول البطيخة أولاً».

جزء منّي خاف أن تتحول أمّي وأبي إلى غولين بشعين ويهاجماني بضراوة في اللحظة التي أعلن لهما فيها بأنني لا أستطيع أن أعود لزيارتهما. انكمشت من هذا التوقع، مع أنني كنت أعتقد أيضاً أنه إذا حدث شيء كهذا، فإنهما سينظران إلى الأمر بنفس درجة الذعر الذي أصابني.

انتهينا من تناول البطيخة وأخرجنا ورق اللعب.

تخلّت أمّي بسرعة عن الظلّ الذي تلبّسها، وعادت إلى طبيعتها السابقة، وراحت تلعب بطريقتها المعتادة من الغش.

حانت الساعة الرابعة، ثمّ صارت الساعة الخامسة.

ظللت أفكّر بأنني يجب أن أطلب منهما أن نتوقّف عن اللعب، لكن كان يبدو أنهما يجدان متعة كبيرة في هذه اللعبة التي لم أعد أحتملها. بدأت عتمة المساء تزحف إلى الغرفة.

فجأة، بدأت أتصبب عرقاً بارداً. كان عليّ أن أقول لهما ذلك في الضوء. فقد تخونني شجاعتي عندما يحلّ الظلام، ولا أتمكّن من مغادرة أساكوسا اليوم من دون أن أودعهما الوداع الأخير.

«أظن أننا نستطيع أن نستخدم قليلاً من الضوء»، قال أبي، ونهض واقفاً على قدميه ومدّ يده إلى مفتاح السحب. «كم الساعة الآن، على أي حال؟»

«إنها بعد السادسة بقليل»، أجابت أمّي.

غمر الضوء الغرفة، واختفى وهج الغسق من النافذة.

«من الأفضل أن أذهب لشراء بعض الأغراض من أجل العشاء»، قالت أمّي.

«أصبح الوقت متأخراً للتفكّير بذلك الآن، ألا تظنين ذلك؟ لنتناول شيئاً من بقايا طعام البارحة».

«لم يتبق منه شيئاً. لقد تناولناه على الغداء، ألا تذكرين؟ ماعدا قليل من فاصولياء الصويا المخمّرة».

«لا تكن سخيفاً. لا يمكننا أن نقدم لهيديو طعاماً كهذا».

«أبي...أمّي»، قلت لهما.

«نعم؟»

«لا تقلق يا عزيزي. سأحضر لك العشاء في لحظات. سأفكّر بشيء ريثما تنتهي أنت ووالدك من احتساء البيرة؟»

«ثمة شيء يجب أن أقوله لكما».

«شيء تقوله لنا؟»

«ما هو؟»

«أنا آسف. هل الوقت مناسب الآن؟»

«لا أستطيع أن أقول إنه الوقت المناسب، لكن هيا قل ما هو».

أنزلت ساقي عن الساق الأخرى، وانتقلت إلى وضعية جاثية رسمية، ثمّ خفضت رأسي في انحناءة عميقة.

«هل هناك شيء على غير ما يرام؟»، قالت أمّي بصوت يشي بالقلق.

«عن أي شيء؟» قال أبي، وجثا على ركبتيه أيضاً.

«لن أتمكن من زيارتكما بعد اليوم».

«لم لا يا عزيزي؟»

«ماذا تقصد؟»

علا صوتهما باحتجاج غير مصدقين كما لو أنني قلت شيئاً تافهاً إلى حد محزن. كما كنت أظن، فهما لا يعرفان شيئاً عن شدة ضعفي وهزالي.

«إني أحبّ أن آتي إلى هنا حقاً، ولا تعرفان مدى السعادة التي تغمرني عندما أراكما. لذلك، أريد أن أواصل المجيء إلى هنا حتى لو قتلني ذلك».

«يقتلك؟ عمّا تتحدث؟»

«نعم يا عزيزي. ما الذي يجعلك تقول شيئاً كهذا؟»

حكيت لهما ما قاله لي منتج مسلسلي وماميا عن صحتي، ووصفت لهما هيئتي الضامرة التي رأيتها بنفسي في المرآة.

لم آتِ على ذكر كي، لأن ذلك يحتاج إلى قدر محدد من التلفيق، لكن ذلك بدا لي أنه المسار الأكثر أماناً الذي يجب أن أتبعه. وحتى لو لم يبدِ والداي نية سيئة تجاهها، فإن سماع أن أحداً يحاول أن يبعدني عنهما قد يعرضني إلى عقاب من قوى مجهولة في عالم الموتى. بالطبع، لم أكن متيقناً من أن عدم قول أي شيء عن كي سيحميها، لكن بدا لي أن أمّي وأبي قد صدقا قصّتي.

عندما أنهيت حكاية قصتي، انحنيت لهما انحناءة شديدة معتذراً. واضعاً راحتا يدي على الأرض.

لم ينبس أحد منهما بكلمة.

ظلت أوراق اللعب مبعثرة على الوسادة التي كنا نلعب عليها.

لم أستطع أن أرفع رأسي. اعتراني شعور مخيف بأن أمّي وأبي قد اتخذا هيئة جديدة مرعبة، وأنهما يتهيأن للانقضاض عليّ. كان جسدي كله يرتعش.

لكن لم يكن هناك أي داع لمخاوفي هذه.

قال أبي بلطف: «إني أتفهم ما تقوله».

«يجب أن نقبل بذلك»، قالت أمّي، بصوت مفعم بالحزن، ثم أضافت، «كنت أشعر بأن هذا لا يمكن أن يدوم إلى الأبد».

كنت لا أزال لا أستطيع أن أرفع رأسي إلى الأعلى. كنت أريد أن أتبخّر إلى العدم.

«لا يمكن تفادي المحتوم»، قال أبي.

«هذا صحيح»، قالت أمّي، «لكن على الرغم من أنها كانت فترة قصيرة، فلا يمكننا أن نحدّثك عن السعادة التي تغمرنا عندما تأتي لزيارتنا».

«ما رأيك في أن نذهب كلنا؟» قال أبي ونهض فجأة.

«عفواً؟» رفعت رأسي مندهشاً للتغير الذي طرأ على نبرة صوته.

«كما تعرف، بالنسبة للسوكياكي، فمن يهمه إن كان منتصف الصيف أم لا؟ إذا ذهبنا إلى المطعم، يمكننا أن نحشو أنفسنا بسوكياكي في جو مكيّف الهواء».

«هل أنت متأكّد من أنك لا تمانع من ذلك؟» سألته.

«طبعاً»، قالت أمّي ممسكة نفسها عن البكاء، «سنودّع بعضنا، أليس كذلك؟»

في العتمة التي بدأت تزداد حلكة، رحنا نحن الثلاثة نشق طريقنا على طول الرصيف باتجاه بوابة كامناريمون. بعد أن اجتزنا الجادة الدولية، مررنا من أمام مطعم سمك الأنقليس، كان العامل يشوي كبدة على أسياخ.

«ليتناول كلّ منا سيخاً منها»، قال أبي، وتوقف عن السير.

عندما سمعته يتكلم أدركت أن أحداً منا لم ينبس ببنت شفة منذ أن غادرنا الشقّة.

«يبدو لي أن هذا الأمر جيد»، قلت بنبرة أقوى في صوتي.

«ثلاثة من فضلك»، قال أبي للعامل.

«لكننا ذاهبون لتناول سوكياكي»، قالت أمّي محتجّة. كانت لا تزال تبدو أنها تبكي قليلاً.

«لا تفسدي علينا الأمر. إن الصبي يحتاج إلى كلّ الغذاء الذي يمكن أن يتناوله. إنك تعرفين ذلك».

«ستحبّينها يا أمّي»، قلت، وأعطيتها سيخاً.

«شكرا يا عزيزي».

تابعنا السير صامتين على الرصيف ونحن نمضغ الطعام.

كما لو أنه يريد أن يبدد الغمّ الذي اعترانا، قال أبي فجأة: «قل». وتوقف عن السير.

«ماذا؟» قلت، مبدياً وجهاً بهيجاً بأقصى ما بمكنني.

«إنهم يبيعون كعكاً في أشكال مختلفة هناك. ماذا لو اشترينا كيساً منه؟»

«بالتأكيد. تابعا سيركما. سألحق بكما بعد قليل».

عدت بخطواتي لشراء كيس من البسكويت الصغير المصنوع في أشكال معبد سينسوجي وآلهة الحظ السعيد السبعة، وما إلى ذلك. وبينما كنت أنتظر البائع حتى يعيد لي باقي النقود، استدرت لأرى كم ابتعد عني والداي، لكنني وجدتهما ينتظراني في المكان الذي تركتهما فيه. عندما كنت أشتري لوالداي اللذين هما في الثلاثينات من عمرهما، أحسست أنني لا أزال طفلاً في المدرسة الإعدادية.

هذا صحيح، أدركت أن التخلّي عنّي يعني أيضاً بالنسبة لوالداي التخلّي عن أساكوسا. فهما سيودّعان بلدتهما المحبوبة اليوم أيضاً. كان أبي يريد البسكويت لأنه يحاول أن يستغل أقصىٰ ما بوسعه من آخر رحلة له في دروب الذاكرة.

أسرعت والتحقت ثانية بوالداي، «أبي»، قلت وأنا أغذّ الخطى، «توجد مقرمشات الرزّ في زقاق محلات السوتشي».

«عظيم».

«سيأخذ ذلك دقيقة واحدة فقط يا أمّي»، قلت، وانطلقت إلىٰ الأمام.

وجدت الدكان في زقاق قصير باتّجاه المنطقة التي توجد فيها دور السينما، لكن المقرمشات التي كنت أريدها كانت قد نفدت اليوم.

عندما جريت عائداً نحوهما، كانت أمّي وأبي واقفين بائسين وسط سيل المشاة المتدفق علىٰ الرصيف.

قلت: «لقد بيعت جميعها». «تباً»، فعلىٰ الرغم من أنني علىٰ أبواب الخمسين، فإني لا أزال أتصرف مثل طفل في المدرسة الإعدادية.

«أوه، حسناً»، قال أبي محاولاً أن يبدو سعيداً ليغطي انزعاجه.

كانت أمّي واقفة تحدّق بي.

«هل نصعد إلىٰ المعبد ونصلي لإلهة الرحمة قبل أن نتناول العشاء؟» سألتهما، ثم أضفت، «يمكننا أن نتسلىٰ بتناول البسكويت ونتفرج علىٰ المحلات في طريقنا».

«أرجو ذلك»، قال أبي الذي بدا حزيناً لأنه سيرفض الاقتراح، ثم أضاف، «كنت أتمنّىٰ حقاً أن نتمكن من القيام بذلك، لكن ليست لدينا الحرية لنفعل ما يحلو لنا».

«نعم، ألن يكون من الجيد لو كان بإمكاننا أن نفعل ذلك؟» قالت أمّي، والدموع تسيل من عينيها. لقد تهدّل كتفاها إلى درجة يصعب تصديق أنها نفس المرأة التي كانت تلعب الورق بتلك الحيوية قبل ساعة فقط. كان عليّ أن أبتلع الكلمات التي حاولت أن تقفز من لساني: «إنس الأمر، إنس الأمر. إنس ما قلته بأن هذه هي زيارتي الأخيرة. سأعود مرة أخرى يا أمّي. سوف أعود».

هذا ما كنتُ أرغب في أن أقوله لكني لم أقله.

عندما سأل أبي عمّا إذا كان علينا أن نذهب، أجبت، «نعم. لنذهب ونتناول قليلاً من السوكياكي. لنحتفل ونجعل من هذه المناسبة عيداً حقيقياً».

«تفضلوا»، قالت المرأة السبعينية مرحّبة بنا عند مدخل المطعم بصوت عميق رنّان ونحن ندخل.

قلت لها: «نريد طاولة لثلاثة أشخاص».

فقالت: «نعم يا سيدي»، ثمّ صاحت، «طاولة لثلاثة أشخاص، من فضلك».

«إني آتية»، تناهى إلينا صوت من الداخل، وبعد قليل اندفعت نادلة مكتنزة ذات بشرة بيضاء، تبدو في الأربعينات من العمر لاستقبالنا.

قالت لنا: «أهلاً وسهلاً. من هنا من فضلكم».

كانت صفوف من المناضد الواطئة المجهّزة بمواقد الغاز تملأ قاعة كبيرة. ستائر تزيينية بارتفاع متر تقريباً تحيط بكلّ منضدة من ثلاثة جوانب لإتاحة قدر من الخصوصية لروّاد المطعم.

كانت هناك طاولات مفتوحة كثيرة. بإلقاء نظرة سريعة، خمّنت أن البخار يتصاعد من أقل من نصف المقصورات.

قادتنا النادلة إلى طاولة قريبة من الجدار الخلفي. جلستُ قبالة والداي. طلبنا بيرة مع أغلى عشاء سكياكي لثلاثة أشخاص.

«سنطلب كمية أكبر من اللحم والخضار عندما نذهب»، أضفت.

«أبلغني بذلك عندما تنتهون»، قالت النادلة، وأردفت «سأعود بالبيرة في الحال». عندما نهضت من على ركبتيها، لاحظت حبات العرق تتقاطر من جبهتها.

«لم تكن بحاجة لأن تقول ذلك»، قالت أمّي بتشاؤم.

«لا تفتعلي مشكلة»، قال لها أبي، منزعجاً، «فقط لا تثيري لغطاً».

«لكن ماذا سنفعل بكل هذا الطعام؟»

«لم يقل أحد بأنّك يجب أن تأكليه. لا تنسي أن هذا الولد يزداد ضعفاً في كل زيارة يزورنا فيها. قد لا نتمكن من رؤية ذلك، لكنّه يزداد ضعفاً حقاً».

«أعرف ذلك».

«إذاً توقّفي عن إزعاجه ولنساعده على أن يزيد من قوّته؟»

فقلت: «لا تهتما بي. أريدكما أن تأكلا كما تشتهيان».

«توقّف عن التكلم كما لو كنت تكرّم والديك»، قال أبي بحدة، «انظر، لا أستطيع أن أقول هذا بصوت عال، لكن تناول أكداس من شرائح لحم البقر الرقيقة لن تكسو مزيداً من اللحم فوق عظام رجل ميت. كان البسكويت كثيراً عليّ».

«لكنك تستطيع أن تستمتع بطعمه، أليس كذلك؟»

«بالتأكيد، سأحبّ كلّ قضمة منها».

«إذاً أقول هيا لنأكل».

«حسناً، أظن أننا قد نفعل ذلك. لا نستطيع أن نأكل إلا عندما نكون معك».

وصلت البيرة.

«قولي لي يا أخت»، قال أبي للنادلة، «كيف نبدو هنا حسب قولك؟»

«زوج وزوجة، كما أتخيّل».

«أوه، حقاً، هذا أمر بديهي. لكنّي لم أقصد نحن، قصدته هو. ما هي صلته بنا؟»

«أحد زبائنك المنتظمين، ربما؟»

«ماذا تقصدين، زبائن منتظمين؟»

«حسناً، مثل، ربما كنت طاهياً كبيراً أو شيئاً من هذا القبيل في أحد المطاعم».

«رائع! إن لديك عيناً جيدة؟»

«وهو أحد زبائنك المنتظمين، وقد دعاك إلى العشاء اليوم».

«رائع».

ضحكت النادلة ثم ذهبت.

«ليس هذا الوقت المناسب لتلعب ألعاباً مع نادلة»، قالت أمّي، وقد بدت في غاية اليأس.

«انظر إلى من يتكلم. إني أبذل كلّ ما بوسعي حتى أبثّ روحاً مرحة في الحفلة، وأنت لا تتوقفين عن صبّ الماء البارد على كلّ شيء».

«كيف يمكنك أن تتصرف وكأنك مبتهج إلى هذه الدرجة؟»

فقلت: «دعي الأمر يا أمّي، فلا داعي لأن ترغمي نفسك على أن تكوني مبتهجة، لكن يمكنني أن أفهم كيف يشعر أبي أيضاً، لذلك، ماذا لو وضعنا الانتقادات جانباً، وبدأنا نشرب؟»

التقطتُ قنينة من على المنضدة، وملأت كأسيهما بالبيرة.

«لن يخمّن أحد أبداً بأنك كنتَ ابننا»، قال أبي بابتسامة حزينة وهو يصبّ لي كأسي، «أشياء غريبة قد تحدث».

لم أظن أن عبارة «بصحتكما» تلائم المناسبة تماماً، وأن أيّ نخب آخر قد أقوله يمكن أن يجعل أمّي تبكي، فرفعت كأسي فقط، وقلت: «حسناً إذن»، وجرعنا جميعاً كؤوسنا الأولى.

عادت النادلة. وضعت مقلاة من السوكياكي على الموقد في وسط المنضدة ومسحتها بالدهن، ثمّ بدأت تحضّر السوكياكي.

«دعني أخبركِ شيئاً عن هذا الفتى»، قال أبي للنادلة.

«يا إلهي! هل أنت متأكّد من أنك تريد أن تطلق عليه ذلك؟»

«ويحي، إنك محقّة».

«حسناً، حسناً»، قلت، «إني أحبّ أن يقول لي ذلك».

«لقد فقد والديه عندما كان في الثانية عشرة من عمره».

«أنا آسفة».

«ثمّ مرّت عليه أوقات عصيبة. لكنّه نجح في عمله. عنده أشياء كثيرة يحق له أن يفتخر بها».

«إذاً اضطررت لأن تعيل نفسك منذ أن كنت صغيراً؟» نظرت النادلة نحوي.

«لا أبداً»، قلت، «أولاً أخذني جدّي في كنفه، وبعد أن توفي اعتنت بي عمّتي وعمي».

«لكن على الرغم من ذلك، كان يعتمد على نفسه في معظم الأحيان»، أصرّ أبي، «فقد حقق كلّ شيء بنفسه. انظري إليه. إنه رجل ناجح للغاية. بإمكانه أن يأتي إلى مطعم كهذا ويطلب كلّ لحم البقر المتوفر إذا أراد».

«يا إلهي، إنك لم تسكر بعد، أليس كذلك؟» صاحت النادلة، مندهشة من حماسة أبي.

«شكراً لك، هذا يكفي»، قالت أمّي. جعلتني البهجة المفاجئة في صوتها أكاد أقفز. عندما التفتُ لأنظر إليها، ظلت تتكلم مع النادلة بابتسامة مشرقة. «يمكنني أن أعالج البقية. سأعلمك إن كنا نحتاج إلى أشياء أخرى».

«أوه، شكراً»، قالت النادلة دون أن تفوّت أي شيء، «إننا لسنا مستعدين تماماً الآن في الحقيقة، لأن اثنين من العاملين لدينا عادا إلى بلدتيهما للاحتفال بمهرجان بون لتكريم أرواح الأجداد ولم يعودا بعد». انحنت بتهذيب وانسحبت.

أشار أبي وراءها بذقنه، وقال: «لا تنس أن تنفحها إكرامية عندما نخرج».

«حسناً»، قلت.

«لم يعودوا يفعلون ذلك يا عزيزي. إنها طريقة أمريكية».

«إني متأكد من أنهم يفعلون ذلك. لا يزال بعض الناس يحبّون الإعراب عن تقديرهم، كما تعرف. كل ذلك بورقة نقدية صغيرة. مئة ين. لا، لا، لم يعودوا يطبعون أوراقاً من فئة المئة ين. لقد تحولت الورقة

الصغيرة نفسها في هذه الأيام إلى ألف ين. لا أستطيع أن أصدّق ذلك! ألف ين كإكرامية. يارجل! هذه الأوقات الجميلة التي تعيش فيها، يا هيديو! ماذا سيحلّ بالعالم؟»

«لعلني لا أحتاج إلى قول ذلك بعد كل هذا الوقت، لكن -»، قالت أمّي ثانية، محدّقة بي مباشرة.

«لا تراهني على ذلك»، تدخّل أبي وهو يغمر عيدان طعامه في الطعام الذي يغلي في المقلاة، «إن كان لديكِ أيّ شيء تريدين أن تقوليه له الآن فهذا هو الوقت المناسب لتفعلي ذلك».

«لا أزال لا أستطيع أن أصدّق أن عمرك 48 سنة».

«أعرف ماذا تقصدين»، هززت رأسي، «من ناحيتي، فأنا في غاية السعادة لرؤيتك شابة وجميلة».

«ابن يقول لأمّه هكذا؟» بدا أبي محرجاً قليلاً. ربما لم أكن سأمتدح أمّي بهذه الطريقة في مكان عام لو كنت في عمر أبي، لكنني في هذه اللحظة، أحسست أنّ المحل العام هو ما يتطلبه الموقف تماماً. بدا لي أنه أفضل وسيلة للإعراب عن مشاعري.

«لا أستطيع أن أفهم كيف تمكنت من أن تتدبر أمورك كلّها وحدك طوال 36 سنة»، قالت أمّي.

«لا تنسي أنه كان عنده زوجة لفترة من الزمن»، قال أبي.

«أظن أن الأطفال يجدون طريقة يشقّون فيها طريقهم بطريقة أو بأخرى حتى عندما لا يكون أباؤهم هناك».

«إذا لم يكن أباؤهم هناك، فلن يكون أمامهم خيار حقاً، أليس كذلك؟»

«ألن تصمتي لدقيقة يا عزيزتي؟»

«لماذا تتكلّم معي هكذا؟»

«ألا تدركين؟ لم يبق سوىٰ قليل من الوقت حتىٰ تدلين بهذه الأفكار البارعة». بدأ صوت أمّي يرتعش فجأة. بدا أنها علىٰ وشك أن تبكي.

«تقصد أنه لم يبق سوىٰ وقت قصير؟» قلت، وأنا أنقل نظري من أمّي إلىٰ أبي، «هل أنتما في عجلة من أمركما؟»

«نعم، يجب أن نستعجل»، قالت أمّي، وبدأت الدموع تنسكب من عينيها، «لهذا السبب طلبت من النادلة أن تذهب».

التفتُ إلىٰ أبي، الذي بدا أنه تلقىٰ صفعة علىٰ وجهه.

«ماذا في الأمر؟» سألته.

«لا شيء»، قال وهو يهزّ رأسه في إنكار شديد. لكن النظرة البادية علىٰ وجهه كانت تقول غير ذلك.

«اسمع الآن»، قالت أمّي، وتحركت في مقعدها لتجلس في وضعية أكثر رسمية، وقالت: «إني أشعر بالضغط ولا أستطيع أن أقول لماذا، لكننا نهتمّ كلانا بك كثيراً».

«لا أظن أنكما ستغادران؟» أحسست بأنّهما سيفعلان ذلك.

«كان من الجيد حقاً أن نلتقي بك مرة أخرىٰ»، قال أبي، «إنك ابن نجيب».

«نعم، إنك ابن نجيب».

«لا أنا لست كذلك»، قلت محتجاً، «فأنا لست ذاك الرجل الذي يبدو أنكما تظنان أنه أنا. فقد فشلت كزوج، ولم أكن أباً جيداً أيضاً. أنتما شخصان طيبان – أما أنا فلا. إنكما شخصان ودودان، رقيقان إلىٰ درجة

كبيرة إلى درجة فاجأتني. يجب أن يكون لكلّ شخص أب وأمّ مثلكما، حتى ابني. ومع أنني لعبت دور الابن المخلص معكما، فلا يعرف أحد كيف كان من الممكن أن أعاملكما لو كنتما تعيشان كلّ هذه السنوات. أما بالنسبة لمهنتي؟ فأنا لم أنجز شيئاً عظيماً حقاً. فأنا مجرد كاتب من الدرجة الثانية يتنافس على...»

توقفت في منتصف الجملة.

ثمة شيء كان يحدث لأمّي. بوسعي أن أرى شكل كتفيها بوضوح شديد، لكنني أدركت أنني أستطيع أن أرى أيضاً من خلالها.

مذهولاً، التفتُّ لأنظر إلى أبي. كان كتفاه وجذعه قد بدآ يبهتان أيضاً.

هذا ما قصدته أمّي. بهذه الطريقة سيغادرانني. جلست هناك، غير قادر على أن أتكلم.

«كلّ شيء سيكون على ما يرام يا بني»، قال أبي، «لا تقل كلمة أخرى».

«إننا فخورون بك كثيراً» قالت أمّي.

«إننا فخورون جداً بك»، ردّد أبي، «إصنع لنا معروفاً وتوقّف عن أن تكون قاسياً على نفسك. يجب على الرجل أن يعتمد على نفسه، كما تعرف. لن يفعل ذلك أحد غيره».

«أرجوكما لا تذهبا»، قلت متوسلاً. أصبح صوتي فجأة مثل صوت طفل صغير.

«يبدو أننا لا نستطيع أن نقرر ذلك»، قال أبي، «كنت أرجو على الأقل أن يتاح لنا وقت أطول قليلاً».

«لا!»

«اعتن بنفسك».

«لا أظن أننا سنراك بعد الآن أبداً».

اختفت كتفا أبي، ثم بدأ يتلاشى وجه أمّي. كنت أعرف أنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً لإيقاف ذلك.

لم أجرؤ على أن أنظر بعيداً. كان أبي على وشك الذهاب.

«شكراً لكما»، قلت لهما، «شكراً لكما! شكراً لك يا أمّي ويا أبي».

صمت صوتي. كان آخر شيء أحتاج إليه الآن هو انتباه النادلة أو رواد المطعم الآخرين.

«إلى اللقاء»، قالت أمّي، لا أكاد أراها.

«إلى اللقاء»، قال أبي الذي لم أعد أستطيع أن أراه على الإطلاق. كنت مدمّراً حتى أنني لم أستطع أن أبكي.

«مع السلامة»، غمغمتُ.

بسرعة كبيرة، تلاشت أمّي وأبي ولم يبق لهما أي أثر. لم يتركا وراءهما سوى عيدان الطعام وطاسات السوكياكي وكؤوساً نصف فارغة من البيرة، وكيس البسكويت، ومائدة ملوّثة، ووسادتين مجعّدتين.

صعدت سحابة من البخار من مقلاة السوكياكي التي تغلي.

«لكنكما لم تأكلا جيداً»، تنهدت محتجاً، «بالكاد لقمة».

فجأة شعرت بالإنهاك.

حاولت أن أدع رأسي يغوص في المائدة، لكنّي أسندت مرفقي أمامي، ووضعت وجهي بين يدي.

«أوه»، سمعت النادلة تقول، «أرجو أن يكونا قد وجدا الحمّام بسهولة».

«غادرا».

خفضت يدي لكنني أشحت بوجهي. لا بد أن أفترض بأنني أصبحت أبدو أسوأ الآن من قبل، ولم أشأ أن أخيفها.

«غادرا كلاهما؟»

من الواضح أنها ظنت أن خطأ ما قد حدث. أي شيء آخر يمكنها أن تظن غير ذلك؟ لم يكادا يلمسان وجبة الطعام.

«أرجو أن تحضري لي الحساب»، قلت.

«ألن تأكل؟»

«لا».

«يجب أن أعتذر. أخشى أنني لم ألحظ أنهما نهضا للذهاب»، قالت، «حسناً، سأعود بالحساب. هل يمكنني أن أطفئ الموقد؟»

«نعم، أرجوك».

«ماذا يحدث في العالم؟ كان يبدو أنهما يستمتعان هنا».

لم أستطع أن أخفي انزعاجي منها. أطفأت النادلة الغاز وغادرت لتحضر الحساب.

لم يكن عندي وقت للبكاء. أردت شيئاً أتذكّرهما به. عيدان طعامهما. بيأس شققت طريقي عبر كفن الإعياء الرصاصي، أخذت عيدان طعام التي استعملاها، ثمّ سحبت منديلاً من جيبي، وركّزت كلّ قوّتي على لفّهما بعناية.

«إني آسفة لأني جعلتك تنتظر»، قالت النادلة، عندما عادت بالحساب.

بذلت جهداً هائلاً للعثور على المجموع، أخرجت محفظتي، وحسبت المبلغ الصحيح.

«هل أنت على ما يرام؟» سألت النادلة، صوتها يرتعش. لا بد أنها لاحظت ملامحي الذاوية.

«ها هنا»، أعطيتها النقود، وعادت على الفور إلى صندوق المحاسب.

ببطء، نهضت على قدمي. بعد أن مشيت أربع أو خمس خطوات في الممر باتجاه المدخل الرئيسي، استدرت لألقي نظرة أخيرة. كانت مائدتنا تقبع هناك مثل قشرة حشرة الزيز، مهجورة.

قلت لنفسي إنه ربما كان عليّ أن آخذ معي البسكويت أيضاً، لكن لم تعد لدي القوّة الكافية لأعود لإحضاره.

عندما وصلت إلى المدخل، انتظرت النادلة لتعود إليّ بباقي المبلغ. كما طلب أبي، أعطيتها ورقة نقدية من فئة ألف ين وقليلاً من الفراطة كإكرامية.

«زبون يغادر. الرقم 23»، نادت السيدة مراقبة الأحذية وأنا أتجه نحو بهو المدخل.

تساءلت عمّا إذا كان حذاءا أميّ وأبي لا يزالان مع حذائي، لكنهما اختفيا. أحضرت السيدة مراقبة الأحذية العجوز حذائي فقط ووضعته أمامي دون أي إشارة إلى وجود أيّ خطأ.

«أرجوك زرنا مرة أخرى»، قالت بذلك الصوت العميق الذي تذكّرته عندما وصلنا. لم تكن تعرف المعاناة التي أعانيها.

14

من العتمة هبّت رائحة رهيفة من عطر امرأة.

أخفت الرائحة في أعماقها رائحة لحم خفيفة، دعيت لإدراكها وتمييزها، لكنها كانت مخفية ومموهة. والهدف من هذا التمويه هو الاختباء والتواري، أما الآن فقد أصبح ذلك يبدو مجرّد ذريعة لإغوائي لأبحث عمّا تخفيه. وبينما أخذت أستعيد وعيي شيئاً فشيئاً، بدأت رائحة العطر تخفت تدريجياً، وأدركت أن رائحة حلوة ودفء جسد امرأة يغلّفني.

فتحت عينيّ قليلاً، ورأيت بشرة ناصعة البياض. إن إدراك أن تلك الرائحة تغلّفني غمرني بإحساس جميل.

«كيف تشعر الآن؟» سمعت كي تقول.

آه، إنها كي «مم»، همهمت.

«هل تشعر بأنك أصبحت أفضل حالاً؟»

تساءلت كم الساعة الآن. أحسست بأنني كنت نائماً منذ حقب عديدة.

عندما عدت من أساكوسا بسيارة أجرة، هرعت كي إليّ في البهو وأسندتني، لكنني دفعتها جانباً بفظاظة. حاولت أن أمشي بمفردي.

مع أنني كنت أعرف أنها تستحق أن تسمع تفسيراً مني، لم أكن قادراً على فتح فمي لأقول شيئاً. كنت قد عدت للتو بعد أن ودعّت أمّي وأبي، وبدا لي أنه من غير اللائق أن أسقط مباشرة بين ذراعي امرأة تقف في انتظاري. كنت أريد أن أنأى بنفسي عن أيّ دلالات جنسية.

لم تتمكن كي من قراءة ما يجول في خاطري، بالطبع، ولم تعكس عيناها الإساءة التي وجهتها لها لأني صددتها ودفعتها عني. لكنّها ظلت تحوم حولي كما لو أنها تريد أن تشكل دائرة حولي لحمايتي وأنا أسير، ودخلت معي إلى المصعد. ومع أنه من الغريب التحدث عن شخص واحد يشكّل دائرة حولي لحمايتي، لكن الواقع بدا كذلك. وكان يبدو أنها كانت متأهبة للإمساك بي إذا وقعت على الأرض. وبالرغم من أنني كنت أعرف بأنني مدين لها بالشكر، لكن شعوراً متناقضاً اعتراني.

أبعدتُ يديها اللتين كانتا تسنداني عندما أخذت ساقاي ترتعشان بعد خروجنا من المصعد إلى بهو الطابق السابع. ما كان عليّ أن أفعل ذلك. لماذا أعاملها بقسوة؟ فهي لم تسيء إليّ. لكني رفضُت مساعدتها مرة أخرى عندما جثوت على ركبتي متهالكاً أمام باب شقتي، ولم أتمكّن من إدخال المفتاح الذي أخرجته بصعوبة شديدة من جيبي في ثقب المفتاح.

الآن، استلقيت على سريري.

لم أتذكّر كيف وصلت إلى هناك، ولم يكن بوسعي أن أعرف إن كنت قد تمكّنت أخيراً من فتح باب بيتي. لم أتذكّر إلا رفضي بعناد محاولات كي لمساعدتي. أما الآن، فلم يعد ذلك الإحساس إلا مجرد ذاكرة وأنا مستلق في أحضان كي. يبدو أنني لم أعد أبالي على الإطلاق.

«كيف تشعر؟» سألتني كي مرة أخرى.

«هممم»

«أما زلت تشعر بأنك ضعيف؟»

حسناً، دعيني أرى. لا أظن ذلك. لا، بالتأكيد لم أعد أشعر بالتعب والضعف. فتحت فمي لأقول ذلك لها، لكن شفتيّ راحتا، بدلاً من ذلك، تضغطان على اللحم الأبيض الماثل أمام عينيّ كما لو أن قوة لا تقاوم دفعتهما إليه. على بقعة اللحم الصغيرة القابعة تحت عظم ترقوة كي وفوق الضماد المطاطي الأبيض الواسع الذي كان لا يزال يخفي ما يقبع تحته. ثم انتقلت بسرعة إلى الضماد عندما حرّكت شفتيّ فوق بشرتها الناعمة، ومددت يدي لأزيل العائق المزعج.

«لا»، قالت كي بحدّة.

فقلت لها: «قلت لك من قبل إن الندبة لن تغيّر من مشاعري تجاهك».

«آسفة، لكن يجب ألاّ تفعل ذلك. أبداً».

ارتعشتْ وهي تشبك ذراعيها فوق صدرها، واستلقت على بطنها. كانت كتفاها الرقيقتان الأبيضان متصلبتين من شدة التوتّر.

«حسناً. لماذا لا تثقين بي أكثر؟» وضعت يدي على كتفها، «حسناً. استرخي الآن. يجب أن لا تقلقي»، قلت لها وأنا أداعب بياض كتفها برقة، ثمّ قرّبت شفتي منها، ولمستها بلساني. كان منحنى ظهرها الأبيض الناعم مغطّى بنفس الضماد الذي يخفي صدرها، لكنّي لم أحاول أن أزيله عنها مرة أخرى.

تقدّمت يدي من منحدر ظهرها ببطء، وأبعدت طيّات البطانية المجعّدة التي تستر مؤخرتها.

صعد ردفاها الأبيضان البضان العاريان في شكل هضبتين مشدودتين، تميلان قليلاً إلى أحد الجانبين. مبتهجاً بجمالهما، رحت ألمسهما، أداعبهما، أقبّلهما، غصت فيهما.

في خضم تهتكنا الذي أعقب ذلك، قالت كي لاهثة، «هل انتهى الأمر؟»

«نعم، انتهى. لقد ذهبا».

في الأنفاس المتقطعة التي طمأنتها بها بأن أمّي وأبي قد ذهبا، لم يكن هناك سوى أثر خفيف لحزن الفراق.

خرجنا لتناول الغداء بعد الساعة الثالثة بقليل.

كانت الحرارة قائظة في فترة بعد الظهر. وعلى الرغم من الهواء الثقيل المحمّل بعوادم السيارات والشاحنات الذي اعتدت على أن أحبس أنفاسي لكي لا أتنشقه، فقد وجدت نفسي الآن أستمتع بهذه النزهة.

كان من الواضح أن كي لم تكن تشاركني المتعة التي غمرتني. وبينما كنا في طريقنا إلى المطعم الإسباني الصغير الذي يبعد مسافة كيلومتر على الطريق 8، أبدت شكوى مقنّعة بطريقة رقيقة.

«لماذا لا توجد عندك سيارة؟»

فقلت: «كانت عندي واحدة، لكنّي أعطيتها لابني»، ثم أضفت، «عندما أنهي المسلسل الجديد الذي شرعت في كتابته، سأتمكن من شراء سيارة من طراز «أكورد» مرة أخرى».

«هل هذا وعد؟» قالت كي.

فقلت: «بالتأكيد، ويمكننا أن نبحث عن شقّة جديدة أيضاً».

«في مكان لا توجد فيه كلّ هذه الضوضاء المتواصلة».

«ومساحته أكبر».

«لكن بنايتنا الجديدة يجب ألاّ تضم أحداً في الليل غيرنا».

عندما وصلنا إلى المطعم، قالوا لنا إنهم لا يقدّمون إلا القهوة حتى الساعة الخامسة والنصف.

«لدينا بعض المعجّنات أيضاً»، أضافت صاحبة المطعم، وارتسمت على وجهها ابتسامة.

في هذا الوقت، لم يكن لدى أيّ منا القدرة على مغادرة المطعم المكيّف بالهواء، والتسكع على الرصيف في هذا الجو القائظ بحثاً عن وجبة طعام جيّدة. لذلك قرّرنا أن نبقى ونحتسي القهوة ونتناول بعض الفطائر.

لم يكن في المطعم أحد سوى رجل وامرأة، فاخترنا طاولة بعيدة عنهما. ما إن استوينا جالسين على كراسينا، حتى بدا لنا أن مشهد الطريق الذي تلفحه الشمس خارج النافذة ينتمي إلى عالم مختلف. كان الهدوء يخيّم على المكان. حتى أن الموسيقى الخلفية المعتادة قد تلاشت.

راحت قطّة تتهادى ببطء في المطعم الهادئ في فترة بعد الظهر.

لن يكون بوسع أمّي وأبي رؤية هذا المشهد، قلت لنفسي، عندها بدأ يعاودني الشعور بالحزن.

«لن تكفيك، يمكنني أن أقول»، قالت كي ضاحكة.

«ماذا لا تكفيني؟»

«الفطيرة الصغيرة. خاصة أنك لم تتناول شيئاً منذ ليلة البارحة».

«لم يخطر ببالي ذلك»، قلت دون أن ابتسم. أزعجتني بهجة كي الواضحة، في الوقت الذي ضحّى فيه والداي بكيانهما من أجلي.

لكني في الحقيقة لم أخبرها حتى الآن بما جرى الليلة الماضية. شعرت بأني بحاجة إلى مزيد من الوقت قبل أن أعود لأعيش تلك الأحداث بكلّ تفاصيلها الموجعة للقلب مرة أخرى. لذلك، لا يمكنني أن ألوم كي على بهجتها البادية كما لو أن بعض الأرواح الشريرة الحقودة الخطيرة قد طُردت لفترة وجيزة. لم تكن كي هي التي أثارت انزعاجي. وبدأ شعور بالذنب يتسلل إليّ لحماستي في بدء حياة سعيدة جديدة كاملة معها. فها أنا قد طردت والداي البارحة، وها أنا أجلس هنا في اليوم التالي أتمتّع بصحبة امرأة باهرة الجمال.

قلت لها: «هناك شيء أريد أن أقوله لك».

«أوه أوه»، قالت كي وابتسامة ترفرف على وجهها، «أظن أنك أخفتني».

«لقد فشلت كزوج، وأظن أنني لست أباً جيداً أيضاً. لست متيقناً إن كنت أستحقّ أن يحبّني شخص مثلك».

«ماذا يعني ذلك؟»

«أرجو ألاّ تكون لديك أيّ أوهام عني».

«مثل ماذا؟»

«لا أعرف، لكنّي أتساءل أحياناً ماذا ترين فيّ. إني أشعر بالقلق لأنه لم تتح لك الفرصة لرؤية حقيقتي».

«لدى كلّ شخص أوهام».

«طبعاً. وأنا لست رجلاً بكل معنى الكلمة، إني أقول لك ذلك».

«وأظن أنك تريد أن أخبرك بأن هذا جيد بالنسبة لي؟»

«أفترض ذلك».

«لا يا سيدي. إن لم تكن رجلاً بكل معنى الكلمة، فاجعل من نفسك رجلاً. فأنا لست مستعدة لأن أقبلك كما أنت».

«لن يكون هذا الأمر سهلاً، ها!»

إنها على حقّ بالطبع. فقد قبلني أبي وأمّي كما أنا، مهما حاولت أن أرفض نفسي، حتى عندما تلاشيا إلى العدم، لكن ليس من المعقول أن أتوقع الشيء ذاته من امرأة تحبني.

«لا أريد أن يبدو ذلك...»، قالت كي وارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة، لكنها صمتت عندما وصلت القهوة والفطائر التي طلبناها. رحت أحدّق بها معجباً بجمالها، بعينيها المسبلتين قليلاً منتظراً ذهاب صاحبة المطعم.

«كنتِ تقولين؟» حثثتها على مواصلة حديثها.

هزّت كي رأسها، وقالت: «لا أريد أن يبدو هذا بأنني امرأة خاصة أو شيء من هذا القبيل، لكن...»

«من المؤكد أنك كذلك» قاطعتها، «فأنت امرأة ذكية، وأنت جميلة، وتمتلكين إحساساً قوياً بمن أنت».

«لكني ربما كنت أبدي لك أفضل جانب فيّ. إن إخفاء صدري أكبر دليل على ذلك».

«لا أقصد أن أقلل من شأني، لكني لست الشخص المناسب لك حتى لو تمكنت من استجماع كل قوتي».

«لكن عيوبي فظيعة. فأنا كتلة من مزيج بشع».

«وأنا كذلك».

«في أسوأ حالاتي، أشعر بالغثيان من بشاعتي إلى درجة أنني...»، راحت تبحث عن كلمات مناسبة، «أريد أن أطفئ نفسي».

هذه العبارة لامست وتراً حسّاساً في داخلي. فقد غمرني إحساس متشائم مخيف بأن تبدأ كي أيضاً في التلاشي أمام عيني، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً لإيقاف ذلك.

«لا تقولي أشياء كهذه»، قلت، ثم كرّرت، «لا تقولي أشياء كهذه».

هزّت كي رأسها. أدركت أن هيئتها لم تبدأ تتلاشى. وبينما واصلت التحديق فيها، بدأت تغمرني سعادة أكبر لأنها لا تزال موجودة، في الواقع.

في طريق عودتنا إلى البناية التي نقيم فيها، قلت لها: «أريد أن أرى شقّتك».

«حسنا». وافقت على الفور، ثم لاذت بالصمت لبرهة من الوقت.

«هل تركتِ أشياء بدون ترتيب أو شيئاً من هذا القبيل؟» سألتها أخيراً.

«ممم».

«إذا كان ذلك يزعجك، فلا داعي لرؤيتها اليوم».

«ماذا يجعلك تظنّ أن ذلك يزعجني؟»

«لقد صمتِ فجأة».

«كنت أتصور الشقّة في مخيلتي. إن بيتك يمكن أن يكشف الكثير عنك».

«أريد أن أعرف كلّ شيء عنك».

«إني أتساءل إن كان ذلك سيكون بالضرورة من أجل الأفضل. ألا تظن أحياناً أن الناس قد يكونون أكثر سعادة معاً إذا حافظوا على بعض الانطباعات الخاطئة؟»

«إذاً سأنتظر في الممر لأفسح لك المجال حتى تتمكنين من بذر الانطباعات الخاطئة».

«حسناً. إني أجد متعة في تقليم النباتات، لكني أشعر اليوم بالرغبة في عدم القيام بذلك».

كان الرقم 305 هو الرقم المدوّن بجانب الشقّة الكبيرة المؤلفة من ثلاثة غرف في نهاية الممر. من الخارج تصورت أنها واحدة من الشقق الصغيرة التي تتألف من غرفة واحدة ومطبخ وغرفة طعام صغيرة معاً. حتى بالنسبة لشقة كهذه، فإن إيجارها في هذا الشطر من طوكيو مرتفع جداً. ربما كان والداها يساعدانها في إرسال مبلغ إضافي لها كلّ شهر.

ترى ما رأيهما بأن ابنتهما لا تزال عازبة مع أنها بلغت 33 سنة من عمرها؟ وهل يعرفان شيئاً عن الحرق في كتفها؟

مع أنني افترضت أنهما لا بد يعرفان ذلك، فهما يعيشان في قرية زراعية تبعد حوالي ساعة من أقرب نقطة من المدينة، ويمكنها أن تخفي عنهما أشياء كثيرة إذا أرادت. لعلها قرّرت أن تخفي عنهما الحقيقة حتى لا يتدخلا في حياتها، لكن لا يهمني إن كان والداها يعرفان ذلك أم لا.

«بعدك»، قالت كي بعد أن فتحت قفل الباب.

«هل أنت متأكّدة من أنك لا تمانعين من دخولي هكذا؟»

«لقد قلت لك: لا بأس. يحتاج مكيّف الهواء إلى فترة من الوقت لنشر البرودة، لكن الجو حار أيضاً هنا في الممر، لذلك أظن أننا يجب أن ندخل».

عندما دخلتُ، دهشت عندما اكتشفت أن شقّتها مؤثثة على الطراز الياباني، وقد كست الأرضية حصيرة تاتامي.

«لم أكن أعرف أنه توجد شقق مكسوة ببسط التاتامي في هذه البناية».

«أظن أن هذه هي الشقة الوحيدة المتبقية عندهم. كانت هناك شقق أخرى».

«إنهم لا يؤجرونها كمكاتب».

«صحيح. لهذا السبب تم تحويل الشقق الأخرى كلها».

«كنت أتصوّر غرفة مؤثثة على الطراز الغربي يوجد فيها سرير يحتل نصف الغرفة»، قلت.

عندما بدأت أدقق في الغرفة المكسوة بحصيرة التاتامي، فتحت كي ذراعيها للإشارة إلى أن المطبخ وغرفة الطعام موجودان داخل الباب.

«هذه هي غرفة طعامي الصغيرة».

«إنها شديدة الترتيب».

تتوسط أرضية غرفة الطعام الصغيرة البنية اللون، طاولة سطحها أبيض، يحيطها كرسيان أبيضان. وبدا القماش الأزرق الداكن القديم الذي يغلف الوسادتين المستديرتين الرقيقتين الموضوعتين على الكرسيين المتقابلين غير منسجم بعض الشيء.

«يوجد لديّ شاي الشعير في الثلاجة. هل تريد أن نحتسيه هنا أم هناك؟» قالت.

«لنذهب إلى هناك إن لم يكن لديك مانع».

«بالتأكيد».

وفي غرفة التاتامي، كانت تنتصب خزانة رخيصة مطلية باللون الأبيض بجانبها صندوق قبالة الجدار، وتتوسط الغرفة منضدة ريفية بسيطة قابلة للطي. لا شعورياً، كنت قد تخيّلت شقّة مؤثثة وفق وعي رجل في منتصف العمر، لكني بعد أن رأيت قطع الأثاث غير المتناسقة، الصبيانية نوعاً ما، خطر لي أن كي لا تزال فتاة لم تبلغ مرحلة النضج. سعدتُ لهذا الاكتشاف.

لكن لعلي أستبق النتائج. فامرأة لا تملك قدراً كبيراً من النقود لا يمكنها أن ترمي قطع الأثاث التي اشترتها عندما كانت في العشرينات من عمرها، ولا يمكنها أن تجدّد ديكور الشقّة وفق ذوقها الجديد الذي اكتسبته عندما بلغت الثلاثينات. إن رؤية ذوق فتاة في العشرينات من عمرها وذوقها وهي في الثلاثينات يتعايشان في غرفة واحدة لا يشير بالضرورة إلى أن قاطنتها تتمتع بذوق بناتي.

بينما كنت أدقق النظر في باقي الغرفة، لفتت نظري لوحتان كبيرتان معلّقتان على الحائط المقابل.

«إن هاتين اللوحتين تجعلانني أشعر بالتوتر»، قالت كي عندما رأتني أنظر إلى اللوحتين. كانت تراقبني من المطبخ، وهي تصبّ شاي الشعير. بدت نبرة صوتها لعوباً، أكثر منها متوترة.

اللوحتان هما مجرد صورة للوحات مرسومة بالأسلوب الياباني.

قالت: «أحبّ أسلوب الرسم الياباني»، وأضافت، «يبدو أن الآخرين جميعاً يحبّون الرسامين الانطباعيين الأوروبيين أو الرسامين المعاصرين الأمريكيين، أما أنا فإني أفضل الأسلوب الياباني».

«سيسون مايدا؟»

«عرفتها؟»

«يوجد عليها ختمه».

«وهل استطعت أن تفك رموزها؟»

«رأيت مثلها من قبل».

«إن اللوحة الحقيقية بهذه الضخامة»، قالت كي، وفتحت ذراعيها على وسعيهما وهي تبتسم.

كانت اللوحة تمثل محارب ساموراي مستلق في تابوت حجري.

لكن المزاج لم يكن مظلماً. فقد لوّن الرسام التابوت من الداخل بلون وردي براق، وخلق الدرع المزخرف الذي يرتديه المحارب تأثيراً رائعاً تماماً.

«من رسم هذه اللوحة؟» سألتها، مشيراً إلى اللوحة الثانية.

«هذه لسيسون أيضاً»

«ما موضوعها؟»

«أشعر بمزيد من الإحراج».

تصوّر اللوحة عدداً من الرجال الذين يرتدون اللباس الياباني التقليدي، يُفترض أنها تعود إلى حقبة إدو، يقفون على الجانب القريب غير المرئي من اللوحة يرمقون جسد شابة عارية مستلقية على ظهرها، ولا يظهر من الفتاة إلا ثدياها.

جاءت كي ووقفت بجانبي وهي تحمل كوبين من شاي الشعير على صينية.

«ماذا تظنين أنهم يفعلون؟» سألتها.

«ألاحظ أن يدي رجلين منهم مثنية، كأنهما يصليان».

«إنها تصوّر تشريح جثة».

«إذاً فهم يشرّحون جثتها».

«إني أحبّها كثيراً. لكنّي أخشى قليلاً ماذا يمكن أن تفكّر بها».

لعل تركيبة اللوحة - امرأة عارية يتحلّق حولها عدد من الرجال - تشي قليلاً بوجود ميول كي الجنسية. لكن ذلك لا يقارن بالتهويمات الداعرة التي تخطر ببال الرجال. إن حقيقة أن اللوحة لا تظهر إلاّ ثديا المرأة، ذلك الجزء من الجسد الذي تصرّ كي على إخفائه، يمكن أن يعني أموراً كثيرة. لم يبدو لي أن في اللوحة شيء فاحش بأي شكل من الأشكال، بل ثمة إحساس بضبط النفس والتوتّر، وهو شيء يعبّر عن الجمال الحقيقي. خيّل إليّ أنه يمكن استخلاص كيف يمكن أن تصوّر اللوحتان كلتاهما جثثاً باعتبارها موضوعاً للجمال، لكنّي لم أهتمّ بتحليل ذلك نفسياً.

جلست أحتسي شاي الشعير الذي وضعته لي كي على المنضدة القابلة للطي. عندما اتكأتُ على وسادة مطرزة بأزهار زرقاء سماوية صيفية، تملكني، مرة أخرى، إحساس رجل في متوسط العمر يغزو العالم الخاصّ لفتاة شابة.

لاحظت أنه يوجد عندها جهاز ستيريو صغير.

اعتراني شيء من الحيرة والاضطراب، وسألتها بتردد عمّا إذا كانت تحب الموسيقى المحلية أيضاً.

«بوتشيني»

«آه».

«إني متحيزة لأغنية واحدة بعينها».

«الأوبرا، هه؟»

«أوه أبي الغالي».

«لا أعرفها».

«سأسمعك إياها».

نهضت كي على قدميها. كان هناك حوالي ثلاثين قرص سي دي مرتّبة بمهارة في علبة مركونة فوق خزانتها.

«الأوبرا التي تسمى جياني شيشي. لكنّي لا أهتم حقاً بالعمل. هذه هي الأغنية التي أحبّها: آه يا أبي الغالي، ألن تشتري لي خاتماً؟ وإذا لم يكن لحبّي جدوى، فإني سألقي بنفسي في نهر آرنو».

«تجري أحداثها في فلورنسا؟»

«لقد فزت بالجائزة».

بدأ عزف منفرد. كان لحناً رائعاً.

هاتان اللوحتان، والآن هذا اللحن الجميل. مع أنني لست من مناصري التحليل النفسي، فلم أستطع إلا أن ألاحظ استغراقاً مؤكداً بالموت.

هل أن انجذابها لرجل يكبرها في السن مثلي مستمدة من دافع قذر لتدمير الذات؟ «*mio babbino caro0* »، هل هي؟

فجأة ألقت بنفسها فوقي.

بشفتين مغلقتين، سقطنا على بساط التاتامي وسرعان ما نسينا اللحن. في وقت متأخر من ذلك المساء، انتهى كلّ شيء.

15

كان عليّ أن أعود للعمل على الحلقة الثانية من المسلسل. تمكّنت من إنهاء الحلقة الأولى بسهولة غير معهودة، وتوقّعت أن تأتي الحلقة الثانية بنفس السهولة.

لكن عندما جلست لأكتب بعد الساعة السابعة بقليل، بعد أن تناولت عشاء خفيفاً برفقة كي (كان العشاء مكوناً من بيتزا تُخبز بالمايكرويف، وصحن شوربة سريعة التحضير، وصحن سلطة خفيفة، في حمرة الشمس المائلة للغروب الدافئة بعد ممارستنا الغرامية الشهوانية)، تبين لي أنني لا أستطيع أن أدوّن جملة واحدة. مضت ساعة بسرعة كبيرة.

أجلّت التفكير مؤقتاً بما جرى في أساكوسا، لكنه عاد يراودني الآن، وبدا أنني لم أعد أستطيع استحضار أي مشهد مثير بوضوح كاف. وجدت استحالة في أن أنحّي جانباً تلك التجربة التي لا يمكن أن تنسى، وأوجّه اهتمامي إلى كوميديا المواقف عن رجال ونساء يمضون ساعات طويلة في لعب البيلياردو والتنس.

«هذا سيء».

لم يبد أنني أستطيع أن أكسر هذا الطريق المسدود الذي اعترضني بمجرد أن أبذل مزيداً من المحاولات. حتى القصّة التي تطوّرت من

تلقاء نفسها عملياً لم يعد يبدو أنها تستحق التفكير الآن، وتبيّن لي أن الشخصيات التي خلقتها جوفاء تماماً.

إذا استمر الأمر على هذا المنوال، فمن المحتمل ألاّ أتمكن من تسليم المخطوطة في الوقت المحدد. إذ يبدو أن هذا الأمر في غاية الأهمية بالنسبة لكاتب بارع عليه طلب كبير، أما بالنسبة لكاتب أقل شهرة مثلي، فقد يكون الأمر قاتلاً.

ما العمل؟ إذا احتجت إلى كاتب ثان، فكلّما أسرعت في طلبه كان أفضل. لكن كيف يمكنني أن أفسّر ذلك؟

لن يصدّق أحد القصّة عن أمّي وأبي. هل يتعين عليّ أن أتظاهر بأنني مريض؟ لا، فأنا بحاجة إلى المال. فقد وعدت كي بأن أشتري سيارة. دقّ جرس الهاتف الداخلي. بعيداً عن شراء سيارة جديدة، وبعيداً عن الانتقال إلى شقّة جديدة سرعان ما سأجد أنني في حاجة شديدة حتى إلى أبسط الاحتياجات اليومية إذا لم أجبر نفسي على أن أعود إلى سابق عهدي. دقّ جرس الهاتف الداخلي مرة أخرى. من يمكن أن يكون؟ منتج المسلسل الذي أكتبه؟ لم يعد ليحدثني عن الحلقة الأولى. أو ربما عاد ولم أكن حينها في البيت؟ فقد غبت عن الشقّة لفترة من الوقت، ولم أسمع جهاز تسجيل المكالمات.

رفعت سماعة الهاتف الداخلي وفوجئت عندما سمعت صوت ماميا.

«هل يمكنني أن أصعد لرؤيتك لدقيقة؟» قال.

لم تكن لديّ رغبة في الإنصات إلى ما يفعله مع طليقتي، لكنّي كنت أعرف أن المسألة برمتها ستبدأ تثقل على تفكيري إذا رفضت استقباله.

«بالتأكيد»، قلت، وضغطت على الزرّ لفتح قفل الأمان.

لا يمكنني أن أطلب من ماميا أي مساعدة للعمل لصالح محطة تلفزيونية أخرى، لكن لعله يعرف كاتباً شاباً واعداً يمكنه أن يحلّ مكاني. كان بإمكاني أن أستفسر بلباقة عن شخص كهذا.

دقّ جرس الهاتف الداخلي مرة أخرى. عندما فتحتُ الباب، نظر ماميا بحدّة في عينيّ.

«هل أنت على ما يرام؟» سألني.

أوه، ها هو ذا مرة أخرى، قلت لنفسي بابتسامة. لقد كان قلقاً على صحتي منذ أن صادفني في الفندق. إذا كان ذلك هو سبب مجيئه، فإني عالجت الأمر.

«كما ترى، أنا بصحة ممتازة».

خطا ماميا إلى الداخل دون أن ينبس بكلمة واحدة وأغلق الباب وراءه.

تابعت كلامي: «عندما رأيتني في الفندق، كان جسدي قد أصيب بهزال شديد لأنني كنت منهمكاً في أمر معين. أما الآن فقد انتهى كل ذلك. لقد أصبحت على ما يرام الآن. أعرف أن من الغريب أن تراني أبدو هزيلاً ومنهكاً في يوم، وتراني في اليوم الثاني متورّد الوجه مفعماً بالصحة، لكن لا داعي لأن تقلق عليّ حقاً».

«كنت تبدو في حالة فظيعة في ذلك الحين». وقف وراح ينظر إليّ من دون أن يشيح بنظرته المحدقة عني.

«كما قلت، كان ذلك في ذلك الحين، وها أنا ذا الآن».

«بل إنك تبدو الآن في حالة أسوأ». سرت في جسدي قشعريرة باردة، لكنني أرغمت نفسي على أن أبتسم.

«حتى أسوأ؟» سألت، نصف السؤال موجّه إلى نفسي.

رفعت يدي اليمنى عرضاً، وتفحصت راحة يدي، ثمّ قلبتها لأتفحّص ظاهر كفي. بدت طبيعية تماماً - ليست نحيلة وشاحبة كما اعتدت على رؤيتها.

«هل أبدو في وضع سيء إلى هذه الدرجة؟» سألته، وغطست في الكرسي.

«ألا تنظر في المرآة أبداً؟»

«لم أنظر في المرآة منذ أن عدت إلى البيت. لا، انتظر. لقد نظرت في المرآة عندما دخلت إلى الحمام».

«إذاً اذهب وألق نظرة أخرى». كان يجلس قبالتي، ثم أضاف، «لا أستطيع أن أصدّق بأنك جالس أمامي كما لو أن كلّ شيء على ما يرام».

ردّدت كلماته صدى كلمات كي.

لكن والداي ذهبا الآن. لقد رأيتهما يتلاشيان بأمّ عيني. هل لا يزال لديهما نوع من القوّة عليّ؟

«قل لي شيئاً»، قلت، هابطاً بعيني على يدي ثانية. من المؤكد أنني لا أستطيع أن أدّعي بأن يديّ هما يدا شاب، لكن لا يمكن أيضاً وصفهما بأنهما جلد على عظام. «كيف تبدو يداي بالنسبة لك؟»

«ماذا تقصد؟» قال، مرتبكاً من سؤالي.

«هل تبدوان نحيلتين وذابلتين؟»

أجاب بإيماءة بسيطة.

هل يعني ذلك أن والداي لا يزالان يحومان حولي في مكان ما في

الظّل، يمنحاني وهماً بالحيوية في حين يستمران في استنزاف شريان حياتي؟ لا، ليس والداي نفسهما، بل ربما القوّة المجهولة هي التي سمحت لهما بالعودة لزيارتي بشكل رئيسي.

ألا تزال تلك القوّة ترفض أن تدعني وشأني؟

«هل كانت هناك امرأة معك».

«امرأة؟»

«ليلة البارحة، كانت عندك امرأة هنا».

«هل أتيتَ ليلة البارحة؟»

كنت قد عدتُ إلى البيت وغبتُ عن الوعي، لكنّي أعرف أن كي ظلت إلى جانبي. لو كان ماميا قد جاء، لفتحت له كي الباب. إنها لم تذكر أيّ شيء لي.

«كنتَ تبدو في حالة مزرية عندما صادفتك في الفندق، لذلك قرّرت أن آتي لزيارتك في وقت متأخر من بعد الظهر، عندما أخذت استراحة في عملي. يبدو أنك لم تكن في البيت».

كان ذلك عندما كنت في أساكوسا.

«ثمّ، عندما كنت مشغولاً في عمل آخر، بدأت أشعر بالقلق. ربما كنتَ في البيت لكنك كنت مستلق في السرير. ربما كنتَ في حالة ضعف شديد ولم تتمكن حتى من أن تفتح الباب. لذلك رجعت في حوالي التاسعة. هذه المرة رأيتُ نافذة غرفتك منارة. قرعت رقم جرس شقتك عند الباب في الطابق السفلي، لكنّك لم تردّ. لحسن الحظ، خرج رجل في ذلك الوقت، فأمسكت الباب عندما فتحه وانسللت إلى داخل البناية. صعدت إلى شقتك وقرعت جرس الباب. لم تجب. هنا بدأت أشعر

بالقلق، رحت أقرع الباب وأنادي اسمك. بعد بضع لحظات، فتحت لي امرأة وقالت إنك نائم».

كنت في الحقيقة نائماً.

«عندما قلت لها إنّني قلق عليك لأنك كنت تبدو ضامراً وضعيفاً عندما رأيتك في الفندق، أكدت لي بأنك متعب، وأغلقت الباب في وجهي».

أحسست بنبرة عدائية في صوت ماميا كلما ذكر المرأة، وبدأ ذلك يزعجني. لكن إذا كانت كي قد أغلقت الباب في وجهه بفظاظة، عندها يمكنني أن أتفهم مشاعره تجاهها.

«عندما ابتعدت عن الباب، تملكني هذا الإحساس الغريب بأن شيئاً غريباً يجري. لا لأنك كنت برفقة امرأة أو أيّ شيء من هذا القبيل. لكن شيئاً بدا غريباً، بطريقة ما. ما إن بدأ المصعد يهبط، حتى تذكرت فجأة أنني تمكنت من إلقاء نظرة على شقّتك من الداخل من خلال الشقّ الضيّق في الباب. وقد رأيت عبر الشقّ كأن المرأة لم تكن موجودة! كان الباب مشقوقاً، ووقفت المرأة تسدّ ذلك الشقّ الضيّق بالكامل، لذلك لم أتمكن من رؤية معظم الأشياء داخل الشقّة، لكن بدا لي أنني رأيت من خلال جسمها؟»

مع أنني لم أجبه، لكن الغضب بدأ يستعر في داخلي. لم يكن غضباً من ماميا، ولا من كي، بل نتيجة الاستياء من القوّة المجهولة التي جعلت والداي يتلاشيان في العدم أمام عينيّ. هل ستسلب كي تلك القوّة مني أيضاً؟

ثم تابع ماميا كلامه وقال: «كنت أعرف أنه أمر سخيف. لا بد

أنه كان خداعاً بصرياً. لكن بالرغم من ذلك، قلت إنها ليست فكرة جيدة أن أدعك في يدي تلك المرأة. كنتَ أشبه بطيف شبح يسير على قدمين في الفندق، ومع ذلك فقد أصرت على أنك في حالة ممتازة. شيء في داخلي قال لي إني يجب ألاّ أصدّقها، لذلك عدت بعد ظهر اليوم».

مع أنني كنت أعرف مشاعر ماميا غير الودية نحوي - في الحقيقة، لأنه كان ذلك بالفعل - لم أتوقّع أن يبدي كلّ هذا الاهتمام بي.

«عندما كنت أترّجل من سيارة الأجرة عند ناصية الشارع، رأيتك قادماً باتجاه الرصيف. كانت المرأة معك. تردّدت في أن أناديك - لا لأنك كنت مع المرأة، بل لأنك تغيرت وأصبحت شخصاً آخر. كنت تبدو في صحة جيدة، وإذا كان عليّ أن أقول شيئاً، فإني سأقول إن وزنك قد ازداد. حسناً، لعلك نمت جيداً في الليلة الماضية. لكن على الرغم من ذلك، فكيف يمكنك أن تبدو في حالة سيئة يوماً، وفي حال أفضل بكثير في اليوم التالي؟ لقد أصابتني دهشة كبيرة.

«عندها فقط، لاحظت رجلاً يقف بالقرب من المدخل الرئيسي، يشذّب بعض الشجيرات. كان ذلك هو السيد هارادا الذي غادر البناية للتو، أليس كذلك؟» سألته. بدا أنه يقيم هنا وكان يحدّق وراءك أيضاً.

«هذا صحيح»، أومأ، في الحقيقة إنه مشرف البناية. ثمّ أضاف «إنك تتحدّث عن الشبح!» نظرت إليه وسألته ماذا يقصد، فقال: «إن المرأة التي ترافقه تشبه تماماً السيدة التي كانت تقيم في الشقة رقم 305».

بالطبع. الشقة 305 هي الشقّة التي تقيم فيها كي.

«أتقصد أنها لم تعد تقيم هنا؟» سألته.

«لم أر شيئاً غريباً لأنك كنت مع شخص انتقل إلى الشقة مؤخراً، لكن عندما أخبرني».

سكت ماميا لوهلة، كما لو أنه يريد أن يرفع من حدة التشويق.

«قال إن المرأة انتحرت في أواخر شهر تموز (يوليه)»

لا تكن سخيفاً. لا بد أن هناك خطأ ما. فقد كانت الشقّة 305 هي الشقّة التي تقيم فيها كي منذ عدة سنوات. إن القول إن المستأجرة التي كانت في الشقّة 305 قد انتحرت يعني أن كي هي التي انتحرت.

كان ماميا يحدّق في وجهي ينتظر سماع ردّ مني، لكنّي لم أجبه. لم يكن الأمر أنني أريد أن أخفي شيئاً عنه، بل كنت أحاول أن أخفيه عن نفسي. لم أشأ أن أردّ على مثل هذا الاقتراح غير المعقول.

«لم يكن لديّ سبب يجعلني أناقش هذا الأمر في تلك اللحظة»، قال ماميا، «أقصد أن أشخاصاً كثيرين يشبهون أشخاصاً آخرين، لكنّي أردت أن أحدّثك. ربما كان القلق الذي ساورني غير مبرر، لكن تحسّن صحتك كان مفاجئاً. بدا أن ذلك أمر غير واقعي، لذلك طلبت من المشرف أن يسمح لي بأن أنتظر في البهو. لم يكن أيّ منكما يحمل شيئاً، فخمنّت أنكما لن تبتعدا. لم أكن أعرف متى ستعودان في حقيقة الأمر، وبدأت أتساءل مرة أخرى هل إني أقلق على لا شيء. ثمّ دعاني المشرف إلى مكتبه، وقال إنني سأشعر هنا بالراحة بسبب وجود مكيّف هواء.

«بينما كنت أنتظرك في مكتبه، حدّثني عن أمور أخرى تتعلق بانتحار المرأة. فقد طعنت نفسها بسكين سبع مرات في صدرها. هذا ما قالته له الشرطة. جاءت أسرتها. وعولج الأمر كله بهدوء وبطريقة رسمية».

«إن المرأة التي رأيناها معك تشبهها كثيراً، لذلك قال لي كلّ شيء، لكنه قبل ذلك، كان شديد الحرص على ألا ينبس بكلمة واحدة عنها. ثم أعيد تصميم الشقّة بعد ذلك واستأجرتها شركة أطعمة صحية كمكتب لها في طوكيو».

ما علاقة كلّ ذلك بكي؟ صامتاً، واصلتُ مقاومة نتائج الحسابات التي توصل إليها ماميا.

«ثمّ أشار المشرف بعينيه نحو البهو، فنظرت إلى خارج نافذة الاستقبال الصغيرة فرأيتك أنت والمرأة تدخلان إلى المصعد. خرجت من الغرفة بسرعة ورأيت ضوء مؤشر المصعد يقف عند الطابق الثالث، لذلك رحت أصعد الدرج جرياً إلى الطابق الثالث، وفتحت الباب من صحن الدرج إلى الممر، حريصاً على ألاّ أحدث أي ضجة. كانت المرأة قد فتحت للتو أحد الأبواب وكنتَ تهم بالدخول. «إنها الشقّة الرقم 305» همس المشرف خلفي. «إنها تشبه المرأة التي انتحرت شبهاً شديداً».

«حدث كلّ ذلك في وضح النهار، لذلك كاد الأمر يبدو سخيفاً، لكني كنت أعرف أنني يجب أن أخرج من هناك. ركضت في الممر حتى الشقّة التي دخلا إليها وضغطت على زرّ الهاتف الداخلي، ورحت أطرق الباب بقوة. كان المشرف معي أيضاً.

«على الفور فتح شابّ الباب وقلت له إننا نريد أن نرى الشخصين اللذين دخلا للتو، لكنه أنكر أن يكون أحد قد دخل. فقاطعه المشرف وقال: «هذا جنون، فقد رأيناهما كلانا وهما يدخلان، الآن» فقال الشاب الآخر: «إذن ادخلا وشاهدا بأنفسكما»، وتنحّى جانباً حتى ندخل. كان

مكتباً مؤلفاً من غرفة واحدة صغيرة، وكان بوسعنا أن نرى أنـه لا يوجـد أحد في الشقة غيره. وحتى نتأكد، فتشنا في المرحـاض وفي الحـمّام أيـضاً، لكننا لم نجد أيّ أثر لك أو للمرأة».

بعد أن حكى كلّ ذلـك بتـدفق شـديد، نظـر ماميـا في عينـي مـرة أخرى، وسألني، «أين كنت؟»

فقلت: «مع هذه المرأة التي انتحرت».

«ولماذا فعلت ذلك؟»

«كان في صدرها حرق بشع. ويبدو أن الجراحة التجميلية لم تجدها نفعاً، على ما أظن، مع أنها أجـرت عـدّة عمليـات. لـذلك انكفـأت عـلى نفسها طوال الوقت، وهم يظنون أنها لم تعد تحتمل الوحـدة». أغمـضت عيني.

ثم تابع ماميا قائلاً: «اسمها كاتسورا فوجينو، لكن في أوراق إيجار الشقّة، فقد أعطت اسم كي الذي يُقرأ بحـرف كاتـسورا. لقـد اسـتعرتُ مفتاحاً احتياطياً من المشرف. لماذا لا نذهـب ونرى الشقة رقـم 305 معـاً؟ يمكنك أن ترى إن كانت هي ذات الـشقّة التـي ذهبـتَ إليهـا بعـد ظهـر اليوم».

«لن يكون ذلك ضرورياً»، قلت.

«أظن أنك يجب أن تذهب. إن ذلك سيمنحك القوّة لتقاوم».

«أقاوم ماذا؟ كي؟»

«لا أعرف إن كانت ستفيدنا هذه الأمور»، قال ماميا وأخـرج مـن جيب سترة بدلته مسبحتين، وأضاف، «أريد أن تأخذ واحدة منهما».

«إنس الأمر».

«لا نستطيع أن ننساه. أرجوك».

«إنه لأمر محرج بأنني خدعت. لا تجعلني أؤكد ذلك».

«لقد أصبحتَ سهلاً إلى حد مقيت. لم تكن هكذا. لماذا لا تقول لي إن كلامي مجرد هراء؟ كيف يمكن أن لا يكون كل ذلك إلا هراء؟»

لا يعرف ماميا شيئاً عن قصتي مع والداي، لذلك فقد فوجئ بقبولي الفوري لقصّة الرعب التي حكاها. لكنّي كنت قد قبلت للتو القدر المحتوم، وبدأت أخطط في الآونة الأخيرة بسعادة لأن أبدأ حياة جديدة مع كي؛ أدركت فجأة أنني لن أتمكن من جعلها تحدث.

«حسنا، إذاً»، قال ماميا، «لنخرج من هنا. يجب أن نبعدك عن هذا المكان بأسرع ما نستطيع. يمكنك أن تقيم في بيتي. وإذا لم ترغب في ذلك، يمكننا أن نحجز لك غرفة في فندق».

تفحصت يديّ. عليّ أن أفترض بأنني لا أزال لا أرى حالتهما الحقيقية. فلم أرهما نحيفتين مثل جلد على عظم، بل بدتا ممتلئتين كما أعرفهما دائماً.

لا بد أن كي لا تزال تمارس قوّتها عليّ. هل تعرف هي أنه كُشف أمرها؟

كنت أتوق إلى فرصة توديعها على الأقل. كانت كي محقّة. كنت أكثر سعادة بذلك الانطباع الزائف. سأكون سعيداً لو عشت مع كي، معتقداً خطأً بأنّها امرأة حيّة.

«هيا. يمكننا أن نقرر ماذا يمكننا أن نفعل بعد أن نبعدك عن هذا المكان».

هززت رأسي موافقاً ونهضت على قدمي. لعل كي لن تظهر إذا

رأت ماميا معي. لم أكن أنوي الاعتذار من ماميا الذي قدّرت كثيراً شعوره بالقلق عليّ.

قال: «يجب أن أطفئ مكيّف الهواء. أنا سأفعل ذلك».

خيّل إليّ أنه سيستغرق لحظة أو لحظتين ليكتشف مكان زر مكيّف الهواء، لكني وجدت أنه أطفأه مباشرة ثم اتجه نحو الباب وانتظرني. تناولت محفظتي من أحد الأدراج ووضعتها في جيب بنطلوني الخلفي.

ما إن بدأت أنتعل حذائي، حتى فتح ماميا الباب وخرج. أحسست بأنه تسمّر في مكانه.

رفعت بصري. رأيت ماميا يقف مجمّداً بجانب الباب المفتوح خلفه، يحدّق باتجاه المصعد. إنها كي، قلت لنفسي. إن كي هنا.

«لا تخرج»، هسهس لي ماميا.

متجاهلاً تحذيره، خطوت باتجاه البهو. كانت كي واقفة أمام المصعد، على مسافة عشرة أمتار تقريباً، تحدّق بثبات باتجاهنا.

كانت ترتدي الثوب المنزلي الأبيض بدون أكمام الذي يكاد يصل إلى كاحليها.

«كي».

«لا تكلّمها!»، صاح ماميا. ساورني شكّ في أن لديه أيّ سبب عميق لهذا التحذير. لعله يفكّر بتحريم قديم يحرّم مناجاة الموتى والتواصل معهم.

كانت كي تنظر إليّ. كانت عيناها تشبهان عيني تلميذة مدرسة جدّية.

أخذ ماميا يحثني على ألاّ أكلّمها. مهما كانت علاقتنا الحميمة من قبل، فقد أصبحت الآن أعرف أنها مجرد طيف، ويجب أن أعتبرها عدوة لي. لكن ما إن وقفنا وجهاً لوجه ثانية، لم أحتمل التفكير بها بأنها في تلك الحالة. فهذه المرأة هي التي تعلّقت برقبتي وصلّت من أجلي، إلى ماذا سيؤدي الانقلاب عليها وطردها من حياتي باعتبارها كائناً ملعوناً إلاّ إلى إدانتي والحكم عليّ بمستقبل فارغ كئيب؟

«كي، لقد سمعتُ قصّتكِ»، قلت لها.

«لا»، صاح ماميا. ثم رفع مسبحته فوق يدين مثنيتين وراح يقذف الكلمات على كي: نامو ميوهو رينجيكيو! المجد لقانون لوتس سوترا السامي!

بأمل أن أبطل مفعول قوّة السحر، رفعت أنا أيضاً صوتي وقلت: «كي، سنكون معاً! أنا لا أعبأ بما يمكن أن يحدث لي! عزيزتي كي».

«هل جننت؟» صاح ماميا، يداه الممسكتان بحبات المسبحة كانتا لا تزالان مندفعتين باتجاه كي.

خطت كي خطوة نحونا.

أخذ ماميا بسرعة خطوة إلى الوراء، وصاح مرة أخرى: نامو ميوهو رينجيكيو!

خطت خطوة ثانية.

«هارادا سان! إلى أي طائفة دينية هي تنتمي؟» سألني ماميا بشكل محموم.

«لا أظن أنها متديّنة».

«وماذا عن عائلتها، إذن؟ لا بد أنها تنتمي إلى طائفة ما».

«لا توجد لديّ أدنى فكرة».

«ألن تسترخي؟ إن ذلك يحدث حقاً».

ظلت عيناي مثبتتين على عيني كي، وظلت عيناها مثبتتين على عينيّ. ودون أن تشيح بنظرها عني، خطت خطوة، ثمّ خطوة أخرى، فأغلقت المسافة التي تفصل بيننا ببطء.

«إنها تزداد قرباً»، صاح ماميا. كان جسده كله يرتعش، «إنها قادمة، إنها قادمة».

«ارجع إلى الوراء، ماميا سان»، قلت، وأنا لا أزال أراقب كي.

«لكن ظهري أصبح ملتصقاً بالحائط».

بالفعل، أصبحت مسافة بهو الطابق السابع قريبة جداً من باب بيتي.

«لا تقلق. إنها لن تؤذيك».

واصلت كي تقدّمها.

طبعاً لا، قلت لنفسي. إنها لن تؤذي أحداً منا. ألا توجد طريقة لحلّ هذه المشكلة؟ ألا توجد وسيلة تجعلنا نعيش أنا وأنت معاً؟

واصلت تقدّمها. خمس خطوات أخرى وستصبح واقفة أمام باب شقتي مباشرة.

خطوة.

لبثت واقفاً. لماذا؟

خطوة.

لماذا وقفت متسمّراً في مكاني؟

خطوة.

لم لا أتّجه نحوها وأضمها إليّ؟

خطوة.

أصبحت أمامي، لا تزال هناك خطوة واحدة.

«كي»، قلت.

كانت عيناها باردتين كالموت. رحت أبحث فيهما عن إشارات تدلّ على وجود حياة وهي تزداد اقتراباً، لكن حتّى الآن، حتى عن قرب شديد، لم أجد فيهما أي شعاع من الدفء. بقيتا مثبتتين عليّ في نظرة محدّقة باردة جليدية.

تحركت شفتاها غير المصبوغتين، افترتا قليلاً، كما لو أنها كانت تتهيأ لتقول شيئاً، ثمّ بدأتا تشكل كلمات:

«إني واثقة من أنك تتذكّر».

صوت عميق. صوت مليء بالاحتقار.

«أتذكّر ماذا؟» السمّ في كلماتها جعل صوتي يرتعش.

«ليلة الشمبانيا».

«هه؟»

كانت تلك هي الليلة التي رددتها بفظاظة من باب شقتي. إن الصدمة التي وجهها لي ماميا آنذاك عكرت مزاجي وجعلتني لا أرغب في التحدث مع أي شخص. ندمت على برودتي تجاهها. لم أصدّق حقاً بأنها يمكن أن تنتحر، لكن كانت تلك الفكرة قد خطرت لي آنذاك، حتى أنني ذهبت لأبحث عن وجود ضوء في نافذتها في تلك الليلة الماطرة.

الآن عرفت. فقد طعنت كي نفسها في تلك الليلة بالذات، في صدرها سبع مرات.

«سأسحبك معي إلى الأسفل»، هسهست، وهي تقترب خطوة أخرى مني.

تراجعت إلى الوراء تلقائياً، لكنها أغلقت الفجوة التي تفصل بيننا في الحال. مهما حاولت أن أتشبث بمكاني، وجدت نفسي أُدفع إلى الخلف من شدة الكراهية المنبعثة من عينيها، تشعّان عليّ من مسافة لا تبعد سوى بضعة سنتيمترات، كنت كما لو أن أحداً يدفعني.

هل هذا يعني أن كلّ ذلك مجرد تمثيلة - تمثيلية مثّلتها لتحطمني فقط؟ ما كان يبدو أنه حبّ - هل كان كلّ ذلك بدافع الكراهية؟ إذاً لم يكن الحبّ هو الذي جعلها تتوسل إليّ حتى لا أزور والداي لأنها كانت تخشى أن ذلك سيقتلني؟

كما لو أنها قرأت أفكاري، أصبحت عيناها ساخرتين الآن، وقالت: «رجل ساذج».

لا، هذا ليس عدلاً! لأن غريباً رفض دعوتك لمشاركتك الشراب، تريدين أن تسحبيه إلى الجحيم معك؟ جنون! حتى لو كانت هناك حياة كهذه.

كان ظهري باتجاه الحائط. لم يعد بوسعي أن أتراجع أكثر.

«واصل حياتك إذاً»، زجرت عيناها، أو بدقّة أكثر، شفتاها، لكنّها وقفت الآن قريبة مني كثيراً بحيث لم يعد بإمكاني أن أرى إلا عينيها، ثم أضافت، «يمكنك أن تأخذ حياتك القليلة العزيزة عليك».

«إذاً لن تسحبيني معك إلى الأسفل؟»

«لا لن أفعل ذلك»، قالت تلك العينان ذاتها، «لكن لا، لا

أستطيع. فعندما خرجتُ من الشقّة لم تعد معي في القلب. حتى عندما قلت تلك العبارات الجميلة عن بقائنا معاً، كان قلبك بعيداً»

مع أنني لم أكن أعي هذا الفراق، بدت كلماتها صحيحة على نحو ما.

هكذا إذاً: فهي لا تستطيع أن تستنزف شريان حياتي إذا لم أكن أحبّها من كلّ قلبي. يصعب فهم قوانين العالم الآخر.

«سأذهب الآن ولن آخذ معي حياتك - لكن هذا ليس لأن لديّ أدنى اهتمام بك».

اعتراني شعور بالدوار.

فجأة بدأت تتراجع إلى الوراء، وبدأت هيئتها تنحسر كما لو أنها تتزلج فوق جليد. عندما كانت تتقدّم باتجاهي، كانت تتقدّم خطوة خطوة، لكن تراجعها حدث بحركة سريعة وحيدة حملتها أربعة أمتار تقريباً دفعة واحدة. كان يبدو أنها كانت عائدة إلى عالم الأموات.

ثمّ لاحظتُ شيئا على مقدمة ثوبها البيتي الأبيض.

بقعة سوداء ظهرت على صدرها وبدأت تكبر. أدركت أنها ليست سوداء، عندما أخذ اللون ينتشر بسرعة فوق رقعة القماش الأبيض، بل حمراء. لون الدم الأحمر الذي عاد يتدفق من جديد. من نفس الصدر الذي حرصت كثيراً على إخفائه، عاد الدم الأحمر يتدفق بقوة كما لو كان يتدفق من كائن حيّ.

بدأ الدم ينبض ليصبح صوته مثل صوت دقات قلب، وتشكّل في جداول وهو يجري في مقدمة ثوبها. نظرتُ في عيني كي.

لبثت واقفة ولم تأتِ بأي حركة، كأنها تتحمّل تدفق الدم بصمت.

ثمّ بدأت هيئتها تختفي، كما حدث مع والداي، جاءت النهاية سريعة جداً. لحظة بعد لحظة، بدأت تصبح أكثر شفافية، حتى أدركت فجأة بأنني لم أعد أرى سوى صورة. تحركت ببطء قليلاً مثل هبة هواء حار، ثم تلاشيت.

قبع بهو الطابق السابع الخافت الإضاءة خاوياً أمامي. لم تتلطخ الأرض بأي بقعة دم.

سمعت ماميا يأخذ نفساً عميقاً.

لم أقو على أي حركة.

على الرغم من كلمات الفراق التي قالتها بكلّ هذا الغلّ والكراهية، خيّل إليّ أنني لمحت بريقاً من الحزن في عيني كي، حزن أصيل للفراق، في اللحظة الأخيرة قبل أن تتلاشى أخيراً. كنت عنيداً لا سبيل إلى تقويمه.

16

أمضيت الأيام الاثنين والعشرين التالية في مستشفى طوكيو الوطني في كومازاوا. كنت قد ازددت ضعفاً وهزالاً، وشابَ نصف شعري، ولم أعد أرى جيداً. أفادتني التغذية بالوريد التي عالجوني بها يوماً بعد يوم ببطء، لكني لم أشف تماماً. عندما جرّبت ارتداء بنطالي قبل خمسة أيام من خروجي من المستشفى، كان عليّ أن أشدّ حزامي حول خصري ثقبين آخرين. وتدلّت ياقة قميصي بشكل فضفاض حول رقبتي أيضاً، وظلّت بشرتي شاحبة. حاول الزوّار طمأنتي بالقول بأن لديّ هالة شخص صوفي.

كان من الواضح أنني لم أكن في حالة تمكّنني من كتابة مسلسل تلفزيوني. عندما رأيت أنني أحوم فوق حافة الموت، أدرك منتجي في الحال بأنه ليس من الجيد أن يزعجني أو يعاقبني، ودون أن يحدث أيّ جلبة، وافق على أن يتكلم مع كاتب شاب يعرفه ليواصل العمل من الحلقة الثانية.

«إنه شاب ويتمتع بإحساس حقيقي بالأمور المثيرة»، قال مخرج المسلسل عندما جاء لزيارتي في المستشفى. «قد يكون بالفعل الاختيار الأفضل للمادّة. لا أقصد إهانتك».

بالطبع كان يحاول إهانتي، لكن بما أنني كنت قد سببت مشاكل إضافية، فإن حدوث شيء من الدناءة أمر لا مفر منه.

غادرت المستشفى في منتصف شهر أيلول (سبتمبر)، وانتقلت مباشرة إلى شقّة وجدها ماميا لي بالقرب من محطة كيودو على خطّ أوداكي. وبنفس الإيجار الذي كنت أدفعه تقريباً، أصبح عندي مساحة أوسع قليلاً من مساحة شقتي السابقة. وقام ماميا وأياكو وشيجيكي بنقل أغراضي لي.

في تلك الليلة، اتصلت بأياكو لأشكرها على مساعدتها لي. طلبت أن أكلّم شيجيكي أيضاً لأشكره شخصياً.

«نعم، أرجوك افعل ذلك»، قالت، «فقد تعب كثيراً».

سمعتها تناديه ليكلمني على الهاتف. في عين عقلي تصوّرت البيت الذي كان بيتي أيضاً.

«كيف تشعر الآن؟» سألني صوت شيجيكي فجأة.

قلت: «أنا على ما يرام».

«جيد».

«أردت أن أشكرك على مساعدتك لي في نقل أغراضي».

«لا بأس».

لم تتغير طريقته في الكلام، لكنّي لم أشعر بأنه يريد إنهاء الحديث بسرعة. ربما لانت مشاعره تجاهي قليلاً، عندما لم نعد نعيش تحت سقف البيت نفسه.

«ما رأيك لو خرجنا لتناول العشاء في وقت ما، أنا وأنت فقط؟» اقترحت، دافعاً حظّي معه إلى الأمام.

سادت فترة قصيرة من الصمت قبل أن يجيب: «في أحد هذه الأيام».

ربما كان أفضل ردّ يمكن أن آمل سماعه.

بعد يومين ذهبت إلى أساكوسا مع ماميا.

«هل أنت متأكّد من أنك ستكون على ما يرام؟» قال، وهو يخشى أن أجد الرحلة كئيبة، لكني كنت قد شفيت من جميع المشاكل العاطفية خلال إقامتي في المستشفى. لذلك لن يظهر لي أبي وأمّي ولن تظهر لي كي مرة أخرى قط.

ما إن خرجنا من محطة المترو في تاوارا ماتشي، وسرنا على طول الجادة الدولية، لاحظت بشيء من الحزن بأن الصيف قد أصبح في أواخره. حتى في وسط عوادم السيارات المزدحمة، تمكنت من شمّ رائحة الخريف في الهواء، وكان الناس يتحرّكون على الرصيف بخطوات حيوية أكثر مما يتحرّكون عندما تكون حرارة الصيف قائظة. لقد مضى فصل، وكذلك أبي وأمّي وكي.

«هارادا سان»، خاطبني ماميا بأسلوبه الرسمي ونحن نسير.

«ماذا؟»

«عندما كنت في المستشفى قلت إنك تريد أن تعود لزيارة هذه المنطقة».

«نعم، لقد قلت ذلك».

«جيّد، ربما كان عليّ أن أقول لك شيئاً قبل الآن، لكنّي جئت وألقيت نظرة على المكان قبل أربعة أيام».

«حقاً؟»

«بالطبع لم أتوقّع أن أجد أيّ شيء، لكنّي ظننت أنني يجب أن أتفحص المكان أولاً»

«نعم».

«كان المكان قطعة أرض فارغة».

إن سماع ذلك جعلني أشعر بأنني وحيد - كما لو كنت أسقط في هاوية لا قرار لها بصمت شديد.

«من الواضح أنهم هدموا بناية سكنية في شهر أيار (مايو)، وها هم الآن يستعدّون لهدم بعض المباني الأخرى لتشييد بناية جديدة».

«إذا فهي قطعة أرض فارغة منذ شهر أيار (مايو)؟»

«هذا صحيح».

من الجادة الدولية، انعطفنا يساراً إلى الشارع الذي تحفّه على الجانبين دكاكين صغيرة، وبعد قليل، ظهر الزقاق الذي انتصبت فيه العمارة السكنية. حتى هذه اللحظة، كان كلّ شيء يبدو كما كان يبدو تماماً خلال زياراتي السابقة، لكننا عندما وصلنا إلى الزقاق، لم أر الدرج المعدني والعمارة السكنية، كما اكتشف ماميا.

كانت الأرض الصغيرة المحاطة بجدران البنايات المجاورة الوسخة، خاوية وبائسة، وقد نمت فيها أعشاب طويلة طوال الصيف. إن هذه الأعشاب الكثيفة النامية في أرض كان من المفترض أن تكون خالية من الأعشاب جعلها تبدو كأننا جئنا إلى عالم آخر.

«أظن أنك قلت إنهما كانا يقيمان في آخر الشقّة في الخلف، صحيح؟»

«نعم».

«خمّنت أنه لا بدّ أنها كانت موجودة في المنطقة العامـة هنـاك. لقـد أزلت بعض الأعشاب».

قاد ماميا الطريق إلى قطعة الأرض الفارغة.

وصـل طول الأعشاب إلى خصري، لكننا رحنا نزيحها عن طريقنـا أو ندوس عليها بأقدامنا، وبـدا أنهـا مغـبّرة ومتعبـة مـن الـصيف الحـار الطويل. كنا نطـأ بعـض الأوسـاخ المتبقيـة وعلـب المـشروبات الفارغـة المبعثرة تحت أقدامنا.

«هنا»، قال ماميا، وتوقف عن السير، «أظن أنها في هذه البقعة».

كان إحساساً دقيقاً. فقد نظّفـت بقعـة صـغيرة مـن الأعـشاب في أسفل المكان الـذي يفـترض أن تكـون فيـه الـشقّة التـي كنـت أزورهـا، ووضعت قطعتا حجر فوق علامتين تشبهان شاهدتي قبر.

«وجدتهما مرميتين هناك وقرّرت أن استخدمهما»، قال.

«كانت الشقّة في الطابق الثاني، لكن لا بد أنها كانت في هذا المكـان تقريباً»، قلت، «من الجيد أنك اكتشفت ذلك مما أخبرتك به».

وضع ماميا كيس التسوّق الـذي كـان يحملـه عـلى الأرض وحمـل حزمة صغيرة ملفوفة بصحيفة.

قال: «لقد أحضرت قليلاً من البخور وحاملاً للبخور».

فقلت: «وأنا أحضرت بخوراً أيضاً».

«أظن أنه كان عليّ أن أخبرك بأنني سأجلب معي بخوراً».

«لا بأس. يمكننـا أن نـضعهما بجانـب بعـضهما. سأشـعل بعـض البخور في كليهما».

فتحت صرة القماش التي أحملها وأخرجت منها البخـور والحامـل

الذي جلبته مع باقة صغيرة من الأقحوان الملفوف في صفحة جريدة. لم أزر مقبرة العائلة في يتشي حيث دفن رماد والداي منذ سنتين.

بعد أن أشعلت البخور بقدّاحة سجائري، قسّمته بين الحاملين، ثمّ ضممت راحتي يدي معاً لأصلي. وفعل ماميا الشيء نفسه.

أوه! قلت لنفسي. عندما آتي في المرة القادمة، سأجلب عيدان الطعام التي استخدمها والداي في وجبة طعامهما الأخيرة. سأحرقها وأصلي لهما مرة أخرى. الآن أصبح لديّ عذر لأعود، يا أمّي ويا أبي.

«أظن أن هذا ليس وقتاً مناسباً لأثير الموضوع»، قال ماميا، «لكني أظن أنني أرغب في أن أتزوّج أياكو في مطلع السنة القادمة».

«فهمت».

«أظن أن ذلك يثير مرارة في فمك، لكن...»

«لا، لا، على الإطلاق. صحيح أنني أحسست بالخيانة في بادىء الأمر، أما الآن فإني أرجو أن يسير كل شيء على ما يرام».

«هل تظن أن بالإمكان أن نعود لنعمل معاً أحياناً؟»

«أوّد ذلك».

«لنفعل ذلك إذن. سنعدّ شيئاً خاصاً جداً».

قلت له: «أريدك أن تعرف أنني لم أكن أتوقّع أن تبدي كل هذا القلق الحقيقي تجاهي».

«أظن أنني فعلت ذلك لأنني أحبك دائماً»، قال ماميا، «وشيء قاد إلى شيء آخر وأصبحت مغرماً بزوجتك أيضاً».

«هنا يمكنني أن أقول إنك تجاوزت حدودك. لكن بجدّ، أتمنى لكما حياة سعيدة».

«لا أستطيع أن أتمالك نفسي عن التفكير بأنه لابدّ أن هناك خطأ لدى أي شخص يرغب في الانفصال عن امرأة رائعة كهذه».

«حقاً؟ أما بالنسبة لي، فإني أقول لابدّ أن هناك خطأً فادحاً لدى أي شخص يريد أن يتزوج امرأة مثلها».

«وأظن أن الأمر هكذا لدينا نحن الاثنين. فعندما نمعن التفكير في الأمر، فإننا سنجد أن لدينا كلانا أخطاء. ففي البناية التي كنت تقيم فيها، رأيت شيئاً لا يصدّق تماماً، لكن عندما انتهى الأمر، لم أر نقطة دم واحدة في البهو، لذلك لا يمكن أن يكون ذلك قد حدث فعلاً. هكذا أرى الأمر. لقد اعتراني إحساس ما في تلك الليلة. لا بد أنني لم أكن بكامل قواي العقلية».

«همه».

«لننس الأمر كله، موافق؟ وإلا، فلن أتمكن من مواصلة الحياة. لم أكن بكامل قواي العقلية في تلك الليلة. وكلّ ما جرى مع والديك، أيضا - أرجو ألاّ تتمسك بذلك كثيراً. فإنك لم تكن بكامل قواك العقلية أيضاً - هذا كلّ ما في الأمر؟»

«أظن أنك على حقّ».

«بالتأكيد. كنت معتوهاً».

قررتُ ألا أكذّبه.

لكنّي بصدق لا أظن أنه توجد لديّ أيّ مشكلة على الإطلاق.

إلى اللقاء يا أمّي. إلى اللقاء يا أبي. إلى اللقاء يا كي.

شكراً جزيلاً.

«لا أنا لست كذلك»، قلت محتجاً، «فأنا لست ذاك الرجل الذي يبدو أنكما تظنان أنه أنا. فقد فشلت كزوج، ولم أكن أباً جيداً أيضاً. أنتما شخصان طيبان - أما أنا فلا. إنكما شخصان ودودان، رقيقان إلى درجة كبيرة إلى درجة فاجأتني. يجب أن يكون لكلّ شخص أب وأمّ مثلكما، حتى ابني. ومع أنني لعبت دور الابن المخلص معكما، فلا يعرف أحد كيف كان من الممكن أن أعاملكما لو كنتما تعيشان كلّ هذه السنوات. أما بالنسبة لمهنتي؟ فأنا لم أنجز شيئاً عظيماً حقاً. فأنا مجرد كاتب من الدرجة الثانية يتنافس على...». توقفت في منتصف الجملة.

ثمة شيء كان يحدث لأمّي. بوسعي أن أرى شكل كتفيها بوضوح شديد، لكنني أدركت أنني أستطيع أن أرى أيضاً من خلالها.

مذهولاً، التفتُ لأنظر إلى أبي. كان كتفاه وجذعه قد بدآ يبهتان أيضاً.

هذا ما قصدته أمّي. بهذه الطريقة سيغادرانني. جلست هناك، غير قادر على أن أتكلم.

«كلّ شيء سيكون على ما يرام يا بني»، قال أبي، «لا تقل كلمة أخرى».

«إننا فخورون بك كثيراً» قالت أمّي.

«إننا فخورون جداً بك»، ردّد أبي، «إصنع لنا معروفاً وتوقف عن أن تكون قاسياً على نفسك. يجب على الرجل أن يعتمد على نفسه، كما تعرف. لن يفعل ذلك أحد غيره».

«أرجوكما لا تذهبا»، قلت متوسلاً. أصبح صوتي فجأة مثل صوت طفل صغير.

«يبدو أننا لا نستطيع أن نقرر ذلك»، قال أبي، «كنت أرجو على الأقل أن يتاح لنا وقت أطول قليلاً».

«لا!».

«اعتنِ بنفسك».

«لا أظن أننا سنراك بعد الآن أبداً».

غربـــاء


ISBN 978-9933-536-54-1

